القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الحادية والثلاثون العدد 9879 الأحد 19 نيسان (أبريل) 2020 – 25 شعبان 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9879 Sunday 19 April 2020

حوار مع الصحافي الإيطالي ريكاردو كريستيانو

مصر: آثار إسلامية تحيط بها الأساطير

هل ينهي كورونا صراع رونالدو وميسي؟

«تحرير الشام» تترقب دوراً على طريق M4 02

سعيد يقطين: كورونا من أجل حجر طبيعي 23

تحقيق: السودان وإعادة هيكلة المؤسسات العدلية 28

# ليبيا: دروس انتكاسات حفتر

تتعرض قوات اللواء الليبي المنشق خليفة حفتر إلى خسائر عسكرية فادحة وانتكاسات ميدانية حاسمة بعضها يقترب من مستوى الهزائم المحققة وعلى نحو يشمل كامل الساحل الغربي، وذلك للمرة الأولى منذ انطلاق حملة حفتر نحو العاصمة طرابلس مدعوماً بإسناد عسكري وجوي مباشر من الإمارات ومصر وفرنسا وروسيا ومجموعات المرتزقة. صحيح أن انتشار فيروس كورونا المستجد لعب دوراً في الوقائع الراهنة، إلا أن انشغال داعمي حفتر بمعالجة الجائحة ليس السبب الوحيد الذي يفسر انهيارات ما يسمى بـ«الجيش الوطني الليبي» وثمة في الخلفية حالة من التراجع انعكست في ارتكاب جرائم حرب مثل قطع المياه وقصف المستشفيات.

(حدث الأسبوع 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

# تحرير الشام تفتتح معبرا بالقرب من سراقب وتترقب دورا على طريق M4

قوى عسكرية سورية مدعومة تركيا في إدلب

**يسعى أبو محمد الجولاني إلى وضع موطئ قدم له على طريق حلب–اللاذقية السريع، وتخريب المشروع التركي بإنشاء ستة ألوية ملحقة بالجيش مباشرة في إدلب.**

**منهل باريش**

أعلنت هيئة تحرير الشام «النصرة سابقا» عن فتح معبر تجاري بين مدينتي سراقب وسرمين، من دون السماح بعبور المدنيين بين مناطق سيطرة المعارضة وسيطرة النظام. وفي تصريح صحافي قال مسؤول العلاقات الإعلامية في الهيئة «المعبر تجاري وليس مدنيا، ولا خطورة من فتحه» ولفت إلى «الحاجة الماسة لفتحه، هناك أخطار عدة تواجه المنطقة إن استمر الحال على ما هو عليه من توقف حركة التجارة وتصدير البضائع». واستبق عمر النقد اللاذع المتوقع ضد هيئته، معتبرا أن قرار فتح المعبر «استوفى نصيبه من المناقشة والدراسة مع المزارعين». ونوه إلى أن أمن المحرر الغذائي واستمرار إنتاجه الذي يوفر معظم احتياجات الناس لا يكون إلا بتصريف هذه المنتجات والمحاصيل، ولا مكان لها إلا باتجاه مناطق سيطرة العدو سواء كان ترانزيت أو لمنطقة حماة وما حولها. وشرح «هذه البضائع لا تؤثر على تحسن اقتصاد النظام المجرم، فهي أرقام تعتبر بسيطة جدا بالنسبة له» خاتما بأن النظام لديه مناطق زراعية كثيرة، وخاصة مع سقوط المناطق الزراعية في المحرر بعد الحملة الأخيرة، لا توجد مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية في المحرر».

ويقع المعبر المذكور بالقرب من عقدة مدينة سراقب الغربية على طريق M4 والتي تصل إلى أريحا وجسر الشغور فاللاذقية، وتعتبر نقطة اخطلاق الدوريات الروسية التركية المشتركة على الطريق. ويقع المعبر على طريق دمشق–إدلب والذي يتقاطع مع الطريق السريع M4 في العقدة المذكورة. واللافت أن المعبر يقع بالقرب من قرية مجارز، التي أعلنت القوات الروسية فتحها معبرا إنسانية إبان السيطرة على بلدة سراقب أول مرة مطلع شهر شباط/فبراير الماضي.

وحصلت «القدس العربي» على عرائض مقدمة لهيئة تحرير الشام من قبل تجار قطع تبديل السيارات وتجار الدواجن والفروج البياض، وعريضة ثالثة مقدمة من تجار مواد البناء (الرخام والغرانيت وحديد البناء وملحقاته). والعريضة الرابعة قدمها تجار المواد الغذائية. وأغلب تلك المواد تدخل عن طريق الترانزيت من إيران أو الصين وتنتقل عبر شبكات مرتبطة بالجناح الاقتصادي في هيئة تحرير الشام التي يرأسه أبو عبد الرحمن الزربة، في مناطق سيطرة المعارضة. فيما يرتبط قسم كبير من تجار الترانزيت باقتصاد الفرقة الرابعة التي يرأسها ماهر الأسد، شقيق رئيس النظام السوري. ويشرف رجل الأعمال خضر الطاهر أبو علي على تلك الشبكات بشكل رئيسي. ويتجنب الرسوم الجمركية والضرائب التي يلزم بدفعها لو قام بعملية الشحن عبر المعابر الحدودية البرية والبحرية التي تديرها حكومة النظام.

في سياق متصل، تستمر هيئة تحرير الشام بدعم اعتصام الكرامة على طريق حلب–اللاذقية M4 وظهر عناصر وقادة يتولون مناصب شرعية وعسكرية وأمنية فيها. والزمت حكومة الإنقاذ موظفيها أو عائلات بعضهم بحضور الاعتصام على الطريق. ورصدت فيديوهات بثها نشطاء إعلاميون حضور المسؤول الأمني السابق في معرة النعمان، أكرم الترك الاعتصام، وهو المتورط في عمليات اغتيال قادة وعناصر في الفرقة 13 من الجيش السوري الحر. ويعتبر العقيد علي السماحي نائب قائد الفرقة أبرز المنشقين الذي تورط الترك في مقتلهم، خلال كمين نصب له ولقائد الفرقة المقدم أحمد السعود شمال معرة النعمان في نيسان/أبريل 2017.

ومن المشاركين في الاعتصام المسؤول الأمني للهيئة في مدينة كفرنبل والذي تورط في عملية اغتيال الناشط المدني البارز رائد الفارس والإعلامي حمود جنيد في البلدة تشرين الثاني/نوفمبر 2018 واعتقال وقتل الناشط سامر السلوم في كفرنبل أيضا.

وتعرف نشطاء مدنيون على عضو مكتب العلاقات في هيئة تحرير الشام. خطاب الفلسطيني وأبو احمد الشرعي تلمس وعدد من عناصر العصائب الحمراء. ويلحظ تراجع أعداد النشطاء في الأيام الأخيرة، ويتوقع أن يمتنع المدنيون عن الاعتصام على طريق M4 بعد قرار فتح المعبر مع النظام في سراقب. ويعتبر المعبر الذي سيفتح خلال أيام الوحيد الذي سيسمح بنقل البضائع بين مناطق سيطرة المعارضة ومناطق سيطرة النظام بعد خسارة معبر العيس في ريف حلب الجنوبي ومعبر المنصورة في ريف حلب الغربي. وتتحكم تحرير الشام بمعبرين بين إدلب وعفرين، معبر الغزاوية لسيارات الشحن والنفط الآتية من مناطق سيطرة النظام في ريف حلب الشرقي، وبالقرب منه معبر دير بلوط–أطمه والمخصص لحركة الأفراد والمدنيين.

وعلق الشرعي العام السابق في جبهة النصرة، خالد حسن النجيب والمعروف «أس الصراع في الشام» على قضية فتح معبر سراقب–سرمين وقال إن «دخل جبهة النصرة من معبر مورك كان 800 ألف دولار شهرياً، وعندما سيطر عليه أحرار الشام أغلقته روسيا ورفضت فتحه إلا للنصرة» وعن المعابر الأربعة الأخرى مع النظام في العيس والمنصورة وقلعة المضيق وأبو الظهور فقد بلغت شهريا «مليون ونصف المليون دولار». واتهم قائد قطاع الحدود في تحرير الشام وأحد أبرز الرجال الأمنيين والاقتصاديين في الهيئة، أبو أحمد حدود بفتح قناة اتصال عبر سكايب مع «غوار التابع للفرقة الرابعة» قاصدا هنا، أبو علي خضر الطاهر، أحد رجالات الفرقة الرابعة والذي عمل مباشرة تحت إمرة مدير مكتب أمن الفرقة الرابعة العميد غسان بلال. ويملك خضر الطاهر أبرز الشركات الأمنية الخاصة في سوريا والتي تعمل في مجال ترفيق البضائع التجارية وحماية قوافل الحجاج الشيعة الإيرانيين والعراقيين القادمين إلى مدينة السيدة زينب جنوب دمشق.

وهناك خط سكايب بين أبو أحمد حدود وغوار التابع للفرقة الرابعة «أس الصراع في الشام».

وخاضت جبهة النصرة حروبا للسيطرة على المعابر مع مناطق النظام أو مع تركيا أو حتى المعابر الداخلية بين مناطق سيطرتها والمناطق التي يسيطر عليها «الجيش الوطني» في عفرين. ولم تتوان الجبهة عن إقامة شراكة مباشرة وواضحة مع الشيخ أحمد الدرويش، عضو مجلس الشعب السابق وأحد مشايخ قبيلة الموالي في أقصى شرق محافظة إدلب على تخوم بادية حماة، والذي اعتبر المعبر الوحيد الدائم ولم يتعرض إلى هزات أمنية على غرار معبر مورك على طريق حلب–دمشق M5حيث تبدلت سيطرة الفصائل عليهما مع الوقت خلال الاقتتال الداخلي المستمر والذي بدأ مطلع عام 2014.

وفي تشرين الأول/أكتوبر 2017 هاجمت «تحرير الشام» قرية أبو دالي بعد خلاف بين الجناح الاقتصادي فيها والشيخ الدرويش على تقاسم واردات المعبر. كما فتحت معبرا للحركة التجارية بالقرب من نقطة المراقبة التركية في بلدة العيس في ريف حلب الجنوبي في نيسان/أبريل 2018 كتعويض عن إغلاق النظام لمعابر مورك وقلعة المضيق.

وشنت تحرير الشام معركة القضاء على حركة نور الدين الزنكي بعد بدء الأخيرة تشغيل معبر تجاري مع مناطق النظام في منطقة المنصورة غرب حلب، وقامت بإعادة فتحه للحركة التجارية مع النظام في منتصف حزيران/يونيو 2019.

وبعد فتحها معبرا مع النظام، يسعى أبو محمد الجولاني إلى وضع موطئ قدم له على طريق حلب–اللاذقية السريع، ويبذل جهدا لتخريب المشروع التركي بإنشاء ستة ألوية ملحقة بالجيش مباشرة في إدلب، أربعة منها من عناصر الفصائل المنضوية في الجبهة الوطنية للتحرير، يكون قادتها ضباطا منشقين يعملون في فيلق الشام المقرب من تركيا والذراع العسكري للإخوان المسلمين السوريين ولواءين من «الجيش الوطني» في عفرين وريف حلب الشمالي.

وقام الجولاني بإنشاء ثلاثة ألوية بشكل مستعجل في الأيام الأخيرة. وتفيد مصادر مقربة من الهيئة أن الهدف من الألوية هو حفظ أمن الطريق وترفيق الدوريات المشتركة وتأمين سلامتها. وترفض تحرير الشام استثناءها من اتفاق فتح الطريق. فهي تدرك أن تمرير الاتفاق من دون وجودها يعني عمليا فقدانها للمكاسب السياسية التي يمكن أن تجنيها من دورها في حفظ الأمن، وفي حال الإصرار التركي فإنها ستسهل حركة الفصائل المتطرفة الصغيرة والتي ترتبط بالقاعدة من أجل إعاقة تسيير الدوريات وتهديد أمن الطرق والدوريات المشتركة.



## بعد ثلاثية الشعب والجيش والمقاومة

# أم المعارك السيطرة على القرار المالي لمصرف لبنان

**من ضمن أدوات الحملة على سلامة، الدعوة للتدقيق في حسابات مصرف لبنان ومطالبته بكشف التحويلات المالية إلى الخارج ومحاولة التعامل معه كأنه وزارة تابعة للحكومة.**

**بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس**

بعد سلسلة الحملات على حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، وبعد حديث الخطة الانقاذية الموضوعة من قبل الحكومة عن خسائر مالية للبنك المركزي وتوجّه لإعادة هيكلة القطاع المصرفي، خرج مصرف لبنان عن صمته ولم يوافق على الكلام عن خسائر ضخمة ينبغي تعويضها، فأكد أن هذه المبالغ لا يعتبرها خسائر، «فهي مبالغ مدوّرة ومطفأة بمداخيل مستقبلية» مشيراً إلى «أن مصرف لبنان مؤتمن على الحفاظ على العملة الوطنية بهدف تأمين أساس نمو اجتماعي واقتصادي دائم».

وكان الهجوم الأعنف على حاكم مصرف لبنان جاء تباعاً من قبل حزب الله ومن قبل مجموعات مرتبطة به، وآخر هذه الهجومات ما ورد على لسان عضو «كتلة الوفاء للمقاومة» النائب علي عمار الذي سمّاه «حاكم المال» متهماً إياه بلعب «دور شيطاني». على هذا الموقف يردّ خصوم حزب الله قائلين «إن الحزب الذي استطاع السيطرة على القرار السياسي والعسكري للدولة اللبنانية، وفرض ثلاثية الشعب والجيش والمقاومة في أكثر من بيان وزاري، يحاول حالياً السيطرة على القرار المالي والاقتصادي للدولة من خلال خوضه المعارك وتوسيع الثلاثية إلى رباعية لتصبح، الشعب والجيش والمال والمقاومة، وهذا ما يفسّر هذه الحملة غير المسبوقة على حاكم مصرف لبنان وعلى القطاع المصرفي الذي لطالما تميّز بأنه من أنجح القطاعات الاقتصادية والمالية في البلد».

### إخضاع المصرف للوزارة

وحسب خصوم الحزب «فإن ما كان معمولاً به من فصل للاقتصاد والمال عن الأمن والسياسة منذ سنوات طويلة وتحديداً منذ أيام الرئيس الشهيد رفيق الحرير، لم يعد يصلح لدى الحزب الذي يسابق الوقت والمتغيّرات الإقليمية، لفرض نفوذه على القرار المالي للدولة من خلال إزاحة حاكم مصرف لبنان، بعد تشويه سمعته وتحريض الناس الخائفة على ودائعها، والتلطّي وراء بعض المجموعات المشاركة في الانتفاضة الشعبية لتوجيه سهامها إلى البنك المركزي والمصارف، وهو ما حصل من خلال إعتداءات متكررة استهدفت عدداً لا بأس به من المصارف في مناطق مختلفة».

وما يعزّز فرضية وضع اليد على مصرف لبنان، هو محاولة إخضاعه لسلطة وزارة المال التي آلت إلى الثنائي الشيعي في 3 حكومات على التوالي، ومن غير المتوقّع أن يتخلّى عنها هذا الثنائي تماماً كما هو حال المديرية العامة للأمن العام.

وبدا أن المواجهة أصبحت مفتوحة بين فريق السلطة وفريق المعارضة وفي طليعته رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط الذي يتخوّف من برنامج الحكومة الإصلاحي وإعادة هيكلة المصارف والمصرف المركزي. ويعتبر سيّد المختارة «أنهم يريدون السيطرة على المصرف المركزي والمصارف ويتهمون الآخرين بالأموال المنهوبة» معرباً عن قلقه من الذهاب «إلى نظام شبه شمولي جراء إجراءات مثل تأميم المصارف عبر صيغة الاقتطاع من ودائع الناس».

وهذا ما يفسّر ردود رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس الحكومة حسّان دياب على جنبلاط من دون تسميته، نظراً لمؤازرته حاكم البنك المركزي رياض سلامة في معركة الحفاظ على النظام الاقتصادي الحر ومحاولة تحميله مع المصارف مسؤولية الأزمة الاقتصادية والمالية بدل تحميلها للدولة العاجزة عن تسديد ديونها والتي تخبّط وزراؤها في أدائهم وفشل خططهم لإصلاح الكهرباء التي وحدها كبّدت الخزينة خسائر بقيمة 40 مليار دولار إضافة إلى سلسلة الرتب والرواتب غير المدروسة، في وقت كان حاكم المركزي يلتّي طلب الحكومات المتعاقبة إلى المساعدة من خلال تمويل عجز الموازنة عبر سندات الخزينة كي يؤجل الانهيار، في انتظار إقرار الإصلاحات ووقف الهدر في المال العام ولكن بلا جدوى.

### كبش فداء

أما وقد أصاب الإفلاس الدولة، فلا بدّ للمعنيين من تقديم كبش فداء للبنانيين يحقّق لهم بعض الشعبوية، فراوا أن رأس رياض سلامة قد أينع قطافه، خصوصاً أنه مستقل وغير محسوب على أي جهة حزبية أو سياسية لتؤمن حمايته كما هو الحال مع آخرين. ويكفي التذكير كيف أن حزب الله ردّ في 7 أيار/مايو على محاولة إقالة ضابط شيعي محسوب عليه في مطار بيروت، وكيف تدخّلت مرجعيات سنّية لتأمين حماية موظفين من الفئة الأولى، فيما البطريركية المارونية التي تربطها علاقة جيدة بحاكم مصرف لبنان الماروني ما زالت تراقب سير المستجدات قبل إتخاذ أي موقف، وسبق للبطريرك مار بشارة بطرس الراعي أن التقى سلامة مرتين بعيداً من الأضواء، مبدياً تعجّبه من هدوء الحاكم من خلال وصفه بـ«الاوقيانوس الهادئ». ولعلّ هدوء سلامة مردّه إلى معرفته بأنه عدا حالة الاستقالة الاختيارية لا يمكن إقالته من وظيفته إلا لعجز صحي مثبت حسب الأصول أو لإخلال بواجبات وظيفته.

ومن ضمن أدوات الحملة على سلامة في الفترة الأخيرة، الدعوة للتدقيق في حسابات مصرف لبنان ومطالبته بكشف التحويلات المالية إلى الخارج ومحاولة التعامل مع البنك المركزي كأنه وزارة من الوزارات التابعة للحكومة، فيما هو حسب مصادر مصرفية لـ«القدس العربي» خاضع لقانون النقد والتسليف الصادر عام 1963 والذي تنص المادة 13 منه على ما يلي «المصرف شخص معنوي من القانون العام ويتمتع بالاستقلال المالي. وهو يعتبر تاجراً في علاقاته مع الغير. ويجري عملياته وينظّم حساباته وفقاً للقواعد التجارية والمصرفية وللعرف التجاري والمصرفي. ولا يخضع لقواعد الإدارة وتسيير الأعمال وللرقابات التي تخضع لها مؤسسات القطاع العام، ولا سيما لأحكام المراسيم الاشتراعية رقم 114 و115 و117 و118 تاريخ 12 حزيران سنة 1959».

### تدقيق الحسابات

وتستغرب المصادر المصرفية المطالبة بتدقيق حسابات المصرف في وقت يوجد داخل مصرف لبنان مفوّض للحكومة برتبة مدير عام، تُبلّغ إليه فوراً حسب قرارات المصرف وله خلال اليومين التاليين للتبليغ أن يطلب من الحاكم تعليق كل قرار يراه مخالفاً للقانون وللأنظمة، ويراجع وزير المالية بهذا الصدد، وإذا لم يُبتّ في الأمر خلال خمسة أيام من تاريخ التعليق يمكن وضع القرار في التنفيذ. كما لمفوّض الحكومة ومساعده حسب المادة 44 حق الاطلاع على جميع سجلات المصرف المركزي ومستنداته الحسابية باستثناء حسابات وملفات الغير الذين تحميهم سرية المصارف المنشأة بقانون 3 أيلول/سبتمبر سنة 1956. وهما يدققان في صناديق المصرف المركزي وموجوداته وليس لهما ان يتدخلا بأية صورة، في تسيير أعمال المصرف المركزي».

وحسب معلومات «القدس العربي» من أوساط مصرفية مطلعة، لم يأت أي اعتراض على العمليات الحسابية للمصرف في أي مرّة من المرات. أما في ما خصّ التحويلات المالية إلى الخارج، فالمصرف يستخدم أحدث التكنولوجيات وكل الوثائق محفوظة ولا شيء مخفياً، ولكن قانون النقد والسرية المصرفية يُعاقب أي موظف في حال أخرج أي وثيقة، وبالتالي ليس صحيحاً أن مصرف لبنان هو «مغارة علي بابا» كما يصوّرونه.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9879 الأحد 19 نيسان (أبريل) 2020 – 25 شعبان 1441 هـ

# كورونا بين العراق وإيران والحب القاتل

**أجبرت عناصر «سرايا السلام» التابعة للتيار الصدري، القوات الأمنية على السماح بدخول زوار إيرانيين إلى مدينة سامراء رغم حظر التجوال.**

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

إجراءات الوقاية من كورونا في كربلاء

تتواصل الضغوط إيرانية على حكومة بغداد، هذه الأيام من أجل السماح بمواصلة تدفق الزائرين الإيرانيين على العراق لزيارة المراقد الشيعية في كربلاء والنجف وبغداد، واستمرار عبور السلع الإيرانية إليها، رغم المخاطر المؤكدة بزيادة نقل وباء كورونا المنتشر بشكل واسع في إيران إلى العراق.

وفي إصرار على تجاهل التحذيرات الصحية الدولية التي تشير إلى أن إيران بؤرة مؤكدة لوباء كورونا، وان انتشاره في المنطقة انطلق منها، وبعكس التوجيهات باعتماد العزل الصحي للدول لضمان عدم انتشاره، فإن المسؤولين الإيرانيين أعلنوا نيتهم مواصلة إرسال الزائرين الإيرانيين إلى العراق وسوريا.

فقد عقد وفد إيراني في كربلاء العراقية اجتماعا مع محافظ المدينة، لبحث التعاون بين الطرفين في مختلف المجالات وأبرزها مناقشة ملف عودة الزوار الإيرانيين إلى المراقد المقدسة في كربلاء.

ورغم أن محافظ كربلاء نصيف الخطابي، وادراكا منه لخطورة الموقف ولحماية محافظته من انتشار الوباء، قد اعتذر خلال اللقاء عن استقبال أي زائر سواء من داخل البلد أو خارجه لحين انتهاء جائحة كورونا في المنطقة، فإن مجرد تقديم الطلب الإيراني، يؤكد إصرارهم على إعادة نشاط الزائرين من دون إعارة أي أهمية لخطورة الموقف الصحي ونتائجه الكارثية المتوقعة.

وقال الخطابي في تصريح صحافي «لن نسمح بالزيارة لحين استلامنا لكتب رسمية من الجهات الصحية المعتمدة دوليا ومحليا بامكانية استقبال وخدمة الزائرين سواء من العراق أو إيران أو من مختلف بلدان العالم، وحتى انتهاء فيروس كورونا». وأضاف «لن نستقبل أيا من الزائرين الراغبين في أداء مراسم الزيارة، ولن نسمح لأحد بالدخول إلى كربلاء، لأن الوضع ما زال خطيرا» حسب قوله.

وطالب محافظ النجف لؤي الياسري، باستمرار غلق مطار المحافظة. وقال إنه وجه كتابا رسمياً لسلطة الطيران المدني يطالب فيه «استمرار غلق مطار النجف بالكامل وتحويل الرحلات الاستثنائية لمطار بغداد الدولي حفاظا على سلامة المواطنين من أبناء المدينة من وباء كورونا».

وكانت المحافظتان قد أعلنتا فرض حظر التجوال فيهما، وعدم استقبال الزائرين العراقيين والأجانب، بمناسبة الزيارة الشعبانية (المقررة في منتصف شهر شعبان الحالي) خوفا من إفشال جهودهما في السيطرة على الوباء، وخاصة بعد كشف مئات الإصابات فيهما، لأشخاص زار معظمهم إيران أو عادوا من داخل البلد أو خارجه لحين انتهاء جائحة كورونا في المنطقة، فإن مجرد تقديم الطلب الإيراني، يؤكد إصرارهم على إعادة نشاط الزائرين من دون إعارة أي أهمية لخطورة الموقف الصحي ونتائجه الكارثية المتوقعة.

وقال الخطابي في تصريح صحافي «لن نسمح بالزيارة لحين استلامنا لكتب رسمية من الجهات الصحية المعتمدة دوليا ومحليا بامكانية استقبال وخدمة الزائرين سواء من العراق أو إيران أو من مختلف بلدان العالم، وحتى انتهاء فيروس كورونا». وأضاف «لن نستقبل أيا من الزائرين الراغبين في أداء مراسم الزيارة، ولن نسمح لأحد بالدخول إلى كربلاء، لأن الوضع ما زال خطيرا» حسب قوله.

وطالب محافظ النجف لؤي الياسري، باستمرار غلق مطار المحافظة. وقال إنه وجه كتابا رسمياً لسلطة الطيران المدني يطالب فيه «استمرار غلق مطار النجف بالكامل وتحويل الرحلات الاستثنائية لمطار بغداد الدولي حفاظا على سلامة المواطنين من أبناء المدينة من وباء كورونا».

وكانت المحافظتان قد أعلنتا فرض حظر التجوال استمرار تدفق الزوار الإيرانيين على المراقد المقدسة في كربلاء والنجف وبغداد وسامراء، رغم إعلان حظر التجوال وقرار منع دخول الأجانب إلى البلاد، كما ظهر في القبض على زوار إيرانيين وصلوا إلى كربلاء والنجف مؤخرا، أو في حالة إعلان نائب من محافظة صلاح الدين أن عناصر «سرايا السلام» التابعة للتيار الصدري، أجبرت القوات الأمنية على السماح بدخول زوار إيرانيين إلى مدينة سامراء رغم حظر التجوال، وغيرها الكثير من الحالات الأخرى. كما أقر مسؤولون حكوميون عراقيون، بأن المحاصيل الزراعية والغذائية الإيرانية ما زالت تتدفق على المدن العراقية، رغم وجود مخاطر من انتقال فيروس كورونا من خلالها.

ويقر العراقيون أن حكومتهم تقودها أحزاب وقوى موالية معظمها لإيران، وان تلك الأحزاب متغلغلة أو لها نفوذ على السلطات الحدودية والأمنية، ولذا فإن أي قرار يتعارض مع مصلحة إيران، سيتصدى له أصدقاؤها وحلفاؤها ويفشلوه حتى إذا صدر من أعلى المراجع الحكومية، وبالتالي فإن ادعاء حكومة بغداد سيطرتها على تفشي كورونا سيذهب أدراج رياح القرار الإيراني بإعادة تدفق زوارها نحو المدن العراقية، وهو القرار الذي سيدفع ثمنه العراقيون من صحتهم وحياتهم التي لا تقيم لها أحزاب السلطة أي اعتبار مقابل ارضاء حليفها الشرقي المهووس بزيارة المراقد الشيعية المقدسة.

إيران، أن إصابات كورونا فيها جاءت من مواطنين زاروا إيران، ولذا قررت العديد من بلدان المنطقة غلق حدودها معها. وتشير الإحصائيات عن تفشي وباء كورونا في إيران بنسبة تفوق الألف إصابة يوميا، حيث تجاوزت 74 ألف إصابة مؤكدة، توفي منها 4683 مصابا، وفق الأرقام الرسمية الإيرانية التي تؤكد مصادر محلية ودولية أنها أقل بكثير من الأرقام الحقيقية.

رئيس الوزراء المستقيل عادل عبد المهدي، الذي يتفاخر بأن حكومته حققت «انجازات» في التعامل مع الوباء في العراق، وينفي التقارير الدولية والمحلية عن إخفاء حكومته الأعداد الحقيقية لوفيات كورونا، أعلن تمديد حكومته أجل حظر دخول الأجانب القادمين من إيران، إلا أنه سيكون أمام امتحان معروف النتائج مسبقا، عندما يواجه إصرار طهران على تنفيذ قرارها استئناف إرسال الزوار الإيرانيين إلى الأماكن المقدسة في العراق، الذي له دوافع سياسية واقتصادية معروفة تخدم نظام طهران، ولا تعير اهتماما للمخاطر المؤكدة في تفشي الوباء في العراق، الذي سجل 1415 إصابة بفيروس كورونا بينها 79 وفاة، حتى يوم 15 ابريل/نيسان الحالي. فيما أعلنت منظمة الصحة العالمية، أن العراق ثاني بلد من حيث عدد الوفيات بعد إيران في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

ولا يخفي العراقيون مخاوفهم هذه الأيام، من



Volume 31 - Issue 9879 Sunday 19 April 2020

# «زحمة» لجان واستشارات في الأردن «قد تعيق الحركة» وتحذيرات من اللعب «مع الكبار فقط»

**ثمة أدلة على أن الحكومة تتجه إلى اللعب مع كبار السوق وهذا مفهوم قياسا باتساع الأزمة، لكنه محفوف بالمخاطر وأهم مؤشراته السلبية الحاجة لتوليد لجان استشارية بمبرر وبدونه.**

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

إجراءات الوقاية في عمان

لا يمكن فهم الأسباب التي تدفع رئيس الوزراء الأردني الدكتور عمر الرزاز لتشكيل «لجنة استشارية» عريضة في زمن فيروس كورونا تحاول التزاحم مع الطاقم الوزاري وبقية اللجان الاستشارية ومؤسسات الدولة عندما يتعلق الأمر بوصايا وتوصيات ليست من الصنف المعقد.

ولا يمكن في المقابل فهم إيجابيات توسيع قاعدة التشاور عبر لجان من الصعب فهم تركيبتها في توقيت أظهر فيه الشارع الأردني ميلا واضحا لدعم وإسناد الدولة ومؤسساتها السيادية وحتى الحكومة في بعض الأحيان جراء الأزمة الضاغطة على جميع الأوتار والأعصاب المشدودة.

للرجل – ونقصد الرزاز– على الأرجح تقديرات لا يفهمها الجميع.

لكن الواضح وبعد قراءة معطيات الواقع الموضوعي أن الغالبية الساحقة من تفعيلات القرارات والتوصيات التي تقررت حكوميا مؤخرا كان لها علاقة مباشرة بما ورد في تقرير ناضج ومعمق صدر عن المجلس الاجتماعي والاقتصادي التابع لرئاسة الوزراء أصلا، ما ينتج المزيد من التساؤلات حول مبررات إنتاج المزيد من «زحام اللجان».

وعمليا وموضوعيا وبالنص يعمل المجلس الاقتصادي الاجتماعي كمطبخ وبيت خبرة، يقلب الأوراق والتفاصيل ويقدم للحكومة توصيات منذ عدة سنوات، وأنتج المركز في ظل قيادة ورئاسة شخصية منتجة وبارزة يمثلها الدكتور مصطفى الحمارنة، مؤخرا وقبل أزمة كورونا لتفعيل «حوار وطني تفصيلي» جريء لا يقف عند عرض المشكلات والتشخيص ويتجه نحو المعالجات والحلول.

حتى عندما أطلت أزمة الفيروس برأسها مؤخرا على البلاد والعباد، جمع المجلس بإشراف الحمارنة ونخبة من الخبراء في جميع القطاعات حصيلة الخبرة وزود الحكومة بتقرير مفصل عن ما ينبغي فعله بخصوص تحريك قطاعات الإنتاج وحماية الاقتصاد وحتى تحصين المجتمع وتثقيفه صحيا.

في كل حال اطلعت «القدس العربي» مبكرا على تفاصيل التقرير قبل إعلان حيثيات أمر الدفاع «رقم 9» المتعلق بترشيد الإنفاق وحيثيات دعم عمال المياومة والشرائح الأقل حظا وكيفية تدبير المزيد من التمويل الفعال لدعم برامج وزارة الصحة بما في ذلك الاقتطاعات والتبرعات المقترحة.

حرفيا وإلى حد بعيد أعلنت الحكومة قرارات وإجراءات وحتى أوار دفاع منطقة من هضم ما ورد من توصيات في تقرير المجلس الاجتماعي الاقتصادي قبل نحو أسبوعين على الأقل في إشارة على أولا «حيوية» مؤسسات الإسناد وطبخ التوصيات الموجودة والفاعلة.

وثانيا على وجود خبرات داخل الحكومة وأجهزة الدولة توحي بأن الحاجة قد لا تكون «ملحة» لتشكيل العديد من اللجان الاستشارية خصوصا في غياب سلطة البرلمان وفي مرحلة حساسة وحرجة تحتاج خبرات بيروقراطية وطبقة من رجال الدولة أكثر من حاجتها لمغامرين أو «تجارب» أو حتى «أخطاء» إدارية على قاعدة حسن النية، أو تعقيدات المشهد وصعوبة وضخامة الأزمة.

عمليا قام المجلس الاجتماعي بواجبه زاهدا بكل الزحام والأضواء وتقدم بوثيقة استفادت منها الحكومة وبوضوح.

لكن بعيدا عن تلك الاعتبارات وعن المجلس ووثيقته، لاحظ المراقبون زحاما يحتاج للشرح بتراكم عدد اللجان الاستشارية أو الفنية التي تشكل مع قطاع متسع وأحيانا متنافس مع رموز في القطاعين العام والخاص.

ويحذر بعض الساسة من «زحمة الاستشارات» واللجان باعتبارها قد لا تكون مؤشرا على حيوية الحكومة ومرونتها، فالمطلوب وفقا لتعبير نقيب المهندسين أحمد سمارة الزعبي تحريك الإدارة والقطاع العام بحيوية وبرؤية «أنضج» قبل تحريك القطاع الإنتاجي.

والمطلوب حسب ما فهمت «القدس العربي» من الزعبي «مشاركة» أكثر من «مشاورات» يمكن للزمة أن تعيقها وهي مسألة انتبه لها مبكرا خبير صناعي واقتصادي بارز من وزن موسى الساكت، لفت النظر مبكرا إلى إن الأولوية للشراكة ينبغي أن تصبح وليس لـ«التشاور» محذرا من أن كلفة المعركة مع الفيروس ستكون كبيرة إذا لم تتعمق ملامح تلك «التشاركية».

لكن ما تفعله الحكومة وحتى بعض المؤسسات التوسع في المشاورات بهدف «إرضاء غالبية الأطراف» وهو هدف يصلح في رأي خبراء سياسيين كبار لتعزيز قواعد الاستقطاب السياسي والشعبوي أكثر مما يصلح لإحداث تغيير بنيوي في تأسيس خطط وبرامج على مستوى التحدي الذي يفرضه كورونا وتداعياته.

هنا وفي هذه المساحة واضح أن الحكومة الحالية لم تهتد بعد للمحطة الأكثر إنتاجية وتفويها مشاورات اللجان وقواعد التشاور مع بعض كبار أركان الغرف الصناعية والقطاع المصرفي من دون إشراك بقية القطاعات في استراتيجية يصر الساكت على أنها تتطلب الحذر والانتباه فعلا، حيث في الساحة عدد كبير من الشركات المتوسطة والصغيرة.

ثمة أدلة على أن الحكومة تتجه إلى اللعب مع «كبار السوق» وهذا مفهوم قياسا باتساع الأزمة، لكنه محفوف بالمخاطر وأهم مؤشراته السلبية الحاجة دوما لتوليد لجان استشارية هنا وهناك بمبرر وبدونه في بعض الأحيان مما يتسبب في التزاحم اللجاني والاستشاري بحيث يصبح «إرضاء الجميع» غاية لا يمكن إدراكها.

# اليمن: التوتر العسكري يتصاعد بين ميليشيا الانتقالي الجنوبي

**أشارت مصادر إلى تعرض أحد عناصر ميليشيا الانتقالي في شبوة الموالية للإمارات، لإصابات بليغة أثناء المواجهات المسلحة بين قوات إماراتية وقوات سعودية عند مداخل ميناء بلحاف في محافظة شبوة.**

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

تصاعد التوتر العسكري خلال اليومين الماضيين بين الميليشيا التابعة للمجلس الانتقالي الجنوبي في اليمن، المدعومة من دولة الإمارات العربية المتحدة وقوات الحكومة الشرعية المسنودة من المملكة العربية السعودية، في محافظات عدن وأبين وشبوة، بالإضافة إلى محافظة أرخبيل سقطرى.

وقالت المصادر المحلية في هذه المحافظات إن ميليشيا المجلس الانتقالي صعدت من تحركاتها العسكرية في العديد من المحافظات الجنوبية اليمنية وفي مقدمتها عدن وابين وشبوة بالإضافة إلى محافظة جزيرة سقطرى، التي شهدت توترا عسكريا واسعا إثر عمليات تمرد عسكري من قبل وحدات عسكرية حكومية أعلنت ولاءها للمجلس الانتقالي.

وذكرت العديد من المصادر أن دولة الإمارات دعمت ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي بعربات ومعدات عسكرية إضافية والتي وصلت أمس الأول إلى محافظة عدن لتعزيز قواتها العسكرية في المحافظات المجاورة، التي تشهد توترا عسكريا متصاعدا بين ميليشيا المجلس الانتقالي والقوات الحكومية.

ونسب موقع «المصدر أونلاين» الإخباري المستقل إلى مصدر عسكري قوله إن «تعزيزات عسكرية (إماراتية) وصلت إلى مدينة عدن في ساعة متأخرة من مساء الجمعة، قادمة من مدينة المخا، دعما لقوات المجلس الانتقالي الجنوبي».

وأوضح أن هذه التعزيزات العسكرية التي وصفها بـ(النوعية) تضم «أسلحة ثقيلة ومتوسطة وراجمات صواريخ وأسلحة أخرى لم يتم التعرف عليها»، والتي وصلت بعد منتصف ليل الجمعة السبت بشكل غير معلن إلى مدينة عدن في الوقت الذي فرضت فيه سلطة المجلس الانتقالي حظر التجوال في المدينة، والتي تم توزيعها «إلى مواقع عسكرية تابعة للمجلس الانتقالي في مديريتي البريقة والتواهي» بمحافظة عدن.

وذكر أن بعضا من هذه الأسلحة الذي نُقل إلى محافظة عدن من مدينة المخا على الساحل الغربي لليمن، الخاضعة لسيطرة قوات العميد طارق محمد عبد الله صالح، شقيق الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، المدعومة من دولة الإمارات والمتحالفة مع ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي، وصلت في وقت سابق إلى ميناء المخا عبر سفينة إماراتية يعتقد أنها قدمت من إحدى القواعد العسكرية التابعة لأبو ظبي في البحر الأحمر.

# المدعومة إماراتيا والقوات الحكومية المسنودة سعوديا

وقالت المصادر إن هذه التعزيزات العسكرية الإماراتية لميليشيا المجلس الانتقالي في عدن جاءت بالتزامن مع التصعيد العسكري للمجلس الانتقالي ضد القوات الحكومية في أكثر من محافظة جنوبية، ومنها محافظة أبين وشبوة، والتي شهدت خلال الأسبوع المنصرم عمليات تصعيد عسكري في مناطق التماس بين ميليشيا المجلس الانتقالي والقوات الحكومية في مدينتي زنجبار وشقرة في محافظة أبين، المجاورة لمحافظة عدن.

وارتفعت وتيرة التصعيد العسكري من قبل ميليشيا المجلس الانتقالي بعد تعثر تنفيذ البنود المتعلقة بالجانب العسكري في اتفاق الرياض الموقع بين الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي نهاية العام الماضي، وفشل مساعي التهدئة في محافظة أبين تقودها لجنة عسكرية بعد ارتفاع حدة التوتر بين الجانبين الحكومي والانتقالي تتعلق برفض ميليشيا المجلس الانتقالي الانسحاب من مدينة زنجبار، عاصمة محافظة أبين، وفقا لبنود اتفاق الرياض، مشترطةً مقابل ذلك انسحاب وحدات من قوات الحماية الرئاسية التابعة للحكومة الشرعية من مدينة شقرة المحاذية لمدينة زنجبار في محافظة أبين.

وفي تصعيد عسكري غير مسبوق اندلعت مواجهات محدودة بين قوات سعودية وميليشيا المجلس الانتقالي في محافظة شبوة، عند ميناء بلحاف النفطي لتكرير وتصدير ميناء اليمني المسال، إثر خلاف على الادارة الأمنية لهذه المنشأة التي تعد الأكبر في اليمن، والتي تحتلها القوات الإماراتية والميليشيا الموالية لها التابعة للمجلس الانتقالي.

وأشارت المصادر المحلية إلى تعرض أحد عناصر ميليشيا المجلس الانتقالي في شبوة والتي يطلق عليها هناك «قوات النخبة الشبوانية» المدعومة والموالية للإمارات، إصابات بليغة أثناء المواجهات المسلحة التي اندلعت بين قوات إماراتية وقوات سعودية عند مداخل ميناء بلحاف في محافظة شبوة.

وأوضحت أن هذه المواجهات بين الجانبين اندلعت على خلفية مشادات كلامية اشتعلت بين عسكريين سعوديين وعناصر من النخبة الشبوانية الذين يتولون حراسة مدخل ميناء بلحاف، وذلك بسبب رفض القوات السعودية للتصرفات الأمنية للقوات الإماراتية والنخبة الشبوانية في ميناء بلحاف والتي حولوها إلى معتقل كبير للمناهضين للسياسة الإماراتية في اليمن، والتي أثيرت على مستوى أوروبي، نظرا لأن شركة توتال الفرنسية هي المالك الأكبر لميناء بلحاف لتكرير وتصدير الغاز المسال، والمغلقة منذ احتلالها من قبل القوات الإماراتية قبل أكثر من ثلاث سنوات.

وعلى الرغم من أن قوات الجيش والأمن الحكومي تدخلت لاحتواء الأزمة بين الجانبين وايقاف الاشتباكات بينهما التي استمرت لعدة ساعات، إلا ان الوضع ما زال متوترا بين الجانبين ومرشحا للانفجار في أي لحظة.

وكانت السلطة المحلية في محافظة شبوة طالبت مرارا التحالف العربي في اليمن بقيادة السعودية إخلاء ميناء بلحاف من القوات الإماراتية التي تسيطر عليه بدون مبررات، وذلك في محاولة لإعادة تشغيلها وتصدير الغاز عبرها لتغطية العجز في ميزانية الدولة في ظل الأوضاع الاقتصادية المنهارة في اليمن.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9879 الأحد 19 نيسان (أبريل) 2020 – 25 شعبان 1441 هـ

### محاولا حسم المماطلة وابتزازات اللحظة الأخيرة

# غانتس ينذر نتنياهو بضرورة توقيع اتفاق ائتلافي ويهدد بتشريع قوانين معادية له

نتنياهو

غانتس

**تنذر الانقسامات العميقة داخل الكنيست باستمرار أطول جمود سياسي تعيشه البلاد خاصة فيما بات خيار الانتخابات الرابعة واقعيا رغم أن الإسرائيليين يرونه كابوسا.**

**الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة**

في محاولة لوقف المماطلة والخروج من الدوامة الائتلافية في دولة الاحتلال، أنذر رئيس حزب «أزرق–أبيض» بيني غانتس رئيس حكومة الاحتلال ورئيس حزب «الليكود» بنيامين نتنياهو بأنه سيكون في حل من المفاوضات غدا الإثنين في حال لم يتم توقيع اتفاق ناجز بينهما لتشكيل حكومة جديدة. يأتي ذلك على خلفية اعتقاد «أزرق–أبيض» بأن نتنياهو غير راغب بالاتفاق القاضي بتقاسم رئاسة الحكومة والحقائب الوزارية، ويحاول ابتزاز غانتس طمعا بالاستئثار برئاسة الحكومة بدون تقاسم، لا سيما أنه يرى تراجع مكانة وقوة غانتس بعد انشطار تحالفه لشطرين بعد إقدامه قبل شهر على دخول خط التفاوض مع نتنياهو لتشكيل حكومة طوارئ بسبب تفشي وباء كورونا رغم معارضة نصف نواب تحالفه. وتعبيرا عن خيبة أمله وضعفه كتب غانتس أمس في حسابه في فيسبوك، أنه غير متأكد من الوصول إلى تشكيل حكومة طوارئ، حتى في ظل تفشي فيروس كورونا. وقال: «منذ إجراء الانتخابات، هناك لعبة مزدوجة من قبل مختلف الأحزاب في النظام السياسي». وأضاف موجها اتهامات بالتلميح لنتنياهو: «أي شخص يقلق بشأن إسرائيل لا يجرّ دولة بأكملها إلى حملة انتخابية خلال أزمة غير مسبوقة. إلى اليوم، لا أعرف كيف أخبركم ما إذا كنا سننجح في تشكيل الحكومة أم لا، يمكنني أن أخبركم أنني وشركائي نقوم بكل ما هو ضروري، حتى تخرج الدولة من واحدة من أكبر الأزمات التي مرت بها منذ نشأتها». ويهدد «أزرق–أبيض» بطرح مشاريع قوانين يخشاها نتنياهو وأبرزها منع أي نائب من تشكيل حكومة في حال كان متهما بتهم جنائية، أو منع أي رئيس حكومة مستقبلا من إشغال أكثر من ولايتين. لكن مثل هذه القوانين لم يمكن تمريرها بدون دعم المعارضة لغانتس التي تشترط عليه الطلاق من نتنياهو أولا وبدون رجعة قبل أن تنضم لمشاريعه مؤكدة رفضها استغلالها من قبله للضغط مجددا على نتنياهو. ولذا قال رئيس حزب «إسرائيل بيتنا» أفيغدور ليبرمان «هذه ليست حكومة وحدة وطنية، إنها حكومة نتنياهو مع حزب آخر» مضيفاً أنه «ربما بالفعل عديم الخبرة في السياسة، ارتكب خطأ، على أمل أن يستمر في ارتكاب المزيد منها، ولا نرى أي إمكانية لدخول حكومة تحت قيادة نتنياهو». كما توجه غانتس لكتل اليمين بلهجة توسل بقوله «خسارة أن نذهب مجددا لانتخابات رابعة». وعلى خلفية الطريق السياسي المسدود وجه غانتس انتقادات غير مباشرة لنتنياهو في صفحته أمس «لا أعرف إذا ما ستقوم حكومة لأن هناك جهات سياسية تلعب لعبة مزدوجة ومن يريد تبذير مليارات على انتخابات جديدة فليقل ذلك وبحال فرضت علينا لا سمح الله سنخوضها برأس مرفوع فالجميع يعرف أننا لم ندخر جهدا للخروج من الدوامة هذه». أما نتنياهو فيؤكد عدد كبير جدا من المراقبين الإسرائيليين أنه يكترث بتعهدات سابقة لرئيس «أزرق–أبيض» بيني غانتس ولا يخشى تهديداته، بيد أنه يخشى أكثر المحكمة الإسرائيلية العليا ومن إقدامها على الاستجابة للالتماسات متوقعة لمنعه من إشغال رئاسة الحكومة لكونه متهما بتهم جنائية. ولذا فإن نتنياهو الذي لا يتردد في اعتماد مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» لجأ أمس لمحاولة ترهيب المحكمة العليا بضربة استباقية بتسريبات صحافية مفادها أنه سيدعو لعصيان ولعدم المشاركة في انتخابات عامة في حال حالت المحكمة دون تشكيله حكومة وشق الطريق لانتخابات رابعة. وهذا ما دفع صحيفة «هآرتس» للقول أمس إن نتنياهو غير راغب في حكومة وحدة، بل يبحث عن حكومة تكون قادرة على تشريع قوانين تقيد عمل المحكمة العليا وتخضعها كما يحلم هو وبقية أحزاب اليمين. وتابعت «بات واضحا الآن أن نتنياهو لا يريد مكافحة كورونا بل الانتصار على المحكمة العليا، فهو يواصل اشتراط الاتفاق مع «أزرق–أبيض» قبول منح حزبه الليكود حق النقض الفيتو على قرارات اللجنة الخاصة لتعيين القضاة». وتوضح أنه مع مضي الوقت يتبين أن دعوة نتنياهو الدراماتيكية قبل شهر لتشكيل حكومة وحدة «بسبب حالة الطوارئ والعدوى الخطيرة» ليست سوى «نكتة سيئة» سيسدد ثمنها الإسرائيليون. ويرجح عدد من المراقبين المحليين أن نتنياهو يسعى لإخضاع المحكمة العليا بالتهديد بدعوة أنصاره للخروج للشوارع وفي الوقت نفسه ابتزاز غانتس الذي تورط بحالة بائسة لا يستطيع فيها التقدم مع نتنياهو ولا العودة لتحالفه الأصلي. ويضيفون أنه في حال لم ينجح بذلك سيذهب لانتخابات عامة خاصة أن استطلاعات الرأي تبتسم له فيما يتحطم خصومه السياسيون، وهذا ما دفع رئيس المخابرات العامة «الشاباك» يوفال ديسكين لقيادة تظاهرة رفع رايات سوداء في تل أبيب أمس الأول احتجاجا على ما وصفه محاولات نتنياهو لإحداث ما يتعدى العصيان–القيام بانقلاب على الديمقراطية. وتنذر الانقسامات العميقة داخل الكنيست المؤلف من 120 مقعدا باستمرار أطول جمود سياسي تعيشه البلاد خاصة فيما بات خيار الانتخابات الرابعة واقعيا رغم أن الإسرائيليين يرونه كابوسا نظرا لتفشي كورونا وحالة الانهيار الاقتصادي واشمئزازهم من الذهاب لانتخابات مرة تلو المرة، وفي ظل غياب شكل واضح لائتلاف قابل للحياة، خاصة بعد إحالة الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين الخميس مهمة تشكيل حكومة على الكنيست بعد فشل بيني غانتس في التوصل إلى اتفاق على حكومة ائتلافية مع نتنياهو. وبهذا المضمار نقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن مصادر في الليكود قولها إنه «ليس بالإمكان التوقيع على اتفاق من دون أنظمة تضمن ولاية نتنياهو على الرغم من الورطة القانونية». منوهة لرفض حزب غانتس، خلال المفاوضات الائتلافية، توفير شبكة أمان لنتنياهو من خلال سن قوانين تلتف على المحكمة العليا أو إلغاء قراراتها، في حال قررت المحكمة خلال نظرها في التماسات، منع نتنياهو من تولي رئاسة الحكومة. وأكدت هي الأخرى ما جاء في صحيفة «هآرتس» بأن بعض قادة «الليكود» أخذتهم الدهشة وهم يكتشفون أن أقوال نتنياهو في الغرف المغلقة ضد الجهاز القضائي مشابهة للأقوال الأكثر تطرفا التي يعبر عنها مؤيدوه في الشبكات الاجتماعية وغلاة أنصاره المتطرفون خاصة ضد محكمة العدل العليا المتهمة من قبلهم بمحاولة الإطاحة به.



Volume 31 - Issue 9879 Sunday 19 April 2020

# اتهامات المؤامرة بشأن نشأة فيروس كورونا تحتد بين الصين والغرب وتدشن الحرب الباردة بينهما

**هناك فرضيتان، الأولى هي الاتهامات التي وجهتها الصين إلى الولايات المتحدة بتحميلها مسؤولية نشر الفيروس والثانية في رد بعض الدول الغربية ويؤكد مسؤولية الصين في انتشار الفيروس.**

**د. حسين مجدوبي**

دخل ملف فيروس كورونا «كوفيد–19» الذي تحول إلى وباء عالمي، مرحلة جديدة من الغموض والصراع الدولي بين الصين والغرب، وذلك بعدما بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حملة منسقة بتحميل الصين المسؤولية المادية والمعنوية وراء انتشار هذا الفيروس الذي جعل العالم يعيش فيلم رعب حقيقي. وهذه التطورات ستقود حتما إلى حرب باردة جديدة لاسيما في ظل بدء الحديث عن انتصار الصين وتراجع الغرب ولاسيما الولايات المتحدة.

### الغلبة لمؤامرة الواقع

ينتقد أحد كبار المدراء الفرنسيين في عالم الاستخبارات آلان جوبيه في حوار منذ شهور أجرته معه قناة «تنكير فيبو» التي تبث رقميا في الإنترنت فقط قصر نظر وسائل الإعلام الدولية ومنها الكلاسيكية المعروفة التي تأخذ أجندتها عموما مما تقدمه وكالة الأنباء الدولية. ويرى تقصيرا في أغلب وسائل الإعلام بحكم عدم بحثها عما ما وراء الخبر والتأمل في الأبعاد التي قد يصبح عليها، ثم عدم رؤية بعض الأخبار الهامة التي تمر بدون اهتمام كبير لكنها تكون أساسية في أجندة الاستخبارات.

وعليه، هكذا نجد أنه بينما تنخرط وسائل الإعلام في تتبع أرقام المصابين والوفيات بسبب كورونا فيروس، واهتمامها بقلق الشركات من الوضع الحالي للاقتصاد، كانت الاستخبارات الدولية الكبرى تركز على فرضية رئيسية وهي: هل كورونا فيروس طبيعي أم فيروس متحكم فيه؟ هل تقف وراءه دولة ما أم هو نتيجة انفلات من مختبر بسبب ضعف إجراءات الاحتياطات والمراقبة؟

ويأتي اهتمام الاستخبارات والمؤسسات العسكرية بهذه الفرضيات بحكم تصورها الشامل للأمن القومي للبلاد القائم على الأسس الحقيقية للجيوبولتيك. وهي مفاهيم تغيب في التعامل اليومي في وسائل الإعلام وكثير من مراكز التفكير الاستراتيجي بل حتى لدى بعض الدول المتوسطة والصغيرة التي لا تمتلك مشروعا قوميا. وعندما يحضر مثل هذا القلق القومي في وسائل الإعلام يتم التعامل معه على أساس اتهامه إلى ما يسمى تبخيسا «فكر المؤامرة».

وتوجد حتى الآن فرضيتان، الأولى وهي الاتهامات التي وجهتها الصين إلى الولايات المتحدة بتحميلها مسؤولية تعمد نشر الفيروس في الصين منتصف تشرين الأول/نوفمبر الماضي خلال الألعاب العسكرية العالمية في ووهان ومنه انتقل إلى العالم. وتتجلى الفرضية الثانية في الرد على الهجوم الصيني وهو الرد المنسق بين بعض الدول الغربية ويؤكد مسؤولية الصين في انتشار الفيروس وإن كان بشكل غير متعمد. وتتسلح كل فرضية بأطروحة علمية.

### الفرضية الصينية

عندما كانت الصين تعاني من انتشار الفيروس، ظهرت أصوات حكومية تتهم الولايات المتحدة بالتسبب في انتشار الفيروس بشكل متعمد لضرب القوة الاقتصادية الصينية وعرقلة تحولها إلى الدولة الأولى خلال العقد المقبل. وجاء الاتهام في تغريدة للناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الصينية تشاو لي جيان يوم 13 آذار/الماضي الماضي بقوله «متى ظهر المرض في الولايات المتحدة؟ كم عدد الناس الذين الجيش الأمريكي الوباء إلى ووهان، تحلوا بالشفافية وأعلنوا بياناتكم، أمريكا مدينة لنا بتفسير». الرواية الصينية تتهم البنتاغون بتطوير الفيروس في مختبر في ولاية ميريلاند جرى إغلاقه في ظروف غامضة خلال الصيف الماضي.

وترتكز الفرضية الصينية على عالم كبير وهو تشونغ نان شان الرئيس السابق للهيئة الطبية في الصين والعالم الذي كان وراء اكتشاف فيروس سارس سنة 2003 الشبيه بكورونا فيروس قال منذ أيام «كورونا فيروس جرى رصده في الصين بالفعل ولكن لا توجد أدلة على أنه صيني المصدر» وهو بهذا يؤكد على وصول الفيروس من الخارج. ويعد هذا العالم مرجعا في عالم الفيروسات المتعلقة بالتنفس.

### الفرضية الغربية

وبعد مرور شهر على الاتهام الصيني للولايات المتحدة، بدأ الغرب وخاصة المحور الثلاثي «الولايات المتحدة–فرنسا–بريطانيا» بتوجيه اتهامات إلى الصين وتحميلها مسؤولية هذا الفيروس. ولا يعتمد الاتهام الغربي على فكر المؤامرة المباشرة، أي اتهام الصين عمدا بنشر الفيروس بل على التستر عن وقوع حادث. وهكذا وفي يوم واحد، الخميس من الأسبوع الجاري، صدرت ثلاثة اتهامات من المحور الثلاثي ضد الصين. وجاءت أولى التصريحات من الجانب الأمريكي في تصريحات الرئيس دونالد ترامب ثم وزير خارجيته مايك بومبيو بالتركيز على الغموض الذي يلف هذا الملف.

في الوقت ذاته، قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في حوار أجرته معه «فايننشال تايمز» إن «هناك فجوات في إدارة الصين لأزمة فيروس كورونا، وقعت أشياء ولا نعرفها». وبدورها انخرطت لندن في الاتهامات، وجاءت بشكل واضح على لسان كل من رئيس لجنة الخارجية في مجلس العموم توم توجيندات ورئيس لجنة الدفاع توبياس إلوود بضرورة فتح تحقيق دولي بشأن الصين ومعرفة المريض صفر، أي أول مريض. وتلتزم دول مثل ألمانيا وإيطاليا واسبانيا الصمت، ولم تنخرط في هذا الجدل.

وتقوم الاتهامات الغربية للصين على نقطتين متشابكتين وهما، إجراء علماء صينيين تجارب على فيروس كورونا وخرجت عن السيطرة ووقع انفلات بسبب ضعف الإجراءات الوقائية في مختبر خاص بالفيروسات في ووهان. ولهذا ظهر هذا الوباء في هذه المدينة التي تعد المصدر الأول للفيروس الذي تحول إلى وباء عالمي. ويستبعد أصحاب هذه النظرية استهلاك الحيوانات في سوق بالمدينة كمصدر للوباء بحكم أن الإنسان يستهلك منذ آلاف السنين الحيوانات ونادرا ما ينتقل إليه المرض والفيروسات القاتلة.

والتفسير العلمي المساند لهذه الفرضية هو ما صدر عن الفرنسي لوك مونتانييه هذا الأسبوع وهو مرجع عالمي في عالم الفيروسات بعدما اكتشف فيروس السيدا في بداية الثمانينات وحصوله على جائزة نوبل للطب سنة 2008. وتتجلى أطروحة هذا الباحث الفرنسي في قيام بعض العلماء بمحاولة إنتاج لقاح ضد فيروس الإيدز، مبرزا وجود عناصر من فيروس السيدا «إتش.آي.في» في جينوم (المادة الجينية) لكورونا فيروس. لوك مونتانييه في حوار مع القناة الفرنسية «سي نيوز» هذا الأسبوع، يؤكد أن ما توصل إليه ليس بجديد بل هناك فريق علمي من الهند نشر دراسة في مجلة علمية حول وجود عناصر فيروس السيدا في كورونا فيروس، لكنه تعرض لضغط كبير، وجرى سحب الدراسة من المجلة. هذا الباحث، وعكس ما تناولته وسائل الإعلام الدولية، لا يتهم الصين علانية بل يؤكد وجود تجربة خرجت عن السيطرة في مختبر ما في هذا العالم، مؤكدا أن البحث العلمي المسؤول هو المؤهل الوحيد للحسم في هذا الموضوع.

ويبدو وكأن هناك تابو حول هذا الموضوع، فبعض العلماء يرون أنه ليس أخلاقيا الترويج لوجود أجزاء من فيروس السيدا في كورونا فيروس، لأن هذا سيخلق الهلع وسط الرأي العام. وكانت أخبار طبية قد انتشرت تفيد باستعمال بعض الأطباء في البدء دواء السيدا ضد هذا الفيروس التنفسي.

### مقدمة لحرب باردة

وتبقى مدينة ووهان محور هذه المؤامرة، فهي تحتضن مختبرا يعمل على عائلة كورونا فيروس، وبالتالي عملية تسرب الفيروس من المختبر إلى الشارع واردة وحصلت في الماضي في بعض المختبرات ولكنها لم تخلف أضرارا. في الوقت ذاته، يمكن التفكير في استغلال دولة ما وجود هذا المختبر وضعف الإجراءات الوقائية، وعمدت إلى نشر الفيروس.

وعموما، الاتهامات المتبادلة بشأن الفيروس بين الصين والغرب قد يتحول إلى منعطف تاريخي سيسرّع من الحرب الباردة بين الطرفين. وتستمر الصين في الاعتقاد في مسؤولية الولايات المتحدة في نشر الفيروس لعرقلة التطور الصيني وتحول هذا البلد إلى أقوى دولة. ومن جهة أخرى، تعتقد الدول العميقة في الغرب في مناورة صينية لتوجيه ضربة قاسية للاقتصاد الغربي.

هيمنة فكر المؤامرة على نشأة كورونا فيروس لاسيما بين قطبين، الغرب والصين يمتلكان قوة البحث العلمي والبروباغندا، سيجعل من الصعب في الوقت الراهن معرفة المصدر الحقيقي للفيروس، وربما في المستقبل المتوسط أو البعيد.

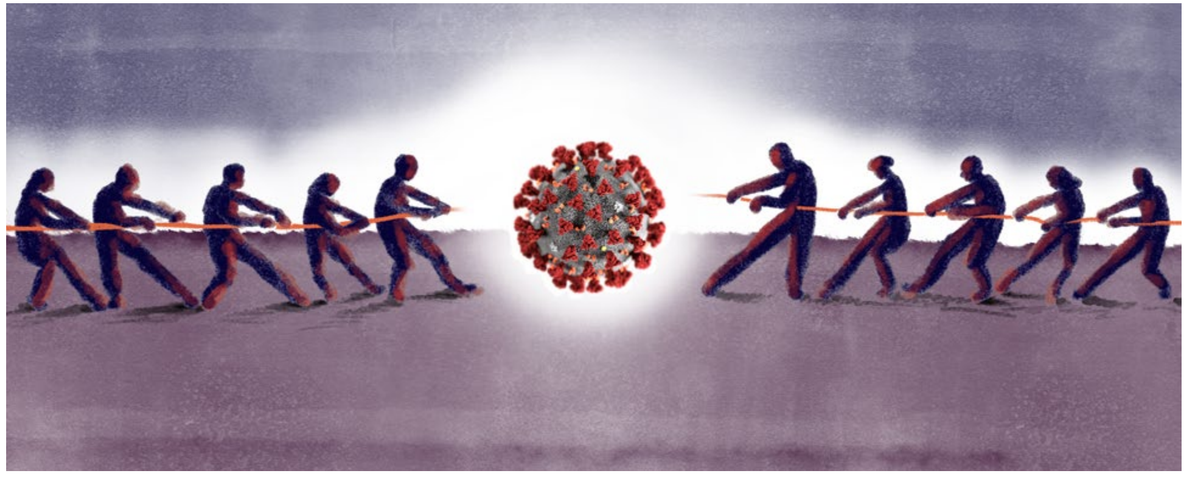

# حدث الأسبوع

## هزيمة حفتر وانكشاف «فاغنر» بين صُرمان وصبراتة

**رشيد خشانة**

إذا كان ثمة من قاسم مشترك بين مواقف العواصم الغربية من الصراع في ليبيا، فهو تجاهل ما يجري هناك، وترك الأمور تتعفن، رُبما على طريقة «اشتدي أزمة تنفرج». لكن الأزمة تتفاقم وتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والأمنية ستكون أثقل على الدولة والمجتمع من تأثير جائحة كوفيد–19 نفسها. أما ما يصدر في بعض العواصم الغربية، من بيانات هنا وهناك، فهو من باب رفع العتب، بدليل أنه كلام لا تترتب عليه أي خطوات عملية لإطفاء الحريق. وما يجري في الواقع الميداني، هو مزيد من التعفن من يوم إلى آخر، ما أوصل البلد إلى حرب مدمرة، تكاد لا تختلف عن الحربين السورية واليمنية، بل تزيد عليهما بكثافة استخدام الطائرات المسيرة. وباتت الأجواء الليبية أكبر حقل تجارب لذاك النمط من الطائرات، ومضمارا للمنافسة بين الدرون صينية الصنع، التي تقدمها أبو ظبي للقائد العسكري للمنطقة الشرقية خليفة حفتر، ومنافستها طائرات «بيرقدار» تركية الصنع، التي تستخدمها حكومة الوفاق. وقد احتجت الأمم المتحدة على استهداف قوات حفتر مناطق سكنية وهدم بيوت على رؤوس المدنيين، من دون اتخاذ أي إجراء أو عقوبة في حقه، بسبب تلويح روسيا باستخدام حق الفيتو، لمنع أي إدانة صريحة لحفتر.

### تحالف حفتر والأسد

وفي سياق تعميق هذا التحالف طفا على السطح التقاربُ المفاجئ بين حفتر والنظام السوري، حيث تبدو البصمات الروسية واضحة، بعد زيارة نائب رئيس «الحكومة المؤقتة» غير المعترف بها دوليا، ومقرها في البيضاء (شرق) عبد الرحمن الأحيرش، إلى دمشق، واجتماعه مع وزير الخارجية السوري وليد المعلم، ليعلن بعد ذلك عن معاودة فتح «السفارة» الليبية في دمشق. ومن الاستنباعات الرمزية لهذا الحلف الجديد، أن اسم مدينة حلب صار كثير التردد على ألسنة مقاتلي حفتر، الذين باتوا يحلمون بأن «تسقط طرابلس» مثلما «سقطت» عاصمة الشمال السوري. هذا هو المناخ الذي شل يد الأمم المتحدة، في ظل انشغال أوروبا بمشاكلها الداخلية وبحربها على جائحة كوفيد–19 ربما عدا ألمانيا، التي قامت بمحاولة للدفع في اتجاه حوار يضع حدا للحرب، فأخفقت المحاولة، خاصة بعد استقالة الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة غسان سلامة.

وطالما كان النفط والغاز يتدفقان من الحقول الليبية، لم تُبد الدول الغربية أي اكتراث بالحرب الدائرة في هذا البلد، وأغمضت عيونها عن الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، التي ترتقي إلى جرائم حرب. وحتى بعد غلق الحقول والموانئ النفطية، ما زال الموقف الغربي يتجاهل الأزمة الليبية، بما فيها قطع الماء والكهرباء عن سكان العاصمة طرابلس. أما الولايات المتحدة في عهد دونالد ترامب، فاتكأت على أوروبا، تاركة الملف الليبي بين أيدي حلفائها الأوروبيين، مع الاحتفاظ بخطوط تواصل مع طرفي الصراع في ليبيا، وخاصة الحكومة المعترف بها دوليا.

مقاتلو حكومة الوفاق يحتفلون بانتصاراتهم

### جواب أمريكي مُلتبس

ومما يؤكد هذا الخيار جواب السفير الأمريكي لدى ليبيا نورلاند، على سؤال صحيفة «الوسط» الليبية، في شأن إمكان اللجوء إلى عقوبات في حق المعرقلين لحل الأزمة، إذ قال إن حكومته تحتفظ بخيار فرض عقوبات إضافية على هؤلاء الذين يعملون مع مجموعة «فاغنر» الروسية، مُعتبرا أن «العقوبات وسيلة فعالة، ولكنها تستغرق وقتًا لتنفيذها». أليس هذا انسحابٌ واضحٌ من المسؤوليات الموكولة لدولة عظمى، تحظى بعضوية دائمة في مجلس الأمن، وهي مسؤولة بهذه الصفة عن الأمن والاستقرار في العالم؟ وقد اكتفى السفير بالعظة التالية، التي تليق برجل دين وليس برجل سياسي: «على الأطراف أن تبادر بتعليق الأعمال العسكرية ومجابهة جائحة فيروس كورونا، وعدم انتظار تطبيق العقوبات».

وأصبح الباحث طارق الجريسي حين كتب أن «ما يجري في ليبيا يبدو كما لو أنه لم يعد يعني أحدا. لكأن الصراع انتهى، فأوروبا تبدو غير مهتمة بالفوضى الزاحفة نحو أبوابها». ورأى المجريسي، وهو مستشار المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، أن الاستنجاد بالمرتزقة، الذين يأتون إلى ليبيا في ثوب مستشارين وخبراء عسكريين، أسوة بعناصر شركة «فاغنر» الروسية الخاصة، «يشكل التطور الأكثر مدعاة للقلق والحيرة اليوم في ليبيا». وأكد الخبير المتخصص في الشأن الليبي في دراسة جديدة، أن الجنرال المتقاعد حفتر، ليس سوى الوجه المحلي لمشروع إقليمي يُروِّج له انطلاقا من أبو ظبي» مشيرا إلى أن الحرب على طرابلس «هي ثمرة خطط أطلقت منذ 2014 لاقتفاء آثار الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي». ولاحظ أن تركيا هي الوحيدة التي ردت على ذلك التحدي، مؤكدة أنها لن تسمح بإعادة تشكيل خارطة المنطقة.

### صعوبات وانقطاعات

الأكيد هو أن الاقتصاد الليبي يجابه معضلات كبيرة في وقت واحد، منها تعثر تصدير النفط والغاز، وغلق عدد من المصانع، وشح السيولة في المصارف وفقد كثير من العاملين في القطاع الخاص مورد رزقهم، نتيجة لتوقف الإنتاج، وتقليص بعض المصارف مرتبات موظفيها، بسبب الصعوبات التي تمر بها. وتجاوزت الخسائر المالية الناجمة عن وقف تصدير النفط والغاز 4.1 مليار دولار، في أعقاب هبوط الإنتاج اضطراريا إلى أقل من 80000 برميل يوميا، بعدما كان يتجاوز المليون برميل. يُضاف إلى تراجع عائدات النفط، قطع الماء والكهرباء على المنطقة الغربية، التي تشمل سكان طرابلس المليونين. أكثر من ذلك، أعلنت الشركة العامة للكهرباء، صباح الجمعة، أن جميع مولدات الكهرباء، العاملة في محطة الزاوية، غرب العاصمة طرابلس، توقفت عن العمل بسبب قفل صمام الغاز الرئيس، الذي يمدُّ المحطة بالوقود. وأكدت أن توقف الإنتاج في المحطة يتسبب بعجز كبير عن تلبية الطلب على الطاقة الكهربائية. ثم أعلنت ظهر اليوم نفسه عن استئناف الإنتاج في المحطة، وقد نُسبت هذه العملية إلى «مجموعة مجهولة» غير أن بصمة قوات حفتر واضحة في العملية، فمن سواها يتجاسر على قفل صمام غاز بهذه الأهمية؟

### ما بعد انتهاء الحجر

من القطاعات الاقتصادية المتضررة أيضا، إضافة للنفط والغاز، القطاع الصناعي بعد اضطرار كثير من المصانع للتخلي عن عمالها، أو منحهم إجازات بنصف راتب. لكن الأصعب سيكون استئناف العمل والإنتاج، خاصة في القطاع الصناعي، بعد انتهاء فترة الحجر الصحي، فتوقيف مصنع عن العمل سهل، أما استئنافه فأمرٌ بالغ التعقيد، لأن قسما من العمال قد ينتقل إلى العمل في قطاعات أخرى، والإمكانات المالية ستغدو محدودة وشحيحة، بعد توقف عمليات البيع طيلة فترة الحجر الصحي. وتجابه المصانع صعوبات أخرى لأنها لا تستطيع الاستعداد لمعاودة الانتاج، بعد انتهاء الحجر، طالما أنها لا تستطيع الحصول على المبالغ اللازمة من الحكومة أو من المصارف، لاستيراد أدوات الإنتاج والمواد الخام التي تحتاج إليها. من هنا يبدو المشهد أكثر قتامة في المستقبل.

على أن حل كل هذه القضايا، وإن جزئيًا، يبقى مرهونا بمصير الحرب المفتوحة على طرابلس، فاستعادة مدينتي صرمان وصبراتة الاستراتيجيتين (على التوالي 60 و70 كلم غرب طرابلس) إلى جانب مدن أخرى على الشريط الساحلي الغربي، يُؤمن المنطقة الممتدة من طرابلس إلى الحدود التونسية، وهو شريان أساسي يربط العاصمة بالعالم الخارجي. واعتبر خبراء عسكريون أن السيطرة على الساحل الغربي، أهم نصر حققته القوات الموالية لحكومة الوفاق، بعد أشهر من الكر والفر، منذ السيطرة على مدينة غريان (80 كلم جنوب طرابلس) في حزيران/يونيو الماضي، والتي كانت قاعدة متقدمة لقوات حفتر. ومنذ استعادة غريان، لم تتمكن القوات المهاجمة من السيطرة على أي مدينة أخرى عدا سرت، ربما مؤقتا.

غير أن الثابت أن حفتر، الذي أعلن النفير العام، قبل أسابيع، متوعدا باقتحام طرابلس، بات بعيدا عن الوصول إليها، وأن الوعود التي أعطاها للذين استحثوه على الاسراع بحسم «معركة طرابلس» ظلت بلا إنجاز. وربما يأتي الفرنسيون بين أوائل الذين خاب ظنهم بقدرات حليفهم حفتر، وهو ما عكسته التقارير المتشائمة في الصحف القريبة من الخارجية الفرنسية عن معركة صرمان – صبراتة. كما يجوز القول إن تلك الهزيمة العسكرية كشفت النقاب عن حدود مرتزقة «فاغنر» الروس، الذين سبقت وصولهم إلى ليبيا، لتعزيز قوات حفتر، روايات خيالية عن «خبرتهم» الحربية.

لكن لا ينبغي أن تغتر حكومة الوفاق بالانتصارات التكتيكية التي تحققها قواتها، إذ أن الموازين العسكرية ما زالت متقاربة، ويبدو أنها ستظل كذلك، بالرغم من أن الإمارات تُعوض لحفتر بدل الطائرة المُسيرة طائرتين. واستطرادا فإن الحرب ستستمر سجالا، وستستمر معها الحرب على جائحة كوفيد–19 لكن من دون أمل في «هدنة صحية» قريبا.



## بين الميراج والبيرقدار: الضحية الليبية واحدة

**صبحي حديدي**

قبل أن يستقيل من منصبه في رئاسة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، توصل غسان سلامة إلى خلاصات سياسية صريحة، وأخرى دبلوماسية، وثالثة في منزلة بين منزلتين من حيث الوضوح أو الغمغمة؛ لكنه، إلى هذه جميعها، صاغ انفرادات لافتة من حيث طبيعتها التوصيفية لحال البلد، كما في قوله إنّ ليبيا «قد تكون أضخم مسرح حربي للطائرات المسيّرة في العالم». وكيف لا تكون، بالفعل، إذا كانت سماءاتها قد شهدت أكثر من 1000 ضربة بهذه الطائرات، منذ أن بدأ اللواء المتقاعد خليفة حفتر هجومه على العاصمة طرابلس، في نيسان (أبريل) 2019، وحتى نهاية العام.

ولفرام لاشر، الباحث الألماني المتخصص في الشأن الليبي ومؤلف الكتاب المتميز «تشرذم ليبيا: البنية والسيرورة في نزاع عنيف»، الذي صدر بالإنكليزية هذه السنة عن منشورات I.B. Tauris؛ كان، في مقالة نشرها مؤخراً، قد شدد على دور الطائرات المسيّرة الحيوي والفارق، سواء لجهة حسم المعارك ميدانياً، أو تعزيز مبدأ الإنكار والتحلل من المسؤولية (عند وقوع أضرار شديدة، بحقّ المدنيين غالباً) لدى جميع الأطراف الداخلية والخارجية المتورطة في النزاع. «الطائرات المسيرة رخيصة الكلفة، ومثل نشر المرتزقة تعدّ علامة فارقة للتدخل العسكري الخارجي في ليبيا»، يكتب لاشر؛ مضيفاً: أنها أيضاً تعكس الميل العريض إلى خوض الحرب بالنيابة، عن طريق استثمارات محدودة وبصمات قليلة أو منعدمة بصدد المسؤولية، وتخفيض للمخاطر على القوات النظامية، وتهرّب من الملامة...

وليس من مبالغة كبيرة في افتراض الدور الحاسم الذي لعبته الطائرات المسيرة التركية في الانتكاسات العسكرية الأخيرة، التي مُني بها جيش حفتر الزاحف على العاصمة الليبية، واحتمال انكسار كامل الحملة أو إجهاضها بمعدلات ملموسة إذا سقطت قاعدة ترهونة مثلاً. وطائرات «بيرقدار TB2» هذه، التي باتت الآن مشهورة من حيث أدائها العالي أو حقيقة أنّ مهندسها الأبرز هو سلجوق بيرقدار صهر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، انضمت سريعاً إلى «جوقة» الاسلحة التي عجّت بها سماءات ليبيا؛ ابتداءً من من الصواريخ الصينية، وطائرات الميراج 2000 ورافال وسوخوي وميغ... التي تشير إلى الجهة الخارجية المتورطة في النزاع؛ وليس انتهاءً بالـF-16 التي تستخدمها قوات حكومة الوفاق وجيش حفتر، على حدّ سواء. ويتندر الليبيون، المدنيون العزّل في الغالب، أنّ أزيز الطائرة المقاتلة أو طنين الطائرة المسيّرة يعني أنّ قذيفة ما سوف تسقط في مكان ما، وأنّ الضحية ليبية الهوية، وهذا مؤكد؛ أمّا المجهول، غير المؤكد، فإنه هوية السلاح المحلّق في الجوّ، وجنسية مَنْ أطلقه أو سيّره!

والحال أنّ السمة الأخرى التي باتت تميّز الحرب الأهلية في ليبيا هي تكريس مبدأ التنصّل من المسؤولية، رغم أنّ أنساق التدخل الخارجي واضحة وساطعة وتفقأ الأعين، عند الإمارات ومصر وفرنسا وروسيا وتركيا والولايات المتحدة؛ فضلاً عن مجموعات المرتزقة التي لا تبدو منفصلة عن أنظمة حاكمة، مثل «فاغنر» الروسية المقرّبة من الكرملين، أو فلول الجنجويد ذات الارتباط المباشر مع الجنرال السوداني محمد حمدان دقلو. وأن تتنصل دولة ما من وقائع تدخلها، الصريحة والساطعة وحتى الفاضحة، أمر لا يضطرها في المقابل إلى إعلان الاستهانة بـ«الشرعة الدولية»؛ بل، على العكس، تواصل هذه الدول تدخلها مع التشديد على التزامها المكين بالقانون الدولي والقرارات الأممية!

بهذا المعنى فإنّ المتغيرات العسكرية الأخيرة على الأرض، وفي السياقات الراهنة تحديداً من حيث انشغال العالم بجائحة كورونا ومخاطر متابعة التدخل الخارجي بكامل اللوجستيات المطلوبة، كفيلة بإعادة مَوْضَعة التوازنات السابقة التي كانت تحكم النزاع، وإعادة تقييم (وربما: تحجيم) الموقع الذي كانت قوى خارجية تنسبه إلى حفتر. وتلك معادلة جديدة قد تستدعي إعادة النظر في تفاهمات محورية كبرى حظيت برعاية دولية، مثل اتفاقية الصخيرات 2015 ذاتها، في غير صالح المشروع العسكري الجنوني لجنرال تابع مختلّ البصيرة طائش العقل.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9879 الأحد 19 نيسان (أبريل) 2020 – 25 شعبان 1441 هـ

# ليبيا: انتصار قوات حكومة الوفاق جولة من حرب أفولها بعيد

رلى موفّق

في نيسان/إبريل 2019 كانت قوات المشير خليفة حفتر التي تُعرف بـ«الجيش الوطني الليبي» وتسيطر على الشرق الليبي تزحف نحو الغرب، في وهم القدرة على انتزاع العاصمة طرابلس من قوات حكومة الوفاق المعترف بها دولياً. يومها سقطت بيدها مدينتين استراتيجيتين على الساحل هما صبراتة وصرمان (75 كيلومتراً و60 كيلومتراً غرب طرابلس). في نيسان/إبريل 2020 استعادت قوات «حكومة الوفاق» التي يرأسها فايز السراج هاتين المدينتين. قبل سنة، اعتُبر التحوّل الميداني تطوراً في معادلة الصراع العسكري لمصلحة حفتر، واليوم يُعتبر هذا التحوّل تطوراً لمصلحة السرّاج. هي لعبة كر وفر في الحروب المشتعلة، لكن المعضلة في الحرب الليبية أن ثمّة عوامل عدّة تتحكّم بها، وسط أفق يزداد انسداداً. انتصار حكومة الوفاق دفعها على الفور إلى إعلان رفض الجلوس مع المشير إلى طاولة المفاوضات السياسية، وسيفتح شهيتها لمواصلة التقدّم العسكري لاسترداد مدن جديدة من «الجيش الوطني الليبي». خسارة حفتر حكمتها ردّة فعل من جانبه تمثلت بقصف عشوائي على مناطق وأحياء سكنية في العاصمة، ولن يستكين للهزيمة.

ليست ليبيا أمام نهايات حرب أضحت، منذ سقوط نظام معمر القذافي عام 2011 حرباً أهلية بامتياز، وساحة تصفية حسابات إقليمية وتدخلات خارجية، وصراع مشاريع سياسية. ما يُقاقم من حراجة الوضع، انخراط أطراف النزاع في الحرب بدل تلقف الدعوات الأممية لوقف النار في المناطق الساخنة في العالم، أقله لمواجهة جائحة كورونا التي جعلت الإنسان يتوجّس خيفة حتى من التقاط أنفاسه. ويأتي هذا التخبّط، فيما يُسجّل الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيرش عجزاً عن تعيين ممثل له إلى ليبيا خلفاً لغسان سلامة، بعدما جوبه اقتراح تعيين وزير الخارجية الجزائري السابق والدبلوماسي المخضرم رمضان مُعزاز بمئات المقاتلين السوريين والمسيّرات والعتاد العسكري، ويحظى بدعم خجول من أميركا المنكفئة أصلاً، متمسكاً بالدفاع عن شرعية حكومته المعترف بها دولياً، وتالياً عن وجوده.

على الضفة الأخرى السراج مدعوماً مباشرة من قطر وتركيا المعارضة باعتراض متعدّد الأضلع (أميركي – روسي – فرنسي) وبعدم حماسة جزائرية لتوليه هذا المنصب.

فوسط عجز المنظمة الدولية، يقف حفتر مدعوماً عربياً من قبل مصر والإمارات بعنوان محاربة الإسلام السياسي، ودولياً من قبل الروس والفرنسيين – من تحت الطاولة – مع ما يتوفر له من إمكانات مادية وعسكرية وبشرية، إضافة إلى ما يدور في خلده من أنه قادر على السيطرة على طرابلس، وبالتالي على كامل الأراضي الليبية، مع شغف غير محدود بالسلطة، بينما يقف الليبيين لإيقاف القتال وقيام حوار وتسوية، فيما أن لا هذا حصل ولا ذاك حصل، فسيتقاتلون إلى ما شاء الله».

فتلك القوة الخارجية المرجوّة هي عملياً الولايات المتحدة الأميركية، لكنها لا تُعير المسألة الليبية كبير اهتمام. ففي زمن باراك أوباما الذي تدخّل مع حلف الأطلسي للإطاحة بالقذافي، قفلت واشنطن عائدة بعد سقوط النظام القديم، ولم تُسهم في لعب الدور الفعّال لإرساء الاستقرار السياسي في البلاد، فيما دونالد ترامب يدير ظهره للمنطقة العربية، وفي حال انكفاء عن العالم. أما الضغط المجتمعي الداخلي، فلا يزال مفقوداً.

تقهقر مفهوم التسوية، يعزوه متري من خلال تجربته الدبلوماسية التي قادته إلى توثيقها في كتاب «مسالك وعرة – سنتان في ليبيا ومن أجلها» إلى بعد ثقافي يعود إلى «منطق المغالبة» السائد في الحياة العامة الليبية غير المعتادة على منطق التسوية القائم على مبدأ التنازل، ربما لأنه مجتمع قبلي، وربما بـ«وسيلة العقاب الجماعي» فإن المواقف لا تتعدى عملياً الإدانات الكلامية وسط الانشغال العالمي بجائحة كورونا.

هذا الواقع، سيدفع إلى مواصلة قتال الليبيين إلى ما لا نهاية، ما دام لا رادع يوقف النزف المستمر، وما دام المال والسلاح والرجال والدعم الخارجي مُؤمّنين وشهوة السلطة هي الغالبة، ستزداد معالم الدولة الفاشلة في تلك الدولة الأفريقية بما لها من ارتدادات داخلية وخارجية. فلا انتصار السراج ولا خسارة حفتر يمكن البناء عليها راهناً، في هذا الوقت المستقطع من اهتمام اللاعبين الخارجيين. سنشهد جولة جديدة بعد حين في إطار الصراع على السلطة وعلى مَن سيحكم ليبيا إلى حين أن يتعب الجميع، ويأتون إلى طاولة المفاوضات من دون أوهام لإلغاء الآخر.

تُدير عائدات النفط الواقعة آباره في الشرق الليبي. ذلك أن الخسائر المالية لإغلاق المنشآت منذ كانون الثاني/يناير الماضي فاقت الأربعة مليارات دولار وتُنذر بالأسوأ.

وقد أضحى قطع النفط والمياه والكهرباء عن العاصمة جزءاً من أوراق الضغط وليّ الذراع في النزاع. ورغم ذهاب رئيسة الأمم المتحدة بالوكالة إلى وصفه بـ«وسيلة العقاب الجماعي» فإن المواقف لا تتعدى عملياً الإدانات الكلامية وسط الانشغال العالمي بجائحة كورونا.

هذا الواقع، سيدفع إلى مواصلة قتال الليبيين إلى ما لا نهاية، ما دام لا رادع يوقف النزف المستمر، وما دام المال والسلاح والرجال والدعم الخارجي مُؤمّنين وشهوة السلطة هي الغالبة، ستزداد معالم الدولة الفاشلة في تلك الدولة الأفريقية بما لها من ارتدادات داخلية وخارجية. فلا انتصار السراج ولا خسارة حفتر يمكن البناء عليها راهناً، في هذا الوقت المستقطع من اهتمام اللاعبين الخارجيين. سنشهد جولة جديدة بعد حين في إطار الصراع على السلطة وعلى مَن سيحكم ليبيا إلى حين أن يتعب الجميع، ويأتون إلى طاولة المفاوضات من دون أوهام لإلغاء الآخر.

## الوفاق تتقدم جنوبي طرابلس وميليشيا حفتر تقصف مطار معيتيقة

أعلنت قوات الحكومة الليبية، السبت، إحرازها تقدما في محاور جنوبي طرابلس، رغم قصف ميليشيا خليفة حفتر مطار معيتيقة الدولي بصواريخ غراد في العاصمة. جاء ذلك في تصريحات أدلى بها مصطفى المجعي، الناطق باسم المركز الإعلامي لعملية «بركان الغضب» تزامنا مع تواصل عملية تحرير مدينة ترهونة الاستراتيجية جنوب طرابلس.

وقال المجعي إن قوات حكومة «الوفاق» تحرز تقدما في محوري صلاح الدين، والطويشة جنوبي طرابلس، بالتزامن مع التقدم بمحيط ترهونة. وأضاف أن ميليشيا حفتر وصلتها تعليمات للانسحاب من محاور القتال بطرابلس، لذلك تقوم بقصف مطار معيتيقة الدولي والأحياء السكنية حوله، للتغطية على انسحابها.

وأشار المجعي أن سلاح الجو لا يزال يقوم بطلعات استطلاعية وقتالية في مدينة ترهونة جنوب العاصمة.

وفي وقت سابق السبت، أعلنت القوات الحكومية إطلاق عملية عسكرية لاستعادة السيطرة على ترهونة، التي تعتبر غرفة عمليات حفتر الرئيسية غربي البلاد.



Volume 31 - Issue 9879 Sunday 19 April 2020

### بين لهيب الرصاص وكابوس كورونا

# التصعيد المستمر للمعارك يفاقم معاناة الليبيين

من قصف قوات حفتر لطرابلس

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

لم تنجح محاولات فرض هدنة إنسانية في ليبيا لمقاومة وباء كورونا، في إيقاف المعارك وإسكات صوت الرصاص المجنون الذي أوقع ولا يزال أعدادا هائلة من الضحايا من المدنيين والعزل الذين دفعوا فاتورة هذه الحرب العبثية.

والمفارقة أن السلط الليبية ترعى وتتابع إجراءات الحظر الصحي المفروضة لمواجهة الوباء في عديد المدن، ولكن يبدو أن العمليات العسكرية تستثنى من «إجراءات الحظر الصحي» وكأن إرادة القتال لدى بعض الفرقاء الليبيين أقوى من صوت السلام.

لم يلتزم المشير خليفة حفتر بالهدنة التي أعلنت يوم 21 آذار/مارس الماضي. فبعد أيام قليلة فقط واصل معاركه على العاصمة طرابلس محاولا استغلال الظرف السائد، وانشغال حكومة الوفاق الوطني بمجابهة وباء كورونا لتنفيذ حلمه بالسيطرة على العاصمة. الأمر الذي دفع حكومة الوفاق لإطلاق عملية «عاصفة السلام» العسكرية ضد حفتر، والتي تمكنت خلالها من استعادة 6 مدن ومنطقتين استراتيجيتين من قوات حفتر، أبرزها صبراتة وصرمان، ما يعني سيطرتها على كامل الساحل الغربي حتى الحدود التونسية. ورغم ذلك لم تتوقف المبادرات الداخلية لإنهاء الحرب ومن ذلك مبادرة المجلس الأعلى للدولة الليبية، الذي دعا «من غرر بهم اللواء المتقاعد خليفة حفتر إلى الانسحاب والعودة لحضن الوطن» مباركا «الانتصارات التي حققها الجيش خلال الساعات الأخيرة في عدد من مدن غربي البلاد».

### أوراق ضغط

يقول المحامي والناشط الحقوقي التونسي باديس الكوباكجي لـ«القدس العربي» إن المعارك في ليبيا عنيفة جدا وتمثل جرائم حرب بامتياز، فحتى المستشفيات لم تنجُ من القصف الذي طال مخازن أدوية في طرابلس وتحديدا في منطقة السواني جنوبي العاصمة. كما تم استهداف مستشفى الخضراء في طرابلس، والمخازن التي تحتوي على معدات الحماية والوقاية من فيروس كورونا وهو ما دفع وزارة الصحة إلى تعليق العمل في المستشفى بعد قصفه 3 مرات خلال 72 ساعة، ما أدى إلى تدمير مخزن للأدوية وحجرة للعمليات وأقسام أخرى. قبل أن تعلن الوزارة استئناف العمل في المستشفى المخصص لمصابي فيروس كورونا.

ويضيف محدثنا قائلا: «هذا القصف سيزيد من معاناة الليبيين ويقلل قدرتهم على مجابهة هذا الوباء باعتبار ان المنظومة الصحية الليبية هشة وتدمرت بسبب سنوات الحروب الماضية. فبالرغم من خطورة الوباء الذي يجتاح العالم ورغم ارتفاع الإصابات في ليبيا، إلا أن ذلك لم يمنع المقاتلين من استهداف الأطقم والمعدات الطبية وارتكبوا جرائم يعاقب عليها القانون».

ويرى عديد المتابعين أن استهداف البنية التحتية الصحية هي ورقة سياسية يسعى من خلالها حفتر إلى استغلال كورونا من أجل الضغط على حكومة الوفاق والحصول على مكاسب سياسية وعسكرية جديدة.

ولم يدخر حفتر جهدا أو ورقة ضغط إلا واستخدمها في هذه المواجهة العبثية، ومنها أيضا ورقة المياه والكهرباء باعتبار أن منظومة التحكم بنقل المياه في الشويرف جنوب غرب البلاد تقع تحت سيطرة قوات حفتر. وأدى قطعها إلى حرمان أكثر من مليوني شخص في العاصمة الليبية من المياه والكهرباء في وقت يبدو فيه الليبيون أحوج ما يكونون إلى المستلزمات الحياتية الصحية الضرورية لمواجهة هذا الوباء المستفحل. وما زاد الوضع سوءا هو تعرض 600 ألف طفل، للحرمان من المياه في طرابلس منذ انطلاق المعارك.

> إرادة القتال لدى بعض الفرقاء الليبيين أقوى من صوت السلام

### عقاب جماعي

وأدانت الأمم المتحدة قطع إمدادات المياه عن العاصمة طرابلس خلال الأسبوع المنصرم بوصفه أمرا «يستحق الشجب بشكل خاص» ويجب وقفه فورا.

وقالت المنظمة إن قطع المياه هو بمثابة عقاب جماعي لملايين الأبرياء ويجب توقفه على الفور». وقد تسببت الحرب أيضا في مقتل 13 طبيبا ومسعفا وإصابة 36 آخرين، جراء استهداف المرافق الصحية وسيارات الإسعاف من قبل ميليشيا اللواء المتقاعد خليفة حفتر، منذ بدء هجومه على العاصمة طرابلس قبل أكثر من عام.

ومن الواضح أن تواصل المعارك اليوم يضعف جهود مواجهة فيروس كورونا

الذي سجلت ليبيا 35 إصابة به حتى الآن وتوفي أحد المصابين بهذا الفيروس، وتعافى 9.

### ردود دولية منددة

هذه المعارك المتواصلة كانت مثار شجب وانتقاد أطراف دولية وإقليمية، فقد دعت الولايات المتحدة الأمريكية «القادة الليبيين إلى محاربة فيروس كورونا، وليس بعضهم البعض». وحذرت السفارة الأمريكية في ليبيا، في تغريدة عبر «تويتر» من أن تصاعد العنف يؤدي إلى إطالة أمد النزاع، ويعرّض المدنيين لخطر مميت، ويحوّل الموارد عن مسار الاستجابة لجائحة كورونا.

وذلك في الوقت الذي جددت فيه بعثة الأمم المتحدة في ليبيا، في بيان دعوة المنظمة الدولية لأطراف الصراع إلى هدنة إنسانية لمواجهة الفيروس.

كما دعت مالطا الاتحاد الأوروبي لتقديم حزمة مساعدات بقيمة 100 مليون يورو (110 ملايين دولار) للحيلولة دون وقوع كارثة إنسانية بين النازحين من ليبيا، حيث يتسبب العنف المتزايد في تفاقم أثر أزمة فيروس كورونا.

### موجات نزوح جديدة

لقد دفع الليبيون بشكل عام وأهالي طرابلس بشكل خاص فاتورة هذه الحرب العبثية بعد ان كانوا حتى الأمس القريب يعيشون في كنف الهدوء بعيدا عن لهيب المعارك المحتدمة في ليبيا منذ أعوام من دون توقف. ما أدى إلى تهديم منازلهم ونزوح عديد السكان من العاصمة وضواحيها هروبا من القصف العشوائي الذي أصاب المدنيين ولم يفرق بين أعزل ومسلح. وهناك اليوم مخاوف من أن تؤدي هذه المعارك إلى موجات نزوح جديدة وهذا ما دفع بعثة الأمم المتحدة في ليبيا إلى ان تعرب عن قلقها من احتمال حدوث موجات نزوح. موضحة في بيان لها أنها تتابع ببالغ القلق التقارير التي تفيد بوقوع هجمات على المدنيين واقتحام سجن صرمان وإطلاق سراح 401 سجين من دون إجراءات قانونية سليمة أو تحقيق، علاوة على تمثيل بالجثث وأعمال انتقامية، بما في ذلك أعمال النهب والسطو وإحراق الممتلكات العامة والخاصة في المدن الساحلية الغربية التي سيطرت عليها القوات التابعة لحكومة الوفاق الوطني مؤخراً.

معتبرة أن ما يحدث يشكل انتهاكات جسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي.

كما أن هناك مخاوف لدى عديد الحقوقيين أيضا من الآثار والانعكاسات السلبية لهذه الحرب على النسيج المجتمعي الليبي خاصة انها تزيد في تعكير أجواء المصالحات التي قامت بها عديد القبائل طوال الفترة الماضية من أجل إنهاء صفحة القتال. فتقسيم الليبيين وزجهم في حرب عبثية لا يفيد سوى القوى الخارجية التي لديها أطماع في الثروة النفطية الليبية ولا يهمها مصير الليبيين أو مستقبل أطفالهم الذي يكاد يضيع تحت لهيب القصف.

### فاتورة باهظة

لقد دفع الليبيون ثمن فاتورة تواصل الأعمال الحربية من أرواحهم وأموالهم وقدرات بلادهم أيضا، فقد أدت المعارك إلى تعطل عملية إنتاج النفط. وحسب المؤسسة الوطنية للنفط التي تديرها الدولة، فإن إغلاق المنشآت النفطية في ليبيا الذي بدأ قبل حوالي ثلاثة أشهر أدى إلى خسارة البلاد إيرادات تزيد قيمتها على 4 مليارات دولار، بسبب الإقفال غير القانوني للمنشآت النفطية، خاصة بعد أن قررت قوات موالية لخليفة حفتر، إغلاق مرافئ وحقول نفط في الثامن عشر من كانون الثاني/يناير وهو ما خفض تدريجيا إنتاج البلاد من الخام إلى أقل من 100 ألف برميل يوميا، من حوالي 1.2 مليون برميل يوميا. والمعلوم أن قوات حفتر تسيطر على تأمين الحقول والموانئ النفطية في المنطقة الوسطى (الهلال النفطي) وميناء الحريقة النفطي بمدينة طبرق بالقرب من الحدود المصرية، فيما تدير تلك المنشآت مؤسسة النفط التابعة لحكومة الوفاق.

ويبدو الليبيون اليوم أمام مرحلة جديدة من العمليات العسكرية بسبب رفض بعض أطراف الصراع وداعميهم الخارجيين، هدنة إنسانية تخفف من معاناتهم وتجعلهم يتفرغون لمجابهة وباء كورونا. وكانت هذه الهدنة هي الأمل الأخير لدى عديد الشرائح الليبية التي ملت الحرب وملت سماع أصوات القصف ومشاهد الدمار ونزف الدماء المتواصل.

فهل ينجح النداء العالمي الذي أطلقته الأمم المتحدة، بعد ان فشلت المنظمة الأممية في كل مسار المحادثات السياسية الذي رعته طيلة مراحل الأزمة الليبية، بإسكات المدافع ووقف النزاعات الدائرة في عدد من بلدان المنطقة، من بينها ليبيا، في إيقاف هذه الحرب العبثية، ووضع حد لمعاناة الشعب الليبي الذي زاد فيروس كورونا من قتامتها وصعوبتها مع كل ما يحمله من تبعات صحية واجتماعية واقتصادية خطيرة خاصة في ظل جنون الحرب المستعرة والتي لا تعرف التوقف؟

# التدخلات الخارجية ودورها في إعاقة الحل في ليبيا

السراج ووزير الخارجية الإيطالي

**ماجد البرهومي**

يؤكد جل الخبراء والعارفين بالشأن الليبي، وأطياف ليبية واسعة، بعضها مغيب عن «مساعي السلام» الجارية، على أن الحل في البلد يجب أن يكون ليبيا-ليبيا بعيدا عن التدخلات الخارجية. ويتفق هؤلاء على أن هذه التدخلات هي سبب البلاء، وهي التي تعطل الحل الذي طال أمده باعتبار أن الأطراف الخارجية المتدخلة في الملف الليبي لا هم لها سوى مصالحها في هذا البلد المترامي من حيث المساحة والغني بالثروات الطبيعية والمقدر أو يكاد من السكان.

فليبيا في نظر القوى الخارجية هي غنيمة حرب وجبت قسمتها، ويسعى كل طرف لنيل القسط الأكبر من هذه العملية، أو هي فريسة لذئاب جائعة لديها رغبة جامحة في الاستفراد بها بعيدا عن باقي القطيع لنهشها. وبالتالي لن يحل الملف الليبي ما دامت هذه القوى لم تتفق بعد على نصيب كل طرف من هذه الكعكة التي تسيل اللعاب خاصة في ظل الأزمات والصعوبات الاقتصادية التي تعيشها كثير من هذه البلدان التي تتصارع على الحلبة الليبية.

فإيطاليا على سبيل المثال، وهي طرف خارجي فاعل في الملف الليبي، تشعر أطراف فاعلة في طبقتها السياسية ماضيا وحاضرا، بالضيم من القوى الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية التي حرمتها من مستعمراتها، رغم قلة هذه المستعمرات، ومن طموحها بالهيمنة على المزيد في حال الانتصار في تلك الحرب. فقد احتلت إيطاليا أهم الأراضي في ليبيا، ولكن في سنة 1947 فقدت روما جميع مستعمراتها في الخارج نتيجة لمعاهدة السلام التي أبرمتها مع قوات الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية وأصر يومها الإيطاليون على الإبقاء على إقليم طرابلس لكن طلبها قوبل بالرفض من قبل المنتصرين في هذه الحرب الكونية المدمرة.

لذلك يجد الإيطاليون، سلطة ومعارضة ورأيا عاما، أنفسهم أمام فرصة تاريخية استثنائية قد لا تتكرر مستقبلا، لاسترجاع ما يعتقدون أنه حقهم الذي سلب منهم في ثروات ليبيا واحتياطها الهام من النفط والغاز، ناهيك عن العودة عسكريا إلى الضفة الجنوبية للمتوسط. فخلافا لشعوب الجنوب فإن الذاكرة التاريخية للقوى الغربية حية لا يلفها النسيان وتتحرك هذه الدول في كثير من الأحداث بناء على هذه الذاكرة، وهو ما يفسر استنجاد القوى الكبرى في بلد بالمستعمر السابق وتفويضه للتدخل في حال اندلعت أزمة في واحدة من بلدان العالم الثالث، وهو ما يفسر أيضا حديث البعض في إيطاليا عن إحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية وعن عصر موسيليني الفاشي والتواجد الإيطالي في جنوب المتوسط.

وتصطدم السياسة الإيطالية في ليبيا بأخرى فرنسية استعمارية ترغب في ضمان نصيب من الثروة النفطية وأيضا في تأمين الحدود الشمالية للمستعمرات السابقة تشاد والنيجر وحتى مالي، وهي بلدان تؤمن لباريس حاجتها من اليورانيوم الذي يستغل لإنتاج الطاقة النووية. كما أن هناك علاقة روحية تجمع الفرنسيين بجنوب ليبيا حيث شهدت مدينة الكفرة (بضم الكاف) الجنوبية القسم الشهير للجنرال الفرنسي لوكلير خلال الحرب العالمية الثانية والمتمثل بأنه وجنوده من الفرنسيين والافارقة لن يكفوا عن القتال إلا بعد تحرير فرنسا من النازية وبعد رفع العلم الفرنسي في كنيسة سترازبورغ وذلك بعد أن استولى لوكلير على مدينة الكفرة من الإيطاليين قادما من تشاد. وبالفعل فقد نجح جنرال فرنسا الحرة في افتكاك سترازبورغ من الألمان في ملحمة وطنية تحرك وجدان الفرنسيين، واشتهر قسمه في الكفرة، وأصبحت للفرنسيين علاقة روحية مع المدينة ومع سائر الجنوب الليبي باعتبارها طالع خير والمنطلق لاستعادتهم للحرية والكرامة. ولا يقتصر الأمر على إيطاليا وفرنسا، فهناك أطراف خارجية عديدة لديها مصالح في ليبيا بعضهم يحركه النفط، وبعضهم تحركه أمجاد إمبراطوريات غابرة من دون إغفال الرغبات، وبعضهم نقل صراعاته وخلافاته مع دول أخرى إلى الحلبة الليبية لتصفية الحسابات من خلال أطراف محلية، وبعضهم وكيل لطرف خارجي آخر في تنفيذ سياساته على الأرض الليبية، وبعضهم خسر مستعمراته في أوروبا بعد هزيمته في الحرب العالمية الثانية ولديه رغبة في الولوج إلى افريقيا عبر البوابة الليبية. وجميع هؤلاء يغلبون مصالحهم بالأساس قبل مصالح الليبيين ورغبتهم في حقن الدماء والكف عن الاقتتال وتدمير البلد وبناء دولة مستقرة آمنة تضمن لهم العيش الكريم الذي يكفله نظام يؤمن بالتداول السلمي على السلطة ويضمن الحقوق والحريات.

ولعل فشل مؤتمرات باريس وبالليرمو وروما يعود إلى هذه الرغبة الجامحة للبلدان الراعية لهذه المؤتمرات في نيل النصيب الأكبر من كعكة الثروات وضمان المصالح بدون التفكير في الحل الذي يقتضي بالأساس دعوة أطراف ليبية يتم تغييبها عن هذه المؤتمرات لأنها لا تروق للطرف الراعي. ولعل السبب الأخير هو الذي أدى أيضا إلى فشل اتفاق الصخيرات أي إقصاء أطراف ليبية فاعلة قادرة على المساهمة في الحل والاقتصار على فئات لا تمثل عموم الشعب الليبي.

وفشل أيضا مؤتمر برلين لأسباب عديدة منها تركيزه على النفط وتهميشه لمسألة الاقتتال وإراقة الدماء بتوجه استعماري لافت أنبأ بالفشل منذ البداية وذلك بالإضافة لإقصائه لأطراف مهمة وفاعلة في المشهد الليبي وعدم حضور الجارة الأولى المعنية بالصراع الليبي، أي تونس، وذلك بعد التردد في دعوتها ووصول الدعوة متأخرة واعتذار رئيسها عن الحضور. ويعتبر الشعب التونسي الأكثر فهما وارتباطا، من كل شعوب العالم بما في ذلك الشعوب الجارة، بنظيره الليبي، والخضراء هي التي تتحمل عبء الصراع ومسؤولية إيواء اللاجئين الأجانب وترحيلهم عبر مطاراتها في حال تدهور الأوضاع الأمنية في ليبيا وبالتالي أثار التلكؤ في دعوتها سخرية أطراف عديدة من العشوائية التي ميزت عمل برلين التي لم تعتد دبلوماسيتها على لعب دور الوساطة وفض النزاعات بالطرق السلمية وذلك بالرغم من وزنها الاقتصادي الهام.

وانبثقت عن هذا المؤتمر الفاشل بامتياز خطة لم تجد طريقها إلى التطبيق على غرار المؤتمرات السابقة وتتمثل في تشكيل مجلسين واحد عسكري يضم ضباطاً موالين لخليفة حفتر وضباطا موالين لحكومة طرابلس، وآخر سياسي يضم 80 شخصية ليبية يكون بمثابة البرلمان المؤقت، وكلف المجلس العسكري المفترض بإعداد تصور لوقف القتال وتوحيد العناصر الحاملة للسلاح لخلق جيش وطني موحد أو مؤسسة عسكرية في البلاد. ولعل ما يحصل على الميدان اليوم في ليبيا من استقالة للمبعوث الأممي اليائس والمحبط غسان سلامة ومن تجدد للاقتتال في طرابلس رغم كورونا، دليل قاطع على فشل مخرجات مؤتمر برلين الذي اختصر ليبيا في حفتر والسراج ومن يحيط بهما.

فعلى الأطراف الخارجية المتدخلة في الشأن الليبي إن كانت لديها الرغبة في الحل، وهذا مستبعد، أن تترك ليبيا لأبنائها الذين لديهم نسيج اجتماعي وقبلي قادر على إبرام الصلح وإيجاد الحل وليس في حاجة لأي وساطة خارجية. لكن إذا أصر الخارج على تأييد بقائه عليه اشراك الأطراف الداخلية والخارجية المقصية من المؤتمرات الفاشلة السابقة وهو ما تفرضه حقائق التاريخ والجغرافيا وطبيعة الأمور. فحل الأزمات الدولية لا يتم حسب المزاج بل حسب المصالح والأوزان على الساحة وقدرة الطرف السياسي أو الاجتماعي على التأثير على الميدان. وقد فاوضت الولايات المتحدة حركة طالبان عندما اقتضت الضرورة، والألمان رغم نجاحهم الاقتصادي ما زال بينهم وبين فن إدارة الملفات السياسية الخارجية بون شاسع مثلهم مثل دول كبرى أخرى.

> على الأطراف الخارجية أن تترك ليبيا لأبنائها



# الصراع على نفط ليبيا: مؤسستان وبنكان مركزيان وانخفاض حاد في الإنتاج والإيرادات

**إبراهيم نوار**

على الرغم من أهمية الاعتبارات الجيوستراتيجية والسياسية ذات الطابع الإقليمي والدولي للصراع الجاري في ليبيا منذ سقوط حكم العقيد معمر القذافي، فإن الأطراف الرئيسية في الصراع تعتبر أن النفط هو الجائزة الكبرى التي سيفوز بها المنتصر. ونظرا لتشابك المصالح الجيوستراتيجية والاقتصادية، فإن العالم كله بكل أطرافه الرئيسية حاضر في الصراع على نفط ليبيا. ويعلم الجميع أنه لن يكون بمقدور طرف واحد أن يحصل بمفرده على الكعكة كاملة. ولهذا فإن المشهد الحالي يعبر عن توزيع المصالح والتفاهمات المتبادلة، وسعي كل قوة للفوز بالنصيب الأكبر من الجائزة الكبرى.

وتعتبر ليبيا إحدى أهم الدول المنتجة للنفط في العالم، خصوصا من حيث الاحتياطي المؤكد القابل للاستغلال التجاري. وتعود أحدث تقديرات الاحتياطي إلى عام 2016 حيث يقدر بما يتجاوز 48 مليار برميل، وهو ما يضع ليبيا في المركز التاسع عالميا، بنصيب يعادل 2.9 في المئة من الاحتياطي العالمي. هذا التقدير للاحتياطي يعتبر منخفضا جدا نظرا للتطور الهائل الذي حدث في تكنولوجيا استخراج النفط خلال السنوات الأربع الأخيرة، وتوقف عمليات البحث والتنقيب بسبب الصراعات المسلحة. وإذا أخذنا ذلك في الاعتبار، فإن كمية الاحتياطي المؤكد القابل للاستغلال التجاري في ليبيا يمكن أن تتضاعف عن الأرقام التي كانت متاحة حتى عام 2016. كذلك يجب أن نلاحظ أن تلك التقديرات لا تتضمن جزءا مهما من ثروة النفط والغاز المحتملة في المياه العميقة قبالة الشاطئ الليبي الممتد في جنوب البحر المتوسط.

وطبقا لاتفاقيات الإنتاج بالمشاركة في التكاليف والأرباح التي تمثل النموذج المتبع في العلاقات بين المؤسسة الوطنية للنفط في ليبيا والشركات العاملة في التنقيب البري والبحري، فإن ليبيا تحصل تقريبا على نصف إنتاج النفط المستخرج محليا، بينما تستحوذ الشركات الدولية على النصف الآخر. هذا يعني أننا عندما نقول إن إنتاج ليبيا النفطي يبلغ مثلا مليوني برميل يوميا، فإن نصيب الحكومة الليبية يبلغ مليون برميل فقط وليس مليونين. وتنص هذه الاتفاقيات على أن المؤسسة الوطنية للنفط هي ممثل الحكومة الليبية في اتفاقيات المشاركة، وأن عائدات تصدير النفط تذهب إلى خزانة البنك المركزي الليبي للإنفاق منها على أوجه الميزانية العامة المختلفة.

وتتركز الثروة النفطية الليبية فيما يعرف بمنطقة الهلال النفطي، وفيها أيضا أهم مصافي التكرير وأهم محطات تصدير النفط إلى الخارج. وتقع منطقة الهلال النفطي منذ عام 2014 داخل نطاق نفوذ قائد الجيش الوطني الليبي الجنرال خليفة حفتر ومجلس النواب الذي يتخذ من طبرق مقراله. وقد استطاع حفتر خلال السنوات الماضية بالتعاون مع القبائل، مد نفوذه إلى مناطق الثروة النفطية المهمة في جنوب وغرب البلاد، وتمكن فعليا من السيطرة على حقل الشرارة وهو أكبر حقول النفط الليبية، إذ يصل إنتاجه وحده إلى أكثر من 300 ألف برميل يوميا، وهو ما يعادل 25 في المئة من الإنتاج السنوي في المتوسط خلال السنوات الأخيرة والذي يقدر بنحو 1.2 مليون برميل يوميا.

لكن إنتاج النفط في ليبيا الذي هبط من أكثر من مليوني برميل يوميا قبل سقوط نظام القذافي إلى أقل من 100 ألف برميل حاليا، يتعرض للتذبذب من يوم إلى آخر بسبب الصراع بين الجماعات المسلحة المتنازعة المصالح. ونظرا لأن الدولة انهارت تماما ولم تعد موجودة بالمعنى الوظيفي للكلمة، فإن كل جماعة مسلحة أو قبيلة قوية، تستطيع أن تجمع قوتها وأن تسيطر على أحد حقول النفط لاستخدام عائداته في تمويل احتياجاتها الخاصة، أو وقف الإنتاج تماما لحرمان الدولة منه. هذا المشهد الذي يتكرر من يوم إلى آخر يتسبب عمليا في وقف الإنتاج أو في غلق أنابيب التصدير. ولهذا فإن الشركات الأجنبية العاملة في قطاع النفط والغاز في ليبيا توقفت عمليا عن الاستثمار، وتتعامل مع الحقائق على الأرض يوما بيوم حسبما يكون الأمر.

وعلى صعيد الخريطة النفطية العالمية، فإن ليبيا تدخل ضمن منظومة الطاقة الأوروبية، وتنظر دول الاتحاد الأوروبي إليها على أنها مورد رئيسي قريب جغرافيا لإمدادات الطاقة يتعين تأمينه وتعظيم الاستفادة منه. وفي ظروف الإنتاج العادية تمثل ليبيا ثالث أهم مصدر للإمدادات الأوروبية بعد كل من النرويج وروسيا. وفي هذا السياق فإن مصالح شركات مثل إيني الإيطالية وتوتال الفرنسية تمثل محركات قوية الأنشطة النفطية في ليبيا. كذلك فإن شركات النفط الأمريكية مثل كونوكو–فيليبس وهيس وماراثون واوكسيدنتال تستحوذ على نصيب كبير من ثروة ليبيا النفطية. وقد انضمت شركات النفط الروسية إلى هذا التجمع من شركات النفط الأوروبية والأمريكية العاملة في ليبيا، وتمكنت من الحصول على عقود ضخمة مبكرا وقبل سقوط نظام القذافي. خصوصا بعد الزيارة التي قام بها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عام 2008 حيث التقى العقيد القذافي واتفق معه على إعفاء ليبيا من ديون مستحقة لروسيا بقيمة 4.5 مليار دولار في مقابل موافقة القذافي على منح الشركات الروسية عقودا ضخمة للتنقيب عن النفط وإقامة مشاريع البنية الأساسية هناك. وبهذا الاتفاق أصبحت روسيا أحد اللاعبين الرئيسيين على مسرح الصراع في ليبيا إلى جانب دول حلف الأطلنطي. وهكذا فإن مصالح شركات مثل روس نفط وغاز بروم وتات نفط، تقف جنبا إلى جنب مع إيني وتوتال وكونوكوفيليبس وهيس في شرق وغرب ليبيا، بريا وبحريا ضمن امتيازات تتوزع بين الهلال النفطي في الشرق الذي يسهم بما يقرب من نصف ثروة ليبيا النفطية إلى خليج غدامس في الغرب ومناطق الامتيازات الغنية في جنوب غرب ليبيا. ويعكس هذا التنوع في خريطة المصالح النفطية في ليبيا طبيعة التشابك بين القوى المتصارعة على النفوذ.

## إيرادات النفط

وعلى الرغم من أن مجلس الأمن الدولي يعتبر حكومة طرابلس برئاسة فايز السراج هي الحكومة الشرعية في ليبيا، فإن الجنرال خليفة حفتر استطاع خلال السنوات الست الماضية أن يوسع نفوذه السياسي والاقتصادي والعسكري على حساب حكومة الوفاق الوطني في طرابلس. وبعد مرور عام على حملته العسكرية لاستخلاص طرابلس من سلطة حكومة الوفاق، فإن قواته لم تتمكن حتى الآن من اقتحام طرابلس، لكنها استطاعت توسيع سيطرتها على حقول النفط ومرافئ التصدير إلى الخارج ومراكز التحكم في إمدادات النفط عبر خطوط الأنابيب، خصوصا تلك الممتدة بين حقول النفط في الجنوب الغربي مثل الشرارة والفيل وبين موانئ التصدير. بذلك يمكن القول إن خليفة حفتر والقبائل والقوات القبلية الموالية له أصبحت تسيطر الآن على أكثر من 80 في المئة من الثروة النفطية الليبية، وهو ما يمنحه قدرا كبيرا من الموارد المالية اللازمة لتمويل مشتريات الأسلحة والذخائر لقواته، وكذلك للإنفاق على الخدمات ودفع أجور الموظفين العاملين في شرق ليبيا وغيرها من المناطق التي يسيطر عليها، ودفع مرتبات قوات الجيش التابع وإرضاء القبائل الموالية له.

في المقابل فإن حكومة الوفاق الوطني في طرابلس تبدو عاجزة عن توفير الموارد الكافية لتمويل احتياجاتها الأساسية. وتظهر أرقام الميزانية الأخيرة للعام الحالي 2020 انخفاضا حادا في الموارد، بما جعل بنود المصروفات الرئيسية في الميزانية تقتصر على دفع رواتب العسكريين ومكافآت الجماعات المسلحة الموالية للحكومة، وسداد نفقات تشغيل الأجهزة الرسمية الموجودة في طرابلس. ولم ترصد الحكومة قيمة الموارد اللازمة لسداد رواتب الموظفين وأجور العاملين في المشروعات المملوكة للدولة، كما تخلو الميزانية التي تبلغ قيمتها الإجمالية حوالي 34 مليار دولار من أي مخصصات للاستثمار أو للمشاريع العامة بما فيها النفطية.

وبعيدا عن الحصار العسكري والاقتصادي الذي تفرضه قوات الجنرال خليفة حفتر على طرابلس والذي دخل عامه الثاني عمليا منذ بدأت حملته العسكرية في 3 نيسان/أبريل من العام الماضي، فإن مؤسسات الدولة في ليبيا تتجه بقوة إلى التقسيم بين سلطتي حكومة بنغازي وحكومة طرابلس. وتتجه كل من الحكومتين إلى استكمال بناء المؤسسات الاقتصادية التابعة لها، حيث لدى ليبيا مؤسستان للنفط، وليس المؤسسة الوطنية وحدها، واحدة في بنغازي والثانية في طرابلس، كما أصبح لكل منهما البنك المركزي التابع لها. ولم يعد للبنك المركزي الليبي سلطة حصرية على النقد المصدر المتداول حاليا في ليبيا، وهو ما يعيد إلى الأذهان فصلا بائسا من فصول انهيار الدولة في العراق، عندما وصل الأمر إلى استخدام المطابع الخاصة في طباعة أوراق النقد في نهاية حكم صدام. وتعتمد حكومة بنغازي تدريجيا على أوراق نقدية مطبوعة في روسيا، في حين تعتمد حكومة طرابلس على أوراق نقدية مطبوعة في إنكلترا. وكانت ليبيا قد بدأت رسميا في التخلص من أوراق النقود القديمة التي تحمل صور العقيد القذافي منذ عام 2012. وقد أدى ذلك إلى تدهور سعر الدينار الليبي واتساع نطاق السوق السوداء التي انحدر فيها سعره أمام الدولار إلى ما يقرب من عُشر السعر الرسمي. ومن الغريب أن البنك المركزي في طرابلس قام بتقنين السوق السوداء بالحصول على علاوة استبدال عملة بنسبة 165 في المئة من السعر الرسمي!

ولا توجد لدينا تقديرات موثوق فيها لحجم الإنتاج النفطي الحالي في ليبيا. لكن الإنتاج اليومي يتراجع بشدة منذ بداية العام الحالي حتى هبط في منتصف نيسان/أبريل الحالي إلى حوالي 80 ألف برميل يوميا، وهو ما يعادل نحو 5 في المئة من متوسط الإنتاج خلال العام الماضي. وكانت مفاوضات مؤتمر برلين للسلام الذي انعقد في 19 كانون الثاني/يناير الماضي قد تضمنت محورا اقتصاديا يتعلق بضرورة تقسيم عائدات تصدير النفط بطريقة عادلة بين شرق ليبيا وغربها، حيث اشتكى الجنرال حفتر من أن حكومة طرابلس تسيطر على النسبة الأعظم من إيرادات النفط. ومنذ انتهاء المؤتمر حتى الآن، فشلت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة ليبيا في وضع آلية لتقسيم إيرادات النفط، تماما كما فشلت في تشغيل آلية مراقبة وقف إطلاق النار. وبسبب عدم التوصل إلى آلية لحل النزاع حول تقسيم إيرادات النفط، فإن الصراع على نفط ليبيا سيستمر.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9879 الأحد 19 نيسان (أبريل) 2020 – 25 شعبان 1441 هـ

# الجنرال الليبي وازدراء القانون الدولي

نيويورك – «القدس العربي»:
عبد الحميد صيام

قد تكون الانتصارات العسكرية التي حققتها قوات الشرعية التي تمثلها حكومة الوفاق الليبية في المناطق الغربية ليست بداية النهاية للجنرال المتقاعد خليفة حفتر فحسب بل نهاية كذلك لتردد المجتمع الدولي ومحاولاته اليائسة طوال ست سنوات لتأهيل جنرال الحرب الذي لا يعرف إلا لغة القتل والدمار والتعذيب والإعدامات الميدانية.

كانت بيانات الأمم المتحدة في إدانة استهداف المدنيين في طرابلس أو مرزق أو مراكز إيواء المهاجرين أو النوادي والمطارات المدنية والموانئ تدين الجريمة دون ذكر المجرم. وفي نهاية البيان يدعو الأمين العام للأمم المتحدة أو مبعوثه الخاص جميع أطراف النزاع مراعاة وقف إطلاق النار واحترام القانون الدولي والقانون الإنساني الدولي والعودة إلى العملية السياسية.

هذه اللغة بدأت تتغير قليلا في الأيام الأخيرة انطلاقا من البيان الواضح الذي حمل ما يسمى بـ «الجيش الوطني الليبي» مسؤولية استهداف مستشفى الخضراء الذي يعالج مصابي وباء كورونا إضافة إلى تعرض منطقة تاجوراء إلى قصف عنيف، واستهداف سيارة إسعاف في مصراتة بالقصف الذي أدى إلى مقتل عامل صحة. هذا الوضوح في تسمية المنتهك للقانون الدولي جاء متزامنا مع هزائم الجنرال. وكلما ضاقت الدوائر عليه وبدأت قواته تهرب أو تستسلم ومعين المدينة ينضب، سنرى مزيدا من الوضوح في الموقف الدولي في إدانته وإعادة التعامل معه على أنه مجرم حرب كما فعل المجتمع الدولي مع أمثاله من شارلز تايلور في ليبريا وفودي سنكوح في سيراليون وسلوبودان ميلوسوفيتش ورضوان كاراجك في يوغسلافيا السابقة.

## حفتر ومحاربة الإرهاب

تركت سنوات حكم العقيد القذافي الإثنتين والأربعين من الحكم الفردي المطلق بلادا خاوية بلا مؤسسات ولا أحزاب ولا مجتمع مدني ولا جيش مهني مستبدلا كل ذلك بقوات أمن خاصة به منتقاة بطريقة قبلية تدين بالولاء المطلق له وتجتث كل معارض للحكم بتهمة الثورة المضادة وخيانة الثورة. بعد سقوط حكم العقيد في تشرين الأول/أكتوبر 2011 دلفت البلاد مبكرا نحو الفوضى وتشكلت الميليشيات العديدة التي اقتطعت كل واحدة لنفسها منطقة نفوذ. وقفز من بين الركام بطريقة مشبوهة جنرال متقاعد قضى أكثر من 20 سنة في الولايات المتحدة، حيث تم تأهيله، وأعيد ليجمع بقايا وحدات عسكرية أطلق عليها اسم «الجيش الوطني الليبي» وفرض على برلمان طبرق تأهيله ورفع رتبته إلى مشير، وشبّك علاقات مع دول الجوار وخاصة مصر مبكرا لضمان وصول السلاح والمال. في تلك الفترة سيطرت على مدينة بنغازي جماعة «أنصار الشريعة» التي تم تصنيفها من قبل مجلس الأمن جماعة إرهابية وشكلت مجلس شورى للمدينة مدعومة من بعض المليشيات المتطرفة والتي اتهمت بأنها كانت وراء مقتل السفير الأمريكي، كريستوفر ستيفنز، في 11 أيلول/سبتمبر 2012.

غوتيريش وحفتر

وعندما أعلن عملية الكرامة في شباط/فبراير 2014 كان يبدو أنه ضمن تأييد مصر ودولة الإمارات العربية وفرنسا والولايات المتحدة وكل لأسبابه الخاصة، إلا أن القاسم المشترك كان التخلص من المجموعات المتطرفة والإرهابية في مدينتي بنغازي ودرنة. طالب حفتر الشعب الليبي كانت فرنسا تمده بالسلاح والمستشارين مع العلم أنها كانت تنفي ذلك إلى أن قتل ثلاثة منهم في سقوط طائرة مروحية في بنغازي بتاريخ 20 تموز/يوليو 2016 أي بعد تأسيس حكومة الوفاق. أما المساعدات المصرية الإماراتية فهي ليست سرا وقد ثبتتها تقارير فريق التحقيق المستقل المعني بتطبيق القرار 1970 (2011) لحظر توريد السلاح إلى ليبيا وملاحقة المتهمين بارتكاب جرائم حرب في عهد القذافي وما بعده.

في تلك الفترة كان المبعوث الخاص للأمم المتحدة، برناردينو ليون، بدأ يعمل على جمع شمل الليبيين الذين انقسموا بين برلمانين وحكومتين في كل من طرابلس وطبرق. وبعد مفاوضات مضنية جمعت أطياف الشعب الليبي من كل التوجهات والفصائل والقبائل توصل الليبيون تحت اشراف الأمم المتحدة إلى وثيقة «الاتفاق السياسي الليبي» المعروفة باسم وثيقة الصخيرات نسبة إلى المدينة المغربية التي وقعت عليها بتاريخ 17 كانون الأول/ديسمبر 2015. قام مجلس الأمن بعدها باعتماد الوثيقة في القرار 2259 بالإجماع بتاريخ 23 /كانون الأول/ديسمبر أساسا لحل الصراع. والقرار يعتبر خريطة طريق لنقل البلاد نحو الدولة المدنية القائمة على التعددية وتناوب السلطة والانتخابات الحرة وإقرار دستور يستفتى عليه الشعب وصولا إلى الاستقرار. وتم بعد قرار مجلس الأمن إنشاء المجلس الرئاسي الليبي وحكومة الوفاق الوطني وتم اختيار فايز السراج رئيسا لحكومة الوفاق.

وتنص الفقرة الثالثة في القرار 2259 على ما يلي: «يؤيد (مجلس الأمن) بيان روما الصادر بتاريخ 13 كانون الأول/ديسمبر2015 الذي ينادي بدعم حكومة الوفاق الوطني في ليبيا باعتباره الحكومة الشرعية الوحيدة للبيبيا». وظلت منظومة الأمم المتحدة تتعامل مع حكومة الوفاق الوطني على هذا الأساس على الأقل بشكل رسمي ومعلن.

وقد تابع أعمال ليون للعمل على تنفيذ إتفاقية المبعوثان الخاصان، الألماني مارتن كوبلر واللبناني غسان سلامة، غير أنهما استقالا بسبب الإحباط الذي سببه الانقسام الطولي والأفقي في المشهد الليبي المنقسم بين شرق يتحكم به الجنرال حفتر وغرب تديره حكومة الوفاق المنبثقة عن وثيقة الصخيرات.

## القانون الدولي ومسلكيات الجنرال

بعد قيام مجلس النواب في طبرق بتأهيل حفتر وتعيينه قائدا عاما للجيش بتاريخ 2 آذار/مارس 2015 بدأ يوسع صلاحياته ويتخلص من معارضيه ويجمع الفصائل الصغيرة الموالية وظل يحاصر بنغازي إلى أن اقتحمها في بداية تموز/يوليو 2017. بعد ذلك زادت المراهنة عليه وأصبح يتلقى المزيد من الدعم العسكري والمالي والاستخباراتي. ودعي مرتين إلى موسكو عام 2016 ثم قامت باريس بدعوته في 22 من الشهر نفسه للقاء فايز السراج والمبعوث الخاص الجديد غسان سلامة. واعتبر هذا الاجتماع بمثابة اعتراف دولي بشرعية حفتر. وبعد ذلك أصبح التعاون مع حفتر علنا وبدأت لغة مجلس الأمن منذ ذلك الوقت تتغير وتساوي بين الطرفين. وكثرت اللقاءات الإقليمية والدولية حيث دعي بعدها إلى مؤتمر باليرمو في تشرين الثاني/نوفمبر 2018 وحضره عدد من الرؤساء والرؤساء الإقليميين والدوليين. ثم دعي الإثنان، حفتر والسراج إلى أبو ظبي في 29 شباط/فبراير 2019. تلقى البيانات الختامية المنمقة ولا شيء يتغير على الأرض.

في تلك الأثناء وسع حفتر نفوذه بعد سقوط درنة في شباط/فبراير 2019 ثم توجه لتوسيع نفوذه في الجنوب الليبي بالمال والسلاح ولم يبق أمامه إلا منطقة الغرب والتي كان يظن أنه قادر على احتلالها خلال أيام. وكان الدعم اللوجستي بعد ما ظن حلفاؤه أنها انتصارت، في تزايد متواصل من العديد من الدول على رأسهم مصر والإمارات والسعودية وفرنسا وروسيا.

وصل باللواء حفتر الغرور بعد السيطرة على مدينة سرت في بداية كانون الثاني/يناير 2019. ثم توجه إلى منطقة طرابلس وأعلن يوم 4 نيسان/أبريل أطلاق عملية تحرير طرابلس وأعطى لنفسه عدة أيام قائلا: «اليوم نعلن المعركة الحاسمة والتقدم نحو قلب العاصمة لتكسروا قيودها وتفكوا أسرها».

كانت كل الأمور تسير لصالح حفتر: دعم إقليمي ودولي، تأهيل سياسي تقوده فرنسا، دعم لوجستي من مصر ودولة الإمارات وغطاء سياسي في مجلس الأمن تقف وراءه روسيا والصين وموقف متذبذب من بريطانيا والولايات المتحدة. كانوا يراهنون عليه ويعرفون كيف يبتزون نتازلات من حفتر. صمد سكان طرابلس الذين يزيدون عن المليونين، تضامنوا وتعاونوا وقرروا أن يدافعوا عن مدينتهم، وهو ما لم يتوقعه من صمود وعزيمة وقابلية على التكيف، لكن حفتر كان يرد بالقصف على الأحياء الشعبية فكان يراهن أن الناس تحت الضغط سينقلبون ضد الوفاق، أصحاب السلطة، وهذا لم يحدث.

بعد سنة من حصار طرابلس وارتكاب العديد من جرائم الحرب، نستطيع أن نقول إنه عجز عن تحقيق أي تقدم. لكن مؤيديه لم يتخلوا عنه وظلوا يراهنون عليه في إنهاء حكومة الوفاق وتوحيد ليبيا كلها تحت قيادته.

الذي غير موازين القوى بشكل سريع هو توقيع حكومة الوفاق الوطني مع تركيا بتاريخ 27 تشرين الثاني/نوفمبر مذكرتي تفاهم الأولى حول التعاون الأمني والعسكري بين البلدين، والثانية حول السيادة على المناطق البحرية، بهدف «حماية حقوق البلدين النابعة من القانون الدولي والحفاظ على الأمن وحماية سيادة ليبيا، وتعزيز قدرات حكومة الوفاق في مكافحة الإرهاب والهجرة غير النظامية والجريمة، بالإضافة إلى تطوير منظومتي العمل الأمني والتدريب» كما جاء في البيان الصادر عن الاجتماع.

بعد ذلك تغيرت الصورة كليا فبدأ الكل يحاول أن يدفع الطرفين إلى التوصل لاتفاقية بهدف إقصاء تركيا. فقد دعي حفتر والسراج يوم 12 كانون الثاني/يناير إلى لقاء في موسكو لوقف إطلاق النار لكن حفتر لم يوقع، ودعي حفتر إلى اجتماع برلين مع 12 دولة للتوصل إلى اتفاقية واسعة لوقف إطلاق النار واستئناف العملية السياسية لكنه لم يحضر الاجتماع ولا تبنى الوثيقة الختامية. كما اعتمد مجلس الأمن القرار 2510 بتاريخ 12 شباط/فبراير الذي دعا لوقف إطلاق النار لكن حفتر لم يكترث. وظل يقصف مدينة طرابلس مستخدما سلاح الطيران والمدفعية وصواريخ غراد في قصف المدنيين والمنشآت المدنية في طرابلس وضواحيها، لكن السكان زاد التفافهم حول حكومة الوفاق. وبدأت قوات حكومة الوفاق تسترد المدن والبلدات من حفتر حتى باتت هزيمته قاب قوسين أو أدنى.

في هذه السنوات ارتكب حفتر العديد من جرائم الحرب كما ثبتت ذلك تقارير فريق الخبر وآخرها يوم 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2019. قصف الأحياء السكانية والمستشفيات والمطارات المدنية ومراكز إيواء المهاجرين والأعراس والمستشفيات وسيارات الإسعاف ونادي الفروسية وقطع الماء والكهرباء عن السكان وخطف الناشطين والمحامين وما زالت أخبار المحامية سهام سرقيوة مجهولة. مساعده الأيمن محمود الورفلي المتهم بارتكاب جرائم حرب من بينها الإعدام خارج نطاق القانون، سيطر على أموال البنك المركزي في مدنية بنغازي وأغلق موانئ تصدير النفط وقصف ميناء طرابلس وأحضر كل أنواع المرتزقة من السودان وتشاد وأوكرانيا وروسيا. ومراجعة لجداول فريق الخبراء تبثت كل هذه الحقائق. فكل هذا موثق في بيانات وتقارير ووثائق الأمم المتحدة. فالرجل لا يفهم إلا اللغة العسكرية وهو الذي قال عند احتلال درنة «لا تأخذوا سجناء. ليس لدينا سجون هنا. الميدان هو الميدان». ومع هذا ظلت الأمم المتحدة وممثلوها الخاصون يحاولون أن يؤهلوا الجنرال ويمنحوه ثوبا دبلوماسيا غصبا عنه إلا أنه لم يتأهل، حتى الأمين العام غوتيريش وبعد هجومه على طرابلس بيومين وصل إلى مكانه وحاول أن يقنعه بوقف الهجوم إلا أنه فشل.

والآن يقف مؤيدو حفتر أمام خيارين لا ثالث لهما، فإما الاستمرار في المراهنة عليه ودعمه بمزيد من السلاح والعتاد بعد توبيخه على الهزائم التي مني بها أو أن يرعوا ويتخلوا عنه ويختاروا أشخاصا يمثلون الشرق والجنوب لمفاوضات حقيقية تنهي حرب السنوات العجاف في ليبيا. العالم كله ينتظر ماذا سيحدث وكيف سيتصرف الجنرال العجوز والمراهنون عليه بعد هذه الهزائم.



Volume 31 - Issue 9879 Sunday 19 April 2020

## المتغير الوحيد وصول كورونا واستمرار الفصام بين الشرق والغرب

# عام على حرب الجنرال الخاسرة ضد طرابلس

إبراهيم درويش

مستشفى في طرابلس

في الظروف العادية كان على جنرال سابق يحظى بدعم أمريكي وروسي ومن دول أوروبية ومسلح بعتاد تشتريه له قوى إقليمية، أن ينتصر في حربه ضد منافسيه الذين لا يملكون دعما إلا من دول قليلة. ولكن ليس هذا هو حال الجنرال خليفة حفتر قائد ما يعرف بالجيش الوطني الليبي عندما قرر قبل عام الهجوم على العاصمة الليبية طرابلس. وظن في حينه أن هجومه المفاجئ يعني سقوط حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليا. وكان هجومه صاعقا ومفاجئا، ليس لأنه جاء في وقت كان فيه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غويتريش يحضر لمؤتمر مصالحة، بل لأن أمريكا وبدعم من حلفاء حفتر في المنطقة، مصر والإمارات أعطته «ضوءا أصفر» لهجومه، لا أخضر ولا أحمر. كما أخبرنا الصحافي الأمريكي ديفيد كيركباتريك في تحقيق بصحيفة «نيويورك تايمز» (2020/4/14) حيث فصل محاولات كل من مصر والإمارات العربية تسويق الجنرال حفتر للإدارة الأمريكية، ووجد مسؤولو البلدين آذنا صاغية لدى مستشار الأمن القومي في حينه جون بولتون واتصال الرئيس دونالد ترامب بحفتر حيث ناقش معه الحرب على الإرهاب.

وفي هذا لعبت الولايات المتحدة لعبة مزدوجة، فهي تؤيد حكومة الوفاق الوطني بزعامة فائز السراج من جهة وتدعم الجنرال المتمرد، حفتر من جهة أخرى. والنتيجة كما يقول كيركباتريك أن الولايات المتحدة خسرت الساحة وتركتها لروسيا التي تبنت حفتر أولا ونقلته إلى بارجة حربية غادرت سوريا في طريقها إلى روسيا لكي يجتمع في مكالمة بالفيديو مع وزير الدفاع الروسي. مع أن روبرت فيسك أخبرنا في مقاله بصحيفة «إندبندنت» (2020/4/16) وبلغته المراوغة، أن حفتر لم يحصل من روسيا إلا على مرتزقة، وأن ولاء بوتين لا يزال مع الأسد لا مع الجنرال السابق وصديق «سي آي إيه» فالرئيس الروسي لم يقرر وضع قواته في رمال ليبيا بعد.

## انتصار سريع

عندما قرر حفتر الهجوم في 4 نيسان/إبريل على العاصمة طرابلس كان ضامنا أنه بعربات حليفته الإمارات والمال الخليجي والإسناد المصري الانتصار سريعا على حكومة السراج، كان واهما فقد علق لعام أو أكثر في رمال العاصمة لا يتقدم أو يتأخر. وأمطرها بالقصف الجوي والبري وقتل الآلاف وشرد مئات الآلاف جراء مقامرته.

وفي الأيام الأخيرة خسرت قواته التي هي مزيج من القبائل التي اشترى ولاءها بالمال ومن عناصر موالية للقذافي التي شجعت على العودة بدعم روسي عددا من المواقع والبلدات في غرب ليبيا.

وكشف كيربياتريك أن موسكو دعمت حفتر إعلاميا وعسكريا من خلال قوات المرتزقة التابعة لشركة فاغنر للتعهدات الأمنية المعروفة بنشاطاتها في أوكرانيا وسوريا وعدد من الدول الافريقية. كانت روسيا الطامحة بتعزيز مكانتها في ليبيا واستعادة ما خسرته بعد الإطاحة بنظام القذافي، تعرف عبثية هجوم حفتر وأنه فاشل لا محالة، فقد أظهرت وثائق اطلعت عليها «نيويورك تايمز» كتبها عملاء للكرملين في طرابلس، قالوا فيها إن جيش حفتر الضعيف والقليل العدد سينهزم بالتأكيد لو حاول غزو العاصمة. ولكن العملاء أوصوا موسكو الاستفادة من ضعفه وزيادة نفوذها عليه لو أرسلت مرتزقة لدعم جيشه. وقال العملاء «ستحصل روسيا على حليف قوي وموال في بنية الجيش الوطني الليبي». ولعبت روسيا مثل أمريكا لعبة مزدوجة، حيث دعمت بالإضافة لحفتر نجل العقيد القذافي، سيف الإسلام الهارب وحصلت على حصة في شبكة تلفزيونية موالية للقذافي وقدم عملاؤها نصائح للشبكة الموالية لحفتر أيضا. وعمل الجيش الروسي من خلف الستار وأحاط حفتر بعدد من شركاء روسيا القدامى الذين عملوا في قوات القذافي الأمنية، فيما شجعت شلة القذافي على العودة من الخارج. وفي المحصلة وجدت أمريكا نفسها على الأرضية نفسها التي تقف عليها روسيا.

## تناقض الحرب على الإسلاميين

جرى التسويق لحفتر الذي أعلن عام 2014 أنه طهر طرابلس من الإسلاميين قبل دخول ترامب البيت الأبيض، وتبنى قضيته ولي العهد في أبو ظبي، محمد زايد في اجتماع مع فريق السياسة الخارجية التابع لترامب في لقاء سري عقد بنيويورك في كانون الأول/ديسمبر 2016. كما حمل عبد الفتاح السيسي، الرئيس المصري الذي وصفه ترامب بـ «ديكتاتوري المفضل» قضية حفتر معه إلى البيت الأبيض عندما التقى مع ترامب. وكانت ثيمة الرجلين هي أن حفتر سيمنع وصول الإسلاميين للحكم وأن سيطرته على طرابلس تعني وقف الدومينو الإسلامي. ولكن الزعيم الذي يريد تطهير ليبيا من الإسلاميين وسحقهم أقام تحالفا سريا مع حركة المدخلين التي تتبع أفكار المتشدد السعودي ربيع بن هادي المدخلي. ولكن السيسي وبن زايد تجاهلا علاقة حفتر مع هؤلاء. قيل في الوقت الذي أعلن فيه حفتر عمليته أنه قام بتوحيد كل القوى المعادية له، وجاءت كلها للدفاع عن حكومة السراج التي اتسم أداؤها بالضعف ولكنها لم تكن راغبة بسيطرة حفتر وحلفائه على العاصمة طرابلس ولهذا قاتلت بشدة، بحيث دخلت الحرب وضعا مسدودا، حاول فيه المرتزقة الروس وغيرهم من السودان كسره بدون نجاح. والسبب هو أن الرسائل الأمريكية المشوشة تركت الساحة الليبية مفتوحا للاعبين الإقليميين.

## تركيا تعيد التوازن

ومن هنا دخلت تركيا الطامحة في تأمين مصالحها بمنطقة شرق المتوسط ومنع المحور المصري–الإسرائيلي–القبرصي من السيطرة على مناطق الغاز الطبيعي في البحر المتوسط، ولهذا أعلنت عن دعمها وتدخلها إلى جانب السراج مقابل التوقيع على معاهدة لترسيم الحدود البحرية لليبيا ما منح أنقرة الحق بالتنقيب على الغاز، ولعب الدعم التركي والمرتزقة الذين جلبتهم من سوريا دورا في حرف مسار الحرب لصالح حكومة الوفاق التي حصلت على طائرات بدون طيار مصنعة في تركيا. وبات هذا واضحا في الخسائر الأخيرة التي تكبدها جيش حفتر وسيطرة حكومة الوفاق على مدينة صبراتة ومحاصرتها قاعدة الوطية الجوية. ولو انسحبت قواته منها فستكون أكبر خسارة له منذ إعلانه عن الهجوم على طرابلس. ونقل موقع «بلومبيرغ» (2020/4/17) عن مصدر تركي قوله إن التدخل التركي أدى لتحقيق توازن في المعركة وعزز من موقف الحكومة، لكن حلفاء حفتر لن يتنازلوا وسيعزز المصريون والإماراتيون من الدعم لقواته، وهذا يعني إطالة أمد الحرب على المدنيين الذين عاقبهم حفتر بالقصف الجوي ونار القناصة ومحاصرة الموانئ النفطية بشكل خفض من تصدير النفط الليبي.

## وصل كورونا

وفي بلد يخشى من وصول فيروس كورونا الذي يعيث فسادا في أنحاء العالم حرمه حفتر من الماء النقي والغاز الطبيعي. ونقلت صحيفة «فايننشال تايمز» (2020/4/12) عن مسؤولين في مجال الإغاثة الإنسانية عن مخاطر حقيقية على السكان الذين باتوا يواجهون وضعا «قيامية» وسط تسجيل 49 حالة إصابة بفيروس كورونا ووفاة واحدة. ويواجه النظام الصحي الليبي بالضعف بسبب الحرب ولا يستطيع الكشف المبكر عن حالات كوفيد–19 التي قد تكون أعلى من المسجلة حاليا. واندلاع وباء وسط الحرب سيكون كارثة نظرا لتعرض المستشفيات للقصف كان آخرها مستشفى الخضراء في العاصمة الأسبوع الماضي. وكانت الخوف من انتشار واسع للفيروس هي التي دعت الأمين العام للأمم المتحدة الأطراف المتحاربة إلى وقف إطلاق النار والتفرغ لمعالجة الأزمات الصحية والاقتصادية التي يتركها الفيروس. وتساءلت بداية الشهر مجلة «فورين بوليسي» (2020/4/7) عن إمكانية حدوث تعاون بين الأطراف المتحاربة لمحاربة الفيروس. وقالت إن وصول الفيروس إلى جبهات القتال يعني فتح المدنيين العزل على مواجهة بدون سلاح أو قدرة لهم على مواجهتها. وبعد فشل التدخلات الخارجية في حسم المعركة لصالح طرف بات من المحتوم على المتنازعين وضع سلاحهم والتفرغ لمواجهة عدو مشترك وهو فيروس كورونا. والمشكلة هي أن الداعمين الخارجين لطرفي النزاع معنيون باستمرار الحرب طالما لم يحقق أي منها النصر الحاسم. وبالتأكيد فتقدم قوات حكومة الوفاق يعني استمرارا للدعم من الإمارات ومصر لقوات الجنرال. وبالضرورة استمرار دوامة الحرب بدون نهاية أسوة بما يجري في اليمن وسوريا اللتان تعيشان حروبا متعددة وتدخلات أجنبية منذ 2011. ويجب ألا يفوتنا أن مصالح الدول الخارجية باتت تتفوق على مصالح الليبيين الذين باتوا مثل السوريين واليمنيين متفرجين على حروب لا ناقة لهم فيها ولا بعير. وترى مجلة «فورين بوليسي» أن الحرب ضد فيروس كورونا قد يؤدي إلى بناء تعاون بين حكومتي البلد المتحاربتين من خلال المركز الوطني للسيطرة على الأمراض ومنعها والذي سيكون بمثابة رابطة تمر من خلالها المساعدات الإنسانية إلى الشرق والغرب من البلاد وتوفير المعدات والفحوص لكل الليبيين وبرعاية من الأمم المتحدة. وسيطلب بناء على هذا الموقف من حكومة الوفاق وحكومة طبرق تقديم لفتات حسن نية لدعم الحرب على كورونا، وعلى شكل زيادة كميات النفط التي تصل إلى العاصمة وأموال عبر المصرف المركزي توزع عبر المركز الوطني على منطقة الشرق. وهذا مقترح تفرضه أزمة كوفيد–19 لكن المتحاربين الواهمين بالنصر القادم لا يهتمون بخيار كهذا، فالحرب بالنسبة لهم كفيروس كورونا مسألة حياة أو موت. بل على العكس كان التصعيد الأخير في المعارك بين الطرفين مدفوعا بفكرة أن العالم المنشغل بمحاربة الفيروس لن يشجب الصراع المتجدد. وكما قالت صحيفة «واشنطن بوست» (2020/4/13) إن كل طرف في الحرب يحاول زيادة الضغط وسط غياب أفق التسوية السياسية. ولم يتبق لكل منهما سوى أوراقه للضغط على الطرف الآخر للاستسلام أو زيادة أوراق نفوذه على الطرف الأرض. وفي النهاية سيظل الانقسام قائما فالشرق هو الشرق والغرب هو الغرب ولن يلتقيا، هذا إن استعرنا عبارة الشاعر الإنكليزي ردويارد كيلينغ. فحفتر سيظل متمسكا بطموحاته رغم فشله في السيطرة على العاصمة ولن يتقدم نحوها في المدى القريب أو أي مدينة كبرى في الغرب، أما السراج الذي انحرف ميزان الحرب لصالحه فقد استبعد في خطابه المتشدد أي تسوية مع حفتر الذي يعتقد أنه خانه أكثر من مرة. وفي النهاية سيظل خيار الحرب أو الانفصام بين الشرق والغرب في ليبيا قائما.

# حوار

## الصحافي والكاتب الإيطالي ريكاردو كريستيانو:

# حوار الأديان بالنسبة إلى بشار الأسد هو ما يتحاور حوله مع المطارنة والمفتي

حاوره: عبد الله أمين الحلاق وسامي حداد

يحتل الكاتب الصحافي والباحث الإيطالي ريكاردو كريستيانو موقعاً مهماً في الساحة الثقافية والسياسية الإيطالية، نظراً لتعمقه في قضايا الشرق الأوسط ودراساته وكتاباته في هذا المجال. عمل مراسلاً للتلفزيون الرسمي الإيطالي من الشرق الأوسط، ثم منسقاً للأخبار الدينية لراديو «راي» الرسمي. له مؤلفات عديدة عن الشرق الأوسط والحوار بين الأديان، بالإضافة إلى مؤلفات عن سوريا ومنها «سوريا: آخر المذابح»، و«سوريا: نهاية حقوق الإنسان». يتميز بمواقفه المؤيدة للثورة السورية ومناهضته لأنظمة الاستبداد والاحتلال في منطقتنا وتصديه لمؤيدي النظام والمروجين له في الأوساط الثقافية والسياسية الإيطالية، وهو من المقربين من البابا فرنسيس والمؤيدين لرؤيته الإصلاحية ولوثيقة الأخوة الإنسانية، كما أنه من مؤسسي جمعية الصحافيين أصدقاء الأب باولو دالوليو الذي تجمعه به صداقة شخصية عميقة. وهنا نص الحوار:

○ **أنت تكتب دائماً حول مواقف الكرسي الرسولي في الفاتيكان، وعن أحوال المسيحيين في سوريا في ظل الانقسام الحاصل بين هؤلاء، بدرجات مختلفة، حول الموقف من النظام السوري. ما الذي يجعل بعض المسيحيين السوريين في رأيك مشدودين إلى خطاب النظام على الرغم من أن مواقف البابا كانت واضحة بهذا الشأن وخصوصاً في رسالته التي أرسلها إلى رأس النظام السوري قبل فترة؟**

● بداية أود أن أذكر أن البابا كتب رسالتين إلى بشار الأسد، أولاهما في نهاية الحصار على حلب الشرقية طالبه من خلالها باحترام القانون الإنساني الدولي وحقوق الإنسان التي يجب أن يتمتع بها السكان، في تلك المناسبة نشر النظام خبر استلام الرسالة، قالباً مضمونها رأساً على عقب، رغم أنه كان من المفروض بالنسبة للفاتيكان أن تبقى هذه الرسالة سرية مما استدعى تدخل الكرسي الرسولي لإيضاح أن ما نقلته دمشق لم يكن صحيحاً بل مغايراً للمقصود تماماً. أما الرسالة الثانية فقد أرسلت في تموز/يوليو من العام الماضي، لكن هذه المرة واستناداً إلى التجربة السابقة لم ينشر الفاتيكان مضمون الرسالة بالكامل بل مغازاها وأعلنه بشكل رسمي وفوري. وكما هو معلوم، فقد أعرب البابا فيها عن قلقه العميق على السكان المدنيين في محافظة إدلب وطالب بحماية حقوقهم بالإضافة إلى مطالبته بوقف كل الانتهاكات المتعلقة بحقوق الإنسان في سوريا. وأخيراً، في مقابلة تلفزيونية سُمح لقناة التلفزيون الرسمي الإيطالي «راي» بإجرائها وبثها التلفزيون السوري أيضاً، ذكر الأسد أن الفاتيكان يعتمد في آرائه على ما يُكتب ويُنشر في الغرب. فهل يعقل أن يبني البابا مواقفه بناء على ما يُكتب في الغرب؟ إن مجرد التفكير بأمر كهذا يثير سخرية أي شخص يعيش هنا فما بالك لو تم التأكيد عليه؟ أعتقد أن كلمات الأسد موجهة إلى المستمعين المحليين أي إلى السوريين. لقد أراد أن يقول لهم إن الفاتيكان استعماري! هذه هي الرسالة المقصودة والتي ربما صدقها البعض، لكنها محاولة لقلب الحقائق.

بعد التذكير بهذه الأمور أود أن أبدأ هنا ليس من البابا فرنسيس، بل من البابا يوحنا بولس الثاني. ففي مذكرات البابا كارول ويتيلا التي خطها عنه أندريا ريكاردي، يتحدث عن مأدبة غداء حضرها قبل انهيار جدار برلين ويروي ما قاله له البابا في تلك المناسبة: «إن مشكلة الكنيسة الروسية هي خضوعها للسلطة السياسية أو ما يدعى بالقيصرية الباباوية إن صح التعبير». واليوم كما في حقبة القياصرة سابقاً، لا تزال هذه العقلية هي المهيمنة، لهذا فإن الكنيسة الروسية بقيت خاضعة للدولة على الدوام وعلى كافة الأصعدة. بالتأكيد كان للكنيسة الروسية شهداؤها، لكن ما عددهم؟ لا أحد يستطيع تحديد ذلك أو الحديث عنه إضافة إلى أن فكرة روما الثالثة لم تتطفئ بعد، آلا وهي أن تصبح كنيسة موسكو... روما الجديدة.

إن «القيصرية الباباوية» هي المشكلة، وبما أن هذا التعبير مضمر غير مصرح عنه ولكن موافق عليه، فلا بد أن أوضح هنا أن «القيصرية الباباوية» تعني ولاء البابا للقيصر أي للسلطة السياسية الوطنية، وهذه المشكلة شائعة في كل العالم الأرثوذكسي الذي طوّر نظريته القائمة على الانسجام بين السلطتين السياسية والروحية.

لكن هذا الانسجام عندما يرتبط ببعض السلطات يتحول إلى خضوع. وفي الشرق خلال الحكم العثماني، أضيف إلى هذا المفهوم نظام الملل الذي قبلت به الكنائس آنذاك، بل حبذته لدرجة أن المؤرخ أحمد جودت باشا كتب أنه عندما صودق على الإصلاحات القانونية والدستورية، أعرب بعض البطاركة عن أسفهم على النظام القديم الذي وإن كان يضع المسيحيين في مرتبة أدنى من المسلمين حسب التصنيف العثماني، إلا أنه يضعهم في مرتبة أعلى من اليهود.

في رأي الفاتيكان وفي رأيي الشخصي أيضاً، لم يقبل المسيحيون العاديون في سوريا كما في بلاد كثيرة أخرى بنظام الأقليات المحمية. وكان الفاتيكان ومنذ عهد البابا بولس السادس يطالب دائماً بمواطنة كاملة ومتساوية للجميع وهذا ما يتمناه مسيحيو العالم العربي، وإن كان العديدون منهم يخشون، ولهم الحق في ذلك، الأصوليين ويقبلون «الحماية» خوفاً من نظام أكثر قمعاً من النظام الحالي.

هذا الشعور السائد هو وليد عوامل مختلفة منها فقدان الثقة بالإسلام، فغياب الحوار الديني الحقيقي وليس المقصود هنا بالحوار بين الأديان، بل الحوار بين أشخاص على أرض الواقع، أشخاص حقيقيين من لحم ودم، زاد بعد عام 2001 خصوصاً من شعور عدم الثقة الإيديولوجية. وفي هذا السياق لعبت الوهابية بمنظورها المرفوض من الغرب ومن الأشخاص المتمدنين دوراً لا بأس به.

كما لعب نظام الأسد دوره أيضاً. فالحوار بالنسبة له هو الحوار بين الأسد والمطارنة والمفتي. من جهة أخرى يعتقد الكثير من السياسيين الغربيين ولأسباب مرتبطة بالسياسة الداخلية في بلدانهم الأوروبية أو الغربية، أن تنمية شعور عدم الثقة هذا يصب في مصلحتهم، فهم في الحقيقة غير عابئين بمستقبل المسيحيين وحياتهم في سوريا أو في البلدان العربية الأخرى لأن خطابهم السياسي قائم على ما يُسمى بنظرية «صراع الحضارات». ويصرّ البابا فرنسيس على الاستمرار في إلغاء هذه النظرية، وهو توصل مع الإمام الطيب إلى الإعلان التاريخي في أبو ظبي عن «الأخوّة والمواطنة». في رأيي يجب أن تُشرح هذه الوثيقة في كافة المدارس والجامعات والمقاهي العربية وإن كنت أشك في حصول ذلك.

○ **«إعلان أبو ظبي» يؤسس، من وجهة نظرك، لعلاقة جديدة بين المسلمين والمسيحيين على أسس جديدة، ألا تعتقد أن الحديث عن أوراق فكرية وتناول مسائل الإصلاح الديني هو أمر صعب اليوم بمعزل عن الحديث في صلب السياسة وطبيعة النظم الحاكمة في المنطقة العربية (والعالم)؟**

● هناك تعبير هام سائد في إيطاليا حول الأنظمة والإرهاب المبرر دينياً: «إنهم كلصوص بيزا، يتشاجرون نهاراً لكنهم في الليل يسرقون معاً». إن العلاقة بين الإرهاب وأنظمة الحكم العربية وغير العربية تشبه العلاقة بين لصوص بيزا باعتقادي. من الواضح أن الإرهاب يثير الرعب في قلوب المسيحيين والرأي العام الغربي وهذا ما يصب في مصلحة الأنظمة التي تستمد من الإرهاب شرعيتها الدولية المفقودة. ماذا يمكن للدين أن يفعل؟

وماذا يمكن للأديان أن تفعل؟ لا تكفي إدانة الإرهاب بل يجب أن يقال كما قيل في أبو ظبي: إننا أخوة بالنسبة للإسلام والمسيحية معاً، واسمحا لي أن أدعو قرّاءكما إلى الابتعاد عن مفاهيم القومية العربية والأمة الإسلامية.

لأنهما إيديولوجيتان باليتان وفاشلتان! فالمجموعة السياسية في سوريا مكونة من سوريين بالدرجة الأولى ثم يختار كل واحد منهم دينه. يجب أن تتحول حرية الضمير إلى القاسم المشترك بين كل الأديان.

وهذا لا يعني جعل الإسلام مسيحياً. أذكّر هنا أن الباباوات في القرن التاسع عشر كانوا ضد حرية الضمير وبذل البابا يوحنا الثالث والعشرين جهداً كبيراً في إصراره على إدراج تعبير «حقوق الإنسان» في إحدى رسائله الرعوية الباباوية، فحتى ذلك التاريخ، أي حتى عام 1950 كانت الحقوق لله فقط.



## اليسار الأوروبي يتناسى أن من عيّن جزار صبرا وشاتيلا وزيراً هو النظام السوري

التاريخ يمشي قدماً والأديان تمشي مع الإنسان والتاريخ. وما يحصل اليوم في الساحات اللبنانية والعراقية هو في جوهره التقاء، في مكان ما، مع إعلان أبو ظبي، حتى وإن كان من يتظاهر في الشارع لم يقرأه أساساً. واليوم يقف لصوص بيزا من جهة والشعوب من جهة أخرى.

○ **هناك جولة ثانية من الربيع العربي انطلقت اليوم. في الجزائر والسودان قبل فترة وفي لبنان والعراق اليوم. كيف ينظر مؤلف كتاب «سوريا، نهاية حقوق الإنسان» إلى هذه الموجة التي تضرب وتهز أنظمة طائفية واستبدادية حكمت لفترات طويلة، وكيف تستحضر صديقك الأب باولو دالوليو في هذا الإطار؟**

● هذا الربيع هو أجمل وأهم مما يمكن للخيال أن يتصوره. لم تنجح المجازر وحمام الدم في إخماد الأمل، ولم تزل لدى الشعوب شجاعة التعبير عن الفرح والغناء والترديد بأعلى صوت: «الشعب يريد إسقاط النظام».

أعتقد أن ما يجري في إيران بعد إسقاط طائرة البوينغ دليل على وجود «ثقافة إنسانية» تنكرها الأنظمة الحاكمة ويصعب على الشعوب أن تنزعها من قلوبها. وإذا كانت نظرية الصدام بين الحضارات مبنية على الخوف من الآخر، ويمكن القبول بها في ظروف معينة ومحددة، إلا أنها في رأيي حصيلة الجهل القليلة. قد لا يكون استبداد «أنظمتنا» السياسياً كأنظمتكم لكنها تحتوي على استبداد ثقافي وإيديولوجي، فهي تخاف من صحوة شعوبنا، وعلينا في رأيها، أن نستغرق في غفوة الجهل. وهذا ما كان يعرفه الأب باولو تمام المعرفة.

الأب باولو

وليس على الكره أو الخوف وخير دليل على ذلك الحراك في الساحات. وليس من باب الصدفة ألا يُشار إليه إلا بكلمات قليلة. قد لا يكون استبداد «أنظمتنا» سياسياً كأنظمتكم لكنها تحتوي على استبداد ثقافي وإيديولوجي، فهي تخاف من صحوة شعوبنا، وعلينا في رأيها، أن نستغرق في غفوة الجهل. وهذا ما كان يعرفه الأب باولو تمام المعرفة.

لقد عاد الأب باولو إلى سوريا إذ لم يكن بوسعه ترك السوريين وحدهم. لم يكن بوسعه ذلك جسدياً وإذا كانت الحياة تستلزم الموت فإن رغبته في الحياة، أي البقاء إلى جانب السوريين، جعلته مستعداً للمخاطرة بحياته. إن علاقته بالسوريين عضوية وشخصية وصوفية. أعتقد أنه لو كان حياً وحراً فإنه سيقول: «أصدقائي الأعزاء من قلموني (أرض القلمون) اعذروني يجب عليّ أن أذهب اليوم إلى بغداد وطهران وبيروت، سأعود إليكم عندما سأنهي العمل السلمي وغير العنيف الذي بدأتموه أنتم عام 2011».

وفي الحقيقة لم يكن له أن يترك قلموته، فآلام القلمون هي آلامه سواء فكر فيها أو عبر عنها. فعندما سأله إمام بورصة عما يمنعه من اعتناق الإسلام أجابه «كنتُ مسلماً منذ طفولتي عندما كان أبي يرفع ذراعيه عالياً من قمم جبال منطقة أبروتزو، فينفتح قلبي مذهولاً بحقيقة وجود إله خالق واحد، لأطلب معه من الأنهار والوديان والكواكب أن تسبّح الله مع أبنائه». وبمرور الزمن عمّق الأب باولو حبه للإسلام ليطور ما سماه «الانتماء الإسلامي المسيحي المزدوج».

○ **هناك غضب دائم من قبل النخب الثقافية والسياسية في بلداننا وخصوصاً سوريا دائماً ولبنان اليوم، من عدم اهتمام الإعلام الإيطالي (والغربي عموماً) بما يحصل فيها، وأحياناً الانحياز إلى وجهة نظر الأنظمة إما بشكل مباشر أو غير مباشر. وأنت كتبت حول هذا الموضوع. ما هي أسباب ذلك في رأيك؟**

● إنه «صراع الحضارات». لقد تم تشكيلنا على صعيد فردي أو جماعي في إطار صراع الحضارات لأنهم أرادوا إقناعنا بأن شعور عدم الثقة هو الشعور الصحيح. يقولون: «من المستحيل تغيير عقل المسلمين. الإسلام هكذا».

نحن الصحافيون أيضاً عندما نشاهد ما يحصل في بيروت وبغداد ندرجه في قائمة الأحداث التي لن يكون لها وزن أو قيمة. وهذا ينطبق على اليمين المصاب بالرهاب من الإسلام أو المتبصر أو حتى المتشكك، وعلى اليسار الذي لا يزال يتستر بالأقنعة الإيديولوجية ويسعى لإقناع نفسه بوجود الخير المتمثل بموسكو دائماً ضد الشر المتجسد في واشنطن على الدوام.

وهذا الخير يمتد ليشمل حلفاء موسكو أيضاً، وهذا ما يفسر موقفهم المتشدد الضاري تجاه السيسي والخجول المتلطف مع الأسد لأنه من وجهة نظرهم هذه «رفيق نضال ومعارض» شأنه شأن حراس الثورة الإيرانية، وهذا ما أعرفه جيداً، فقد قرأت آلاف المرات أن جزءاً كبيراً من هؤلاء اليساريين يتذكر بألم صبرا وشاتيلا ويتناسى أن من عين إيلي حبيقة وزيراً هو الأسد.

وإذا وسعنا الحوار، فلماذا لا نتساءل عن حصار سراييفو؟ كان لليسار أن يتحلى بالشجاعة اللازمة ليفحص ضميره ويمكنني أن أقول ما أقوله الآن لأن فكرتي عن الحرب في البوسنة كانت مماثلة لفكرة اليسار، لقد خدعتني رواياتهم فرأيت المعارضة الصربية تجسيداً للمقاومة ضد حلف الناتو. ثم ولحسن حظي أرسلتني الصحيفة التي كانت أعمل فيها إلى سراييفو. وأنا مدين بالشكر على ذلك لمديري حتى نهاية حياتي. كان يجب عليّ الوصول إلى الجبهة الصربية في سراييفو. انطلقت من بلغراد ودخلت جمهورية صرب البوسنة ثم بدأت النزول إلى سراييفو من جبل إيجمان. هناك كانت ميليشيات تشيتنيك (الجيش اليوغسلافي في أرض الآباء) تحاصر المدينة.

أوقفونا مرات عدة ودعاني أحدهم إلى الاقتراب. كان يريد مني أن ألقي قنبلة على المدينة، فابتعدت عنه مسرعاً ثم تطلعت إلى نفسي مذعوراً في مرآة السيارة. ماذا فعلت، وماذا فهمت؟ كيف أمكنني أن أعيش طيلة الفترة الماضية مغمض العينين كمن لا يريد أن يرى الحقيقة فيغمض عينيه بنفسه؟

بوتين والأسد ورجال دين في سوريا

حريات

# وباء كورونا جدد إحياء ملف السجناء الأبرياء والانتهاكات في سجون العراق

**بغداد ـ «القدس العربي»:**

جددت تداعيات انتشار وباء كورونا في العراق، المطالبات بإطلاق سراح المعتقلين في سجون الحكومة والميليشيات، الذين مضى على الكثير منهم، سنوات وأغلبهم من دون سند قانوني، خوفا من وقوع ضحايا كثيرة بينهم بسبب المرض، وسط دعوات إلى إنهاء ملف الاعتقالات العشوائية أو غير القانونية والانتهاكات المستمرة التي تقع في السجون ضد المعتقلين والسجناء، بالتزامن مع الإعلان عن حالات موت عدد من السجناء جراء التعذيب مؤخرا.

وتدرس حكومة عادل عبد المهدي المستقيلة حاليا، امكانية إصدار عفو يسعى لإطلاق سراح بعض المعتقلين في السجون المكتظة، وذلك جراء الضغوط السياسية والشعبية والدولية على الحكومة، لانقاذ الآلاف من المعتقلين والسجناء في السجون الحكومية ومعتقلات الميليشيات، لتجنب كارثة انتشار مرض كورونا بينهم، حيث تفتقد السجون للشروط الصحية المناسبة، إضافة إلى كون الكثير من السجناء والمعتقلين تعرضوا إلى الظلم والابتزاز والتعذيب.

وقد أرسل رئيس الوزراء المستقيل عادل عبد المهدي توصية إلى رئيس الجمهورية برهم صالح، بإصدار عفو خاص عن المحكومين لتفادي انتشار وباء كورونا بين السجناء.

واقترح أن يشمل العفو الخاص بعض السجناء فقط ممن (أكمل نصف مدة محكوميته أو من تَبقّى على مدة محكوميته أقل من سنة أو المحكوم عليه بمدة سنة فاقل) واستثنت التوصية المحكومين بارتكاب الجرائم الدولية، والإرهابية، والماسّة بأمن الدولة المنصوص عليها في قانون العقوبات، والإتّجار بالبشر، أو حيازة واستعمال الأسلحة الكاتمة للصوت والمفرقعات، والفساد المالي والإداري، وجرائم تهريب المسجونين والمحبوسين أو المقبوض عليهم، والاغتصاب واللواط والزنى بالمحارم، والإتجار بالمخدرات، وغسيل الأموال، وجرائم الخطف، والاختلاس وسرقة أموال الدولة، وإهدار المال العام عمدا ما لم يُسدّدْ ما في ذمته من أموال قبل إطلاق سراحه، وجرائم تهريب الآثار، وتزييف العملة، وتزوير المُحرّرات الرسمية التي أدت إلى حصول المزور على درجة مدير عام فما فوق.

## انتقادات شديدة

ونظرا لكون قضية السجناء والمعتقلين في العراق معقدة وتمتد لسنوات طويلة، دفعت منظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية وقوى سياسية، إلى توجيه انتقادات شديدة لسجل الحكومة العراقية والميليشيات، بسبب الانتهاكات الجسيمة التي تجري في السجون العراقية ضد معتقلين وسجناء تم اعتقالهم لأسباب سياسية وطائفية غالبا، وإجبارهم على الاعتراف تحت التعذيب، بجرائم لم يرتكبوها، إضافة إلى تعرض المعتقلين للابتزاز وسوء المعاملة والتعذيب وغيرها من الانتهاكات.

## دعوات

وفي ظل تصاعد المخاوف من تفشي وباء كورونا في السجون التي تعج بالمعتقلين، في ظل ضعف الرعاية الصحية فيها، فقد تجددت الدعوات لإطلاق سراح بعضهم وخاصة من الذين مرت سنوات على اعتقالهم من دون صدور أحكام ضدهم، أو ممن تم اعتقالهم لأسباب سياسية وطائفية، أو من أجل الابتزاز المالي والسياسي.

وفي هذا الصدد دعا رئيس جبهة الانقاذ والتنمية اسامة النجيفي، رئيس الجمهورية برهم صالح ورئيس حكومة تصريف الأعمال عادل عبد المهدي، في رسالة عاجلة، إلى إطلاق مبادرة إنسانية بشأن النزلاء والموقوفين لإطلاق سراحهم في ظل انتشار جائحة كورونا وتأثيراتها الكارثية على الشعب العراقي. وناشد النجيفي، أن يتضمن العفو «خمس حالات منها الايعاز بالإفراج فورا عن جميع الأشخاص الذين صدرت في حقهم قرارات الإفراج ولم يطلق سراحهم حتى الآن، والإفراج عن الأشخاص الموقوفين الذين لم تصدر في حقهم أحكام بكفالة ضامنة وإصدار عفو خاص باستثناء الجرائم الدولية وجرائم (داعش) وشمول المحكومين المستحقين بالإفراج الشرطي وحسم قضايا المحكومين المشمولين بقضايا العفو العام رقم 27 لسنة 2016 من قبل لجان العفو وإطلاق سراحهم».

وفيما طالب رئيس الوزراء الأسبق إياد علاوي، بأن ينال ملف المعتقلين الأبرياء ما يستحق من اهتمام ورعاية، وأن على «الدول والحكومات أن تسارع في الأزمات باتخاذ خطوات عاجلة حفاظاً على حياة أبنائها» فإن عضو مجلس النواب ليث الدليمي، شدد على «إطلاق سراح السجناء الأبرياء وإعادتهم إلى عوائلهم في ظل الدعوات العديدة لإطلاق كل الموقوفين من دون دليل وشمول فئات أخرى بعفو عام لمنع كارثة في السجون في حال تسلل فيروس كورونا إليها».

واشتركت نقابة المحامين العراقيين في الحملة، محذرة من كارثة اكتظاظ السجون، ومطالبة بإصدار عفو عن السجناء، بالتزامن مع لقاء رئيس مجلس القضاء الأعلى فائق زيدان بمبعوثة الأمم المتحدة جينين بلاسخارت والسفير الأمريكي في العراق، لبحث سرعة حسم قضايا الموقوفين والسجناء، وإخراجهم من السجون خوفا من انتشار كورونا بينهم.

## انتقادات قانون العفو

ورغم أن قانون العفو الذي اقترحته الحكومة لم يصدر حتى الآن، إلا أن انتقادات شديدة وجهت له، نتيجة الثغرات الكثيرة التي تضمنها المشروع، مع اتهامات باستفادة الفاسدين منه أكثر من الأبرياء.

فقد انتقد القيادي في تحالف القوى السنية هيبت الحلبوسي، مقترح العفو الخاص، وطالب بإعادة المحاكمات للسجناء والمتهمين بدلاً من عمليات «الترقيع». وقال الحلبوسي في تغريدة عبر «تويتر» إن «هذا ليس بعفو؛ بل (ترقيع) فالقصد من إصدار العفو هو تقليل الزخم داخل السجون لحماية آلاف الأرواح من شبح الموت والكارثة الإنسانية لا سمح الله، فهل المحكوم الذي أمضى نصف المحكومية سوف يصيبه الفيروس والذي لم يمض تلك المدة لا؟ أليس هناك شعور بالإنسانية تجاه آلاف المظلومين؟» وطالب بـ«إعادة المحاكمات، لأنها جرت في ظروف غير طبيعية، وإعادة النظر في ظروف وأوضاع المحكومين داخل هذه السجون».

واستنكرت عشائر «المجمعي» بني جميل في محافظات العراق، بدورها الانتهاكات المرتكبة بحق «السجناء الأبرياء الذين يقبعون في السجون منذ سنوات بسبب وشاية المخبر السري سيئ الصيت والحقد الدفين والفساد المالي والابتزاز من بعض ضباط التحقيق، والتي وصلت إلى انتهاك الأعراض والشرف والاغتصاب مع بعض حالات المعتقلين الذين انتزعت الاعترافات منهم بالتعذيب والإكراه وأصبحوا ضحية الإهمال والإذلال والأعمال المشينة التي يتلقاها السجناء بصورة عامة في العراق وسجن الحوت في الناصرية على وجه الخصوص». وشدد بيان العشائر على انتقاد «تقصير إدارة سجن الحوت في الناصرية والذي أطاح بأبنائنا الأبرياء العزل القابعين في سجون الذل والإهانة بذمة المخبر السري والتفرقة العنصرية الطائفية المقيتة التي أتى بها المحتل الأمريكي وأذنابه وبعض ضعفاء النفوس المريضة من السياسيين الذين حكموا العراق بعد الاحتلال الأمريكي والتي أودت بمقدرات العراق وأبنائه البررة لمنعهم من أخذ موقعهم الحقيقي في البناء والعمران والتطوير».

وأضاف البيان «اليوم إذ يواجه العراق والعالم جائحة كورونا، فإن الحكومة العراقية ترفض إصدار قانون العفو العام عن السجناء المظلومين والمتهمين زوراً وبهتانا وبطرق تعسفية والذين أنهوا سنوات طويلة من محكومياتهم، وسط اعتراف كل المسؤولين العراقيين بعدم امكانية المؤسسات الصحية لمواجهة وباء كورونا لقلة الامكانيات المتاحة للتصدي له ان اجتاح السجون العراقية المكتظة بنزلائها».

أما «المجلس الموحد لعشائر العراق» (السنية) فقد انتقد قانون العفو، مؤكدا «أن عدم شمول أولادنا الذين غدر بهم المخبر السري وعدم العفو عنهم، هو ليس عفوا بل هو مكرمة للصوص والفاسدين وتجار المخدرات».

ومن جانبه، حدد القاضي رحيم العكيلي بعض نقاط الخلل في مقترح العفو الخاص التي تستدعي مراجعتها، أبرزها، أنه شمل جرائم سرقة أموال الدولة والاختلاس وإهدار المال العام عمدا، إذا سدد ما بذمته من أموال قبل إطلاق سراحه، في حين أن الجرائم الثلاث أعلاه هي من جرائم الفساد حسب نص المادة (1) من قانون هيئة النزاهة رقم 30 لسنة 2011 المعدلة بقانون التعديل الأول، وجرائم الفساد من الجرائم التي لا يجوز أن يصدر بها عفو خاص وفق المادة 73/أولا من الدستور».

أما في النقطة الأخرى فقال العكيلي إن «المقترح ساوى بين الجرائم الخطيرة (الجنايات) وبين الجرائم البسيطة (الجنح) وساوى بين الجرائم العمدية والجرائم غير العمدية (جرائم الخطأ) كما أن مقترح القانون ساوى بين البالغين والأحداث».

## موت سجناء تحت التعذيب

وفي شأن ذو صلة، تواصلت الانتقادات ضد انتهاكات الأجهزة الأمنية الحكومية ضد المعتقلين والسجناء، وآخرها مقتل عدد من السجناء في السجون جراء التعرض للتعذيب.

فقد استنكر بيان لعشائر «المجمعي» موت ابنها السجين غسان شهاب احمد المجمعي و6 سجناء آخرين، في سجن الحوت سيء الصيت في الناصرية جنوب العراق. وأدانت العشيرة «إبقاء الأبرياء ضحايا المخبر السري وفساد ضباط التحقيق في السجون واعتماد التصفية الجسدية لعدد منهم وهم أبرياء» مستنكرة «تصفيتهم بهكذا طريقة واستغلال ذريعة الأمراض حجة واهية وضعيفة، فيما هم ماتوا تحت ضغينة حقد وكراهية» محملة الجهات المسؤولة عن سجن الحوت، المسؤولية الكاملة عن وفاة المذكور وآخرين. وأشار البيان إلى أن التبليغ عن وفاة غسان المجمعي جاء من خلال «ثلاث قصص متناقضة ومختلفة الأقوال والأحداث، الأمر الذي يجعلنا أن نتهمهم بهذا الاتهام المباشر».

وكان «المركز العراقي لتوثيق جرائم الحرب» منظمة مستقلة، قد اتهم الأجهزة الأمنية الحكومية والميليشيات، بعمليّات تصفية لمعتقلين داخل السجون العراقية، فضلا عن خطط لإخراج موقوفين متهمين بالانتماء لتنظيم «الدولة» الإسلامية، مقابل أموال. وأشار المركز إلى مقتل 6 سجناء في سجون الحكومة مؤخرا، بينهم غسان المجمعي، الذي ظهرت آثار التعذيب على جسمه، إضافة إلى تعرض ناشط التظاهرات جسام آل قاسم إلى تعذيب ممنهج أثناء اعتقاله.

ورغم الأوضاع المزرية وضعف الرعاية الصحية في السجون الحكومية ومعتقلات الفصائل المسلحة، ورغم الانتقادات الواسعة من قبل منظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية للانتهاكات وغياب الشفافية في مبررات الاعتقالات وأساليب التحقيق، والدعوات لإطلاق سراح الأبرياء، إلا أن الحكومات المتعاقبة بعد 2003 كانت ترفض الاستجابة لهذه المناشدات والدعوات، لأسباب سياسية وطائفية. ويبدو أن ظهور وباء كورونا وضعف قدرة الحكومة على التعامل مع المرض في السجون المكتظة بالسجناء، قد يكون فيه حيل النجاة لبعض المعتقلين الأبرياء، مع توقع أن يكون المستفيد الأكبر من قانون العفو هم الفاسدون وتجار المخدرات ومختلسو الأموال العامة الذين يدفعون الأموال الطائلة لإطلاق سراحهم.

من السجون العراقية

## العراق يفرج عن 950 سجينًا

أصدرت السلطات العراقية، الأربعاء الماضي، قرارًا بالعفو عن 950 سجينًا، في مسعىً لاحتواء تفشي فيروس كورونا. واتخذت وزارة العدل العراقية، قرار «العفو الخاص عن 950 معتقلا».

والأسبوع الماضي، أعلنت السلطات القضائية العراقية، الإفراج عن 3 آلاف و676 سجينا، في إطار إجراءات احتواء تفشي فيروس كورونا في البلاد.

وأوضحت إحصائية لوزارة الصحة صدرت الجمعة أن إجمالي المصابين بلغ 48 حالة، ليبلغ عدد الإصابات في عموم العراق 1482 حالة. وحسب الإحصائية، فقد بلغ مجموع الوفيات في العراق 81 حالة، بعد تسجيل حالة وفاة واحدة الجمعة، في حين وصل إجمالي حالات الشفاء 906 حالات.

وفي فبراير/ شباط الماضي، أعلن العراق عن اتخاذ حزمة إجراءات احترازية لمواجهة فيروس كورونا، أبرزها إغلاق الحدود البرية والبحرية، وإلغاء التجمعات، وتعليق الدراسة.

# كتب

## «وحي» رواية اليمني حبيب عبد الرّب سروري

# تهاويل الزمن وسيرة الذات والأمكنة

**هاشم شفيق**

لستُ وعلى مدار أكثر من عقدين، تحّولات الرواية العربية باتجاه استثمار التقنيات الحديثة التي أتاحها الزمن الحديث، وفي كل المجالات التي أصبحت متوفرة للكائن البشري حيثما كان. إنه الزمن الجديد الذي وفّر العديد من وسائل التواصل بين المجتمعات البشرية على هذا الكوكب، وبذا نجد هذه الوسائل الجديدة قد أعطت المزيد من الحرية للكاتب، والروائي تحديداً، أعطته مزيداً من الحرية في الحركة، والتنقّل عبر الأماكن والمساحات والفضاءات، تلك التي لم يستطع الوصول إليها يوماً، لولا هذه التقنيات المستحدثة، والمتاحة كأدوات آلية مكمّلة لكل عمل إبداعي وفني ووظيفي.

من هنا وجدنا الروائي اليمني حبيب عبد الرّب سروري، قد لجأ في عمله الجديد «وحي» إلى التماهي مع كل هذه الوسائل السريعة والبرقية، تلك التي أتاحت له التواصل مع من كان، حتى لو كانت تبعده عنه آلاف الكيلومترات، وآلاف المساحات والتخوم النائية والبعيدة.

ولقد سبق للروائي اليمني سروري في رواية سابقة له هي «حفيد سندباد» أن استخدم النهج ذاته في الاعتماد على عالم التقنيات الحديثة لكتابة روايته تلك، حيث وفّرت له هذه الآليات فرصة ثانية في عمله الجديد، بغية التواصل مع البطلة المفترضة «وحي» في الرواية التي بين أيدينا الآن.

يغلب على روايات حبيب عبد الرّب سروري، عامة، طابع السفر والتجوال في المدن والمحطات والعواصم، والجزر، والقرى، والبلدات، والأرخبيلات البعيدة، ذات الطابع المميز، التي تمنح الوافد إليها شيئاً ما، سوف يبقى حياً في ذاكرته ولن يموت، كما هو الحال في رواية «وحي» هذه وأسفار الراوي العليم غسان الذي يتحدّث بضمير المتكلم، عن عوالمه، واكتشافاته الروحية، والعيانية، والميدانية، صوب أيّ مكان يذهب إليه، فهو سيشكل مادة وموضوعاً وحلماً له، ومادية دسمة لمخيلته النهمة، هذه المخيلة التي لا تني تستطلع وتسافر وتتوغل في الآفاق والفضاءات القصيّة.

تبدأ الحكاية من رسالة تصل إلى غسان، وهو يتأهّب للسفر باتجاه جزيرة سوريتو الإيطالية، الواقعة في مدينة نابولي جنوباً، وبعض الجزر الأخرى، ومن ضمنها الجزيرة التي كانت مختبراً لاكتشافات عالم الأحياء البريطاني الدائم الصيت داروين، لنظريته الشهيرة «النشوء والارتقاء» التي حوّلت البشرية نحو الإيمان بالعلم، وليس بالملاحم، وحدّدتْ أصل البشرية، جندرها وتحوّلاتها البايولوجية، عبر التاريخ الحي والقديم.

إنّ هذه الجزيرة الفاتنة والشفافة، ستكون المحطة التي يأتي إليها غسان وحبيبته الواقعية شُهد، هذه الفتاة التي تعرّف عليها غسان في عام 1988 في نابولي، وهي فتاة عربية ـ فرنسية، تعيش في باريس، والراوي يعيش في ميناء لوهافر الفرنسي، فمأواه وعمله، في هذا الموقع البحري.

تصل الرسالة الإلكترونية لتخلخل في الحال أوضاع الراوي الذاهب في رحلة استجمام، وهو هنا شخصية جادّة، مثقفة، وتحب الحياة والكتابة، أصولها يمنية، من الجنوب، لها أفكارها الخاصة، وتاريخها الطويل مع الحياة اليمنية، بكل فصولها التاريخية الجديدة، وبالأخص الفترة التي تمتد منذ نشوء اليمن الماركسي في الجنوب، وحتى يومنا هذا.

تحوّلات كثيرة مر بها اليمن، جلّها سيسردها الراوي غسان، عبر أجوبة لأسئلة تأتيه من «وحي»، وهو اسم صاحب/ صاحبة الرسائل المرسلة تحت مسمى ذكري، بينما هو في الأصل لأنثى تتخفى تحت هذا الاسم، خوفاً من عائلتها المتسلطة، تلك التي تسكن في قصر منيف، في إحدى الدول المحيطة باليمن. ومن خلال الرسالة يبدو أن «وحي» هذا يتبع لعائلة كبيرة، ووالده له سلطة وثروة ونفوذ، وهو سجين هذ القصر الكبير الشبيه بالقلعة.

احتوت رسالة «وحي» على إشارة على أنه هو من أسّس لغسان على موقع ويكيبيديا البيوغرافيا الخاصة به، وقد ترجمها إلى ثلاث لغات عالمية، توضح كل ما كتبه من روايات، وأعمال، مع نبذة عن حياته، وهنا سيكون المدخل من «وحي» إلى عالم غسّان، ليسرد الراوي عبر رسائل لـ «وحي» كل تاريخه اليمني، منذ صغره في مدينة «الحواشب» جنوب اليمن حيث قرية «طور الرعد»، وحادثة الشيخ الذي يجيد حديث الملائكة في جامع «العيدروس» حيث جرت الحادثة التي غيرت مجرى حياة الراوي، الكاتب والروائي، هذا الذي لم يتطرّق يوماً إلى ذكر تلك الحادثة، في أعماله الروائية وهي حادثة قديمة، مرّت خلال طفولته، ووفق هذه الرؤية، سيرصخ الراوي غسان، لطلب «وحي» في تلبية ما يريد.

ستصل شُهد إلى سورينتو الإيطالية، حيث الشقة التي استأجرها غسان في الجزيرة المطلة على مناظر ساحرة، وهنا سيُحسن سروري

المزج بين التواريخ، عبر الإبدال الزمني، في خلق المسافة الدلالية بين التواريخ الحيّة، حيث هو في الجزيرة، يرى ويشاهد الجمال الأخاذ، والمدهش للطبيعة، كيف تعمل في هذا الأرخبيل الذهبي، ينجح في المواءمة بين الأزمنة اليمنية، ومن ثم نقلها للقارئ عبر «وحي» التي/ الذي هو هنا واسطة دلالية انزياحية، في نص الروائي الشيق هذا، والمتدفق في لغة رقراقة، شفيفة وذات جرْس لغوي، وشاعري مرهف. فعبر «وحي» الأعمى والقيادات الخائبة، والسجينة للأفكار النائية والبعيدة عن الواقع اليمني، وكذلك سيُظهر الروائي التمكن الفني، من اتساق العلاقات الثنائية، تلك التي تربطه بكل من الصديقة، والحبيبة الواقعية، والملموسة شُهد، والصديقة الجديدة التي تحاول التسّيد على مشهد الراوي، فهو يتنقل باتقان بين الصديقة الافتراضية «وحي» والصديقة الحسية والملموسة شُهد، هذا من دون أن ينسى المواءمة بين المدينة اليمنية، والأرخبيل، وبينه وبين الشخصية الثانية، عبد الباري، صديق فتوّته، وبينه وبين المنظر والقائد عبد القهار الذي سيصبح قائداً له الكلمة الفصل واليد الطولى والذي سينعته الراوي بـ «قهاروف» جرياً على التسميات الروسية، شولوخوف، خروتشوف، سيميونوف، ليرمنتوف، سوسلوف الخ... وهو الشخصية الحزبية الدوغمائية، في كل حزب شمولي، ينشد التغيير وهو ثابت في مكانه، يتحوّل عبر المقولات، والآراء إلى ببغاء، يردّد ما يقوله الغير، بدون تحويله وتغييره إلى واقع محلوم، كما كان يرد في الفكر الماركسي، ليتحوّل في يد المناضلين العرب، إلى إقطاعيات حزبية، واحتكارات للعقل، والآراء، واحتلال مزمن للثروات الفكرية الشخصية.

يمضي الصديقان أسبوعاً في جزيرة إسكيا، وهي الجزيرة التي عشقها نيتشه، وأقام فيها، بعد استقالته من وظيفته، وهو في مطلع العشرينيات، تليها رحلة طويلة إلى خليج نابولي حيث الجزر الذهبية تنتظرهما هناك.

يقتنص الروائي سروري لحظات من وقت أبطاله، وهو أمام شُهد في لحظة تعارفهما، ليسرد شيئاً من سيرته الذاتية، حياته الأولى، في القرية، دراسته، ثم ميله إلى دراسة الفلسفة، ولكن حلمه هذا لم يتحقق، فلقد درس طب الأسنان في أذربيجان، ضمن منحة دراسية، هي التي كانت متوفرة، بينما درستْ شُهد الفلسفة، في أهم مكان لتدريس الفلسفة في العالم، ألا وهو باريس، بينما غسان يخصص «ساعتين للعمل، ثم الحياة الحرة الحقيقية الكثيفة، ما تبقى من اليوم، يضحي منهجي المقدس في الحياة، ويعلم الله كم أحبّ الحياة مثل شُهد، لا أمتلك منذ عصري الشُهدي، غير الرغبة في الحياة والزيارات والاكتشافات والتفاعلات مع الناس والعالم والمشي الطويل والكتابة، وقراءة الأدب والفلسفة التي فاتني موعد دراستها في الجامعة».

يمخر العاشقان غسان وشُهد شواطئ العالم وجزره، رحلات صيفية وأخرى خريفية، إلى كولومبيا التي سُرقتْ فيها نقودهما، ومن ثم جزيرة غلاباغوس حيث داروين ومتحفه وفراشاته وعصافيره الرقيقة التي أجرى عليها تجارب نظريته العظيمة الدامغة، لدور الطبيعة في تخليق الكائنات، ومن ضمنها الكائن البشري، ودحض كل المسلمات الغيبية التي كانت تقدّس غيبيات الكهنوت، ضد علم، وأفكار، ونظريات الناسوت. وخلال هذه الرحلات في جزر نابولي، وخليجها، يقتنص الراوي الثواني للكتابة إلى «وحي» التي تنتظر منه إيميلاته التي انفتحت على تاريخ اليمن وجراحه الكثيرة، وهي سلسلة من الآلام التي لا نهاية لها، وهي «تطمّها حرب داخلية وأخرى خارجية، في آن واحد، لا صوتْ يعلو فوق صوت الميليشيات والهويات القاتلة، معتقلات غير قانونية، وتعذيب واغتيالات، وفيض هائل في أعداد القنّاصة المُختفين فوق العمارات، لا ينافسه إلا القنص الهائل، في عدد ثلاجات الموتى، وكل أنواع الأدوية ...

كل الميليشيات والقوى اليمنية، كل الأحزاب والمجالس الانتقالية والسلطة الشرعية، كلها دون استثناء عبيد ومرتزقة، تدور في فلك سادتها من القوى الإقليمية المتناحرة».

وهكذا بعين الراصد الفنان، والمُحايد، يقدم الروائي اليمني حبيب عبد الرّب سروري تجربة روائية نادرة، أضاءت جوانب معتمة ورهيبة من حياة اليمن الواحد فيما قبل، ثم اليمنين، أو اليمن المتشظي والمنقسم بعد التجربة الاشتراكية أيام عبد الفتاح اسماعيل ورفاقه، ثم بدء المؤامرة لتصفية التجربة الماركسية، وبدء حمامات الدم، والتنكيل برفاق الدرب، وتغييب الأخوة في مهاوي الموت، والتهلكة، وتحطيم كل ما تم بنيانه، خلال تلك التجربة التي شابها الكثير من النكوص، في إكمال تلك المسيرة الحية، المختلفة والجديدة على الواقع العربي.

**حبيب عبد الرّب سروري: «وحي»**
**دار الساقي، بيروت 2018**
**255 صفحة.**



## سيسيل وزلفا حوراني في «فضلو حوراني التاجر الهادئ في مانشستر»:

# مارك سايكس تعامل بازدواجية مع الحلفاء والعرب

**سمير ناصيف**

يتساءل كثيرون من الباحثين والأكاديميين الاختصاصيين في التاريخ الحديث لمنطقة الشرق الأوسط إذا كان مارك سايكس، المفاوض البريطاني الأساسي في اتفاقية سايكس بيكو التي وُقعت بين بريطانيا وفرنسا في عام 1916 بعد سقوط الدولة العثمانية، شخصاً مخادعاً أخفى عن قصد عن حلفاء بريطانيا العرب كونه أجرى مفاوضات سرية مع الركن الفرنسي في هذه الاتفاقية فرانسوا جورج بيكو وأنهما توصلا إلى تقسيم جغرافي-سياسي للمنطقة لا يتناسب مع وعود الإمبراطورية البريطانية لقادة المنطقة العرب الذين تحالفوا معها ودعموها في الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا وحلفائها.

في كتاب صَدرَ مؤخراً عن سيرة ونشاطات فضلو حوراني، أحد قادة المجموعة العربية الأصل في مدينة مانشستر البريطانية، التي دعمت ماديا ومعنويا الحملة البريطانية في الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى بعنوان: «فضلو حوراني التاجر الهادئ في مانشستر» يوضح مؤلفاه سيسيل وزلفا حوراني (نجل وحفيدة فضلو) الكثير من الأمور عن هذا الموضوع، علماً أن فضلو حوراني، اللبناني الأصل وشخصيات عربية بارزة أخرى في مجموعة مانشستر، التقوا مارك سايكس شخصياً وقدموا إليه تبرعات من مجموعتهم التي سميت آنذاك «الجمعية السورية في مانشستر» لدعم حملة الجنرال البريطاني اللنبي التي هزمت الجيش المؤيد لألمانيا والدولة العثمانية واحتلت فلسطين وسوريا وجوارهما بمساعدة الشريف حسين.

يقول المؤلفان في الفصل الرابع بعنوان: «فضلو والحرب العالمية الأولى» كانت هناك جمعيتان عربيتان بارزتان في بريطانيا أيدتا قوات الحلفاء في هذه الحرب إحداهما في مانشستر بقيادة حوراني والأخرى في لندن بقيادة باتريس دو زغيب، اختلفتا حول أهداف وطبيعة التأييد للحلفاء، فمجموعة مانشستر كانت تدعم التعاون البريطاني الميداني والسياسي بشكل رئيسي مع الشريف حسين لتأسيس دولة عربية موحدة بقيادته كما وعدت بريطانيا، تضم سوريا وفلسطين والعراق وما سمي لاحقاً بالأردن ولبنان والحجاز، فيما كانت مجموعة زغيب تهدف إلى نشوء دول متعددة في المنطقة تؤمن حقوق الأقليات الدينية والاثنية واللغوية بشكل أساسي وليس لإنشاء مجموعة قومية ضخمة تذوب فيها هذه الأقليات، أي أن مجموعة مانشستر كانت ضد الموقف الفرنسي آنذاك الساعي إلى الهيمنة الفرنسية على سوريا ولبنان، وسلخ سوريا عن فلسطين وإبرام صفقة تعطي فلسطين وجوارها للانتداب البريطاني في مقابل انتداب فرنسا على سوريا ولبنان، وهذا ما حدث في اتفاقية سايكس بيكو لعام 1916. وقد اجتمع فضلو حوراني مع زغيب، كما تواصل معه من خلال الرسائل المتبادلة بينهما في مطلع عام 1918 وتبين من هذه الرسائل وجود تصادم بينهما بالنسبة لأي جهة ستحل في السلطة مكان السلطة العثمانية في الشرق الأدنى والجزيرة العربية، وإذا كانت ستكون سلطة مركزية عربية موحدة (حسب حوراني ومجموعة مانشستر) ويحظى جميع سكان هذه الدولة بالحقوق نفسها، كما في التشريعات الأوروبية حيث الدولة تمثل الوطن، أو في المقابل بأن الدولة تمثل مجموعة من الأقليات الدينية والثقافية واللغوية في دول متفرقة أو في كيانات فدرالية داخل هذه الدول (كما في موقف زغيب).

ويبدو مما ورد في هذا الفصل، أن مارك سايكس كان «يلعب على الحبلين» في مشاوراته مع المجموعتين العربيتين ويمارس الازدواجية وأن فضلو شعر بهذا الأمر ولكنه لم يرغب بالخلاف والمواجهة مع سايكس وخصوصاً لأن المجموعتين العربيتين لم تمتلكا صفة رسمية بل كانتا تشاوريتين وداعمتين للحلفاء تسعيان لإثبات ولائهما لسياسات بلد المهجر الذي تعيشان فيه.

ومما أثبت الازدواجية في مواقف سايكس أنه كان يجتمع مع زغيب لتحضير البيانات التي سترسلها المجموعات العربية إلى وزارة الخارجية البريطانية والتي ستؤيد مواقفها ويأخذ في الاعتبار ميول زغيب نحو الموقف الفرنسي بالنسبة لفصل فلسطين عن سوريا (أي التقسيم) ولكنه يجتمع بعد ذلك بحوراني ويكيل له المديح على تأييد جمعية مانشستر الأساسي لبريطانيا وللجنرال اللنبي وعلى تمنياته لنجاح مهمة بريطانيا في إنشاء دولة موحدة حليفة لها بقيادة الشريف حسين تضم جميع المناطق العربية التي كانت تحت سلطة الدولة العثمانية.

ويقول المؤلفان إن الثقة من جهة مجموعة مانشستر بمارك سايكس كانت مهتزة، وشككت المجموعة بمواقفه منذ البداية، إذ لو لم تفصح روسيا وجود اتفاق بريطاني - فرنسي سري حول انتداب فرنسي على سوريا وجوارها، لما علمت المجموعة بذلك ولربما تحفظت في تقديم الدعم المالي والإعلامي لحملة الحلفاء.

ويؤكد الكاتبان أن الوالد أبلغ نجله انه سأل سايكس عن مبررات الموقف الغامض والمتردد لبريطانيا بالنسبة إلى إنشاء دولة قوية موحدة أو مجموعة دول تتقاسم بريطانيا وفرنسا النفوذ فيهما في المنطقة، وأن فضلو أحرج سايكس في هذا السؤال. وفي رأي فضلو فإن سايكس لم يكن محترفاً بما فيه الكفاية ليتسلم مهمة ضخمة كتقسيم المنطقة العربية برمتها، علماً أن أصحاب القرار الفاصل في هذا الشأن كانوا أعضاء الحكومة، البريطانية بقيادة لويد جورج واللورد كيرزون ووينستون تشرتشل (ص 79).

ويوضح المؤلفان في الفصل الثاني عشر بعنوان: «فضلو وفلسطين» أنه لدى طرح فضلو السؤال على مارك سايكس ما هو تفسيره للازدواجية والغموض في الموقف البريطاني بالنسبة لتقسيم المنطقة؟ أجابه سايكس: «منذ بداية مفاوضاتي مع فرانسوا جورج بيكو حول مستقبل سوريا أوضح بيكو أن ما يهم فرنسا أولاً في الشرق الأدنى العربي هو نفوذها الرئيسي في سوريا وما يهمها في أوروبا سيطرتها على منطقتي الألزاس واللورين». وأضاف سايكس في رده أن «بيكو لم يقبل التراجع قيد أنملة عن موقفه إزاء تقسيم سوريا الكبرى. وبما أن بريطانيا لم ترغب في فشل المفاوضات مع فرنسا، فقد توصلت معها إلى تنازل وحل وسطي مساوم في الموضوع السوري. وهذا أفضل ما كنا قادرين على فعله» (ص 284).

وأبلغ فضلو نجله سيسيل في رسالة وجهها إليه عن الموضوع أنه لم يكن لديه إثبات للشك في ما قاله سايكس، ولكن من المؤسف أنه تمت التضحية بسوريا في كنف الأطماع الاستعمارية للدولتين البريطانية والفرنسية وتم تقسيمها إلى منطقتين جغرافيتين هما سوريا (الحالية) وفلسطين من دون التشاور مع الشعوب المعنية بالأمر، وتم بعد ذلك اعتماد سياسة: «فرق وقسّم فتسُد» ما دفع الناس في المنطقة إلى الحسرة على أيام الحكم العثماني - التركي (ص 284).

أما بالنسبة إلى «وعد بلفور» (الذي تحقق في عام 1917) فإن الوضع كان حساساً، حسب ما قال فضلو في خطاب القاه في مانشستر، فحاييم وايزمان القائد الأساسي للحركة الصهيونية في بريطانيا أنجز اكتشافاته العلمية في حقل الكيمياء في جامعة مانشستر. وهذه الاكتشافات خدمت بريطانيا وحلفاءها في الحرب العالمية الأولى والثانية، وجلس على مقاعد البرلمان البريطاني لمدة ثلاثين عاماً ممثلاً مدينة مانشستر، وبالتالي فبدور «وعد بلفور» زُرعت في هذه المدينة.

وفي هذا الخطاب الذي ألقاه فضلو في جامعة مانشستر في عام 1943 أمام حضور دبلوماسي وأكاديمي رفيع، فرّق بين اليهودية والصهيونية فاليهود (حسب ما قال) «يطمحون بالعودة إلى فلسطين لممارسة معتقداتهم الدينية وللتنقل بحرية في ذلك البلد وربما لقضاء حياتهم فيه ثم الموت والدفن في أرضه، وهذا شأن لا يتعارض مع تعاليم الإسلام والمسيحية ولا مع مواقف سكان فلسطين، فالقرآن الكريم يعتبر اليهود من أهل الكتاب.

أما معارضة العرب والمسلمين للصهيونية فعاد إلى تشجيعها على هجرة اليهود المكثفة ودعمها للطريقة الجماعية التي تجري فيها هذه الهجرة ولاعتبارهم أنفسهم أصحاب الأرض، ومن ثمة بث هذه الأيديولوجية لدى قادة بريطانيا ودفعهم لإصدار وعد بلفور. أملاً في تحقيق طموحاتهم في المستقبل».

وأضاف: «وعد بلفور أكد ضرورة عدم المس بحقوق السكان الأصليين ولكن من دون تحديد مَنْ هم هؤلاء السكان. المسؤولون في الحكومة البريطانية الذين قرأوا وعد بلفور ربما فعلوا ذلك بدوافع إنسانية وليس حصراً لدوافع دبلوماسية. وبالرغم من ذلك، فإن وعد بلفور كان منحازاً إلى جهة واحدة ولم يحدد هوية الذين يجب التعامل معهم بطريقة تضمن حقوقهم بل قال فقط: الذين هم من غير اليهود، وهذا قد يعني الفئات الاثنية الأخرى بشكل عام من دون تحديد السكان العرب الفلسطينيين (ص 287 ـ 288)».

واعتبر فضلو في موقف لاحق له، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن «تأسيس دولة حصراً يهودية في فلسطين من دون تطبيق أي شروط هو أمر سخيف وسياسة فاشلة» (ص 290).

الكتاب عموما لا يركز فقط على نشاطات فضلو حوراني في جمعية مانشستر العربية في مطلع القرن الماضي بل على حياته ونشاطاته عموماً. فهو كان رجل أعمال ناشطا في حقل المنسوجات والأقمشة، شأنه شأن كثيرين من المغتربين العرب في تلك المنطقة من بريطانيا وفي تلك المرحلة. وكان ينتقل بين بريطانيا والبرازيل ولبنان وأمريكا ويُشرف على أعمال خيرية ونشاطات ثقافية وتعليمية.

وقد درس في شبابه في «الكلية السورية البروتستانتية» في بيروت التي أصبحت لاحقاً «الجامعة الأمريكية».

وخلال وبعد الحرب العالمية الثانية تأثرت أعماله التجارية في بريطانيا سلباً وتعرضت مكاتبه في مانشستر للقصف والتدمير عام 1940 وأصبح من الصعب جداً عليه القيام برحلاته التجارية. ولكنه لم يستسلم واستمر في العمل وأضاف إلى نشاطاته في التجارة دوراً اذاعياً تثقيفياً في «هيئة الإذاعة البريطانية» في لندن، كما وسع مشاريعه الثقافية والتعليمية في لبنان بعد الحرب وجمع التبرعات من المغتربين اللبنانيين والعرب في بريطانيا وأمريكا والبرازيل ونجح في إنشاء كلية ما زالت قائمة في بلدة مرجعيون الجنوبية اللبنانية مسقط رأسه الذي بقي وفياً له حتى وفاته.

توفي فضلو عام 1960 تاركاً أثراً كبيراً في عالم الاغتراب اللبناني والعربي. ومن أثره العائلي أبوّته لثلاثة من أبرز الخبراء في شؤون الشرق الأوسط والعالم العربي وهم جورج والبرت وسيسيل حوراني. جورج حاضرٌ في أبرز الجامعات الأمريكية، والبرت في كلية سانت انتوني في جامعة أكسفورد البريطانية وسيسيل مؤلف هذا الكتاب، كان مستشاراً للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ولولي العهد الأردني الحسن بن طلال.

**Cecil and Zelfa Hourani: «Fadlo Hourani: The Quiet Merchant of Manchester»**
**Antoine, Beirut 2020**
**409 pages.**

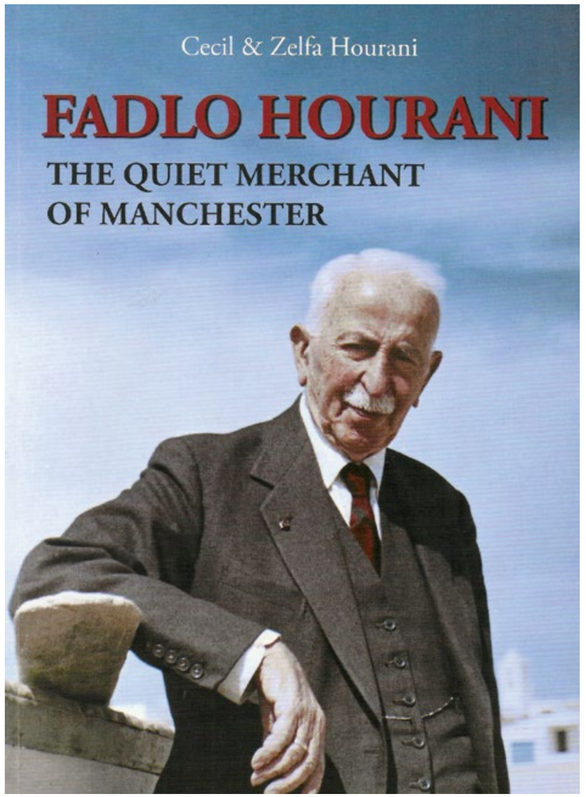

# المقال

زياد ماجد

## عن الرحابنة وفيروز في ذكرى الحرب اللبنانية وصَلاة كورونا

فيروز

تسود في بعض الأوساط الثقافية اللبنانية، الشابة عمراً أو المتحدّرة من أصول يسارية، مقولات من نمط أن لبنان «كذبة»، وأن الكذبة تلك ساهم الرحابنة وفيروز في صياغتها، أو أنها بالأحرى صاغت جوانب عديدة ممّا قدّموه فنّياً على مدى عقدين من الزمن.

ويُنسب بهذا المعنى لمسرحيّات وأغانٍ رافقت جيلَين على الأقل من اللبنانيين بناؤُها لأوهامٍ وركونها إلى المبالغات الشعرية، بأسلوب درامي يجمع بين المخيّلة السياسية القرويّة الفقيرة والخطاب الوطنيّ المجرّد من أي علاقة بإشكاليات الاجتماع السياسي وهشاشة توازناته وواقع الصراعات فيه.

وقد انسحب التجريد هذا على الإنساني في فيروز نفسها، إذ بدت لعقود أشبه بالرمز المقدّس أو بالرائدة الفضائية منها بالمرأة العادية، وتحوّلت حتى في ما أُطلق عليها من ألقاب، أبرزها «جارة القمر» و«سفيرة لبنان إلى النجوم»، إلى كائن صوتي بلا لحم ودم يمثّل «فكرة» لبنان في حيّز غامض، بلا جغرافيا وقوانين جاذبية، هو الفضاء الرحب وكواكبه.

والأرجح أن في النقد المذكور الكثير من الصحّة. غير أن استسهال القفز من صواب التشخيص إلى استنتاج مفاده لا مشروعيّة الكيان اللبناني أو كون البلد «كذبة» فيه من التبسيط والتجريد ما لا يقلّ عن اعتبار البلد إياه «جبال صوّان» أو «صخرة معلّقة بالنجم» أو «ذَهب زمان ضائع». ذلك أن المبالغات المحمّلة شوفينية وشحنات ميتافيزيقية كانت على الدوام، وفي كل البلدان والأمم، عنصراً من عناصر تكوين «الوطنية» وصناعة «الهويّة» الدافعة إلى ترسيم حدود ترابية غالباً ما جاءت مُفتعلة، قبل أن ترسّخها مصالح وعلاقات وسُلطاتٌ ومُدن وتقارُب لغات ولهجات.

ولّا استثناء في السردية الإنشائية والفولكلورية اللبنانية في هذا الباب، ولا جديدٌ كذِب، في ما خلا أن البلد ذاته فتيّ النشأة، رسمت حدوده انهياراتٌ أمبراطوريةٌ وتفاهمات استعمارية، تماماً كما رُسمت حدود كثرةٍ من البلدان العربية الأخرى والأفريقية والأميركية والآسيوية والأوروبية البلقانية والشرقية. وهو بهذا المعنى، لم يكتمل نموّه، فكيف انفجرت فيه وحوله تناقضات أفضت حروباً طاحنة واجتياحات واحتلالات واختلالات لم يتخطّ آثارها، وولّدت فيه رغم قسوتها تعلّقاً به، ليست كثرة الانتفاضات الشعبية والحيويات الثقافية والمدنية إلا بعضاً من مظاهرها.

على أنّ القول بلا استثنائية المبالغة في تعظيم لبنان ورفعه إلى مرتبة أقرب إلى السماء منها إلى الأرض، لا يعني في السياق الداخلي اللبناني أن لا مؤدّيات سياسية للمبالغة المذكورة، خاصة وأن السجال تجدّد حول وضع البلد ودوره ووظيفته في ذكرى الحرب الأهلية قبل أيام (في 13 نيسان/أبريل)، بالترافق مع تداول فيديو حديثٍ لفيروز تتلو فيه صلوات لمواجهة كورونا.

وإذا كان من نقد يمكن كيله في هذا الباب، فهو لأمرين اختزنهما الميراث الرحباني إذ تحوّل إيديولوجيا، قبل أن ينشقّ عنه الابن زياد شاهراً في وجهه إيديولوجيا مضادة، ظلّت في تكوينها شديدة الشبه به.

الأمر الأوّل، ارتباطه الوثيق بخطاب حربي لم يرَ في المسؤولية الأولى عن خراب لبنان سوى «غريب» أو «محتلّ»، يكفي كفّ شرّه ليعود «لبنان الحقيقي» لبنان البساطة» فينزع «الوجوه المصبوغة والوعود المدموغة». والخطاب هذا لم يتبدّل في بعض الأوساط الطائفية اللبنانية منذ عقود، وهو عطفٌ على الغريب الأول الفلسطيني، غريباً ثانياً هو اللاجئ السوري المشرّد إلى لبنان اليوم والمتّهم بالمسؤولية عن تردّي أوضاعه.

والأمر الثاني، هو مساهمته في تجميل ثقافة سياسية تُماثِل في جوانب منها ثقافات الشعبويةً المتطرّفة وما فيها من تسطيح للصراعات في المجتمعات وإحالة للسياسة إلى مشكلة مع ممثّل للدولة أو مع معقّب معاملات أو مع طبيب أو محام أو «مثقّف» (يمثّلون السلطة) أو مع أجنبي وقوىً خارجية هُلامية، يتآمرون جميعهم على الشعب الأصيل وعلى أبطاله الناطقين بكلمة الحق. وفي هذا ما يُلغي كلّ التعقيدات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفلسفية و«يُسهّل» الحياة واتّخاذ المواقف فيها (على نحو قد يكون خطيراً في نتائجه). فكيف وأنّ التجميل الفنّي للأمر مُحمّل بخفّة ظلّ شخصيات مسرحية وبموسيقى عذبة وكلمات غرام يرافقها صوت «أيقوني»، هو صوت فيروز!

ولعلّ المفارقة هذه تحديداً هي مكمن المغناطيس في التجربة الرحبانية ـ الفيروزية، إذ أنها تجذب جمهوراً أوسع بكثير من أي إيديولوجيا، وتدفع بعضه لغضّ النظر عن البعد «السياسي» وعن التغنّي السقيم بالأمجاد المتخيَّلة الغابرة (أو حتى للدفاع عنهما)، بسبب تعلّقه بأغانٍ حبّ وغزل ومناجاة طبيعة لا تشبه «الوطنيّات» المغنّاة إلّا في الجذور الريفية المشتركة أو في البحث عن الضيعة الضائعة والمشتهاة. وهذا ما يُسبّب بدوره الارتباك تجاه فيروز كظاهرة فنّية، خاصة بعد أن أبعدها ابنُها زياد لفترة عن الصورة التي سجنها والده وعمّه داخلها، وأنزلها من النجوم وملّكها مشاعر ضعف و«ضيق خلق» وندم ورغبات غواية وسهر وعلاقات «أرضية».

لكنّه إذ فعل ذلك، لم ينجح في تحطيم الهالة القدسية المحيطة بها، ولم يشأ ذلك ربما وهو الحاصل بنفسه على ما يُعادلها، بصناعة يسارية ـ شيوعية هذه المرّة، قد تكون مواقفه السياسية البائسة في السنوات الأخيرة ثم اختفاؤه لحظة الانتفاضة اللبنانية قبل أشهر قد أزاحت جانباً منها. ويمكن القول اليوم إن ريما الرحباني، ابنة فيروز ومديرة أعمالها، أعادتها مؤخّراً إلى مقام غامض وملتبس بين مقامَي الأب والأخ، يُشبه ظهورها الأخير الغريب وهي تصلّي لتطلب الخلاص البشرية من فيروس، فتبدو ملاكاً حارساً للبعض، ومجرّد سيّدة ساذجة مستغَلّة شهرتُها، للبعض الآخر...

يبقى أن النقاش المذكور بأسره لا يعدّل كثيراً في أذواق معظم المستمعين لفيروز، من العرب بخاصة، مقدّسين لها أو ناذبين أو متعلّقين – مثل كاتب هذه السطور – بأغانٍ محدّدة من البومات مختلفة، للرحابنة ولمحمد عبد الوهاب كما لفيلمون وهبي وزياد (بقديمه وبما قدّمه لها في آخر الثمانينات وفي التسعينات فقط) ولمحمد محسن وزكي ناصيف. وفي التعلّق الانتقائي هذا، ما قد يُبقي لفيروز مكانة خاصة في الذاكرة الفنّية الجمعية، فيُقصي عنها الزوج والابن والبنت والإيديولوجيا، ويسمح بتقييمها لحناً أو شعراً أو أداءً أو ظهوراً إنسانياً أو عُربا صوتية...

كاتب وأكاديمي لبناني



# رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

## كورونا: من أجل حجر طبيعي

سعيد يقطين

إن السؤال الذي بات يفرض نفسه على الجميع بشكل أو بآخر هو: ما هي الآثار والنتائج والخلاصات التي يمكن الخروج بها من وراء هذا الحدث الجائحة؟ إن التأويلات المختلفة لا تفيدنا في شيء لأن مقاصدها ذات أبعاد تصب في تغذية الصراع بين الأمم والدول. ولعل ما يفرضه علينا هذا الحدث يتمثل في كيف يمكننا التفكير فيما بعده، ليس فقط بهدف عدم تكراره، ولكن أيضا بهدف العمل من أجل رؤية جديدة للإنسان، والمجتمع والعالم لأن ما عراه الفيروس يكشف بجلاء أن الحضارة الغربية المادية في جانبها المبني على أساس الرأسمال المتوحش لخدمة فئة خاصة جدا لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. وأن على الفكر الإنساني أن يبحث عن إبدال جديد للمستقبل يتعدى كل التصورات التي روجت لها تلك الحضارة وامتداداتها المعاصرة، وما جرته على البشرية من حروب وكوارث.

كان الحجر الصحي الذي فرضه فيروس كورونا ضرورة قصوى وإلا لانتشر الوباء وقضى على الملايين. استبقت بعض الدول إلى ممارسته، وتباطأت أخرى، وظهرت النتائج التي تؤكد أن عند الصباح يحمد القومُ السُّرى، وأن الإقدام أهم من الإحجام في اللحظات الحرجة والقصوى. لم تجرب البشرية جمعاء الحجر الصحي المفروض عليها مع كورونا في كل تاريخها. فهل هي في مستوى التفكير الذي يؤهلها للتخلي عن الأنانية والمصلحة القومية الخاصة لفائدة تفكير إنساني جديد، يجعل من هذه الجائحة ذكرى تاريخية؟

ما أكثر الدروس التي يمكنها أن يستنتجها العاقلون أفرادا وجماعات وتستخلصها أمم وشعوب من خلال هذا الابتلاء، وما أعظمها. ولعل التفاوت في تقييم ما وقع يكمن في منهجيات التفكير، وطرائق الفهم والتفسير، وتقدير الأشياء، وما تحمله من دلالات عميقة ومعان لطيفة. ومن بين أهم الأمور التي تأتى لي التوقف عليها، من خلال تجارب الأمم، وضرورات ما تستنتجه من عبر في المنعطفات الكبرى والفاصلة في تاريخها: اتخاذ أيام، ومناسبات جليلة محطات لتخليد عظيم الأعمال والأهوال بهدف استبقائها أبدا حاضرة في الذاكرة الجماعية لأمة أو قبيل. ولا أقصد بذلك سوى: الاحتفال، وتخليد الذكرى.

كم من الشعوب تحتفل بعيد النصر، وباليوم الوطني، وبالاستقلال، بعد انصرام سنوات وعقود الاضطهاد والعسف والذعر والهلع، وتعتبره مناسبة خالدة، وعيدا وطنيا تتوقف فيه كل الفعاليات والأنشطة؟ ألا يمكننا الاحتفال بعد انجلاء الجائحة؟ لماذا؟ وكيف؟

لا يمكن اعتبار ذاك الاحتفال وهذه الذكرى مناسبة لتأكيد الانتصار على الفيروس والقضاء عليه. فهذا ما يتوقعه الجميع، وهو يتطلع إلى اليوم الذي يعلن فيه عن رفع الحجر الصحي. وبعد هذا الإعلان ستبدأ دورة الحياة التقليدية، بالتدريج، بسبب التخوف من رجوع الفيروس، ثم تأخذ مدًى أشد مما كانت عليه قبل انتشار الوباء. وفي هذا الصنيع لا مجال للحديث عن الاحتفال أو الذكرى: فص ملح وذاب؟

لا جرم أنه سنتوطأ، بعد جلاء كورونا، تحولات كثيرة على مستويات عدة. كما ستبرز تحليلات وقراءات لا حصر لها. ويمكن توقع ظهور حركات اجتماعية ذات أبعاد متعددة، إذا ما أحسنا الإنصات إلى درس كورونا البليغ. وإلا فحليمة ستعود إلى عادتها القديمة بعنف أشد. ولا شك أن تلك العودة، ستؤكد أن الذكرى لا تنفع البشرية، في أي شيء، وأن المتضرر الأكبر سيظل هو البيئة والطبيعة كرّة أخرى. تشير الكثير من الدراسات إلى أن المجال الجوي اتخذ صورة مختلفة عما كانت عليه، وأن الأرض بدأت تتعافى، وأن التلوث تناقص بصورة ملحوظة.

الاحتفال والذكرى، شيئان مختلفان. لا نمرح فيهما بعيد النصر على العدو الذي أربك حياتنا، وجعلنا نعيش الخوف والهلع. ولكننا نسترجع الحدث، ونتوقف على ما فرضه علينا من وقوف إجباري، لم نهتم به، وإن كنا نستشعر أهميته، لنتأمل ما اجترحته أيادينا، واقترفته مؤسساتنا المختلفة حتى جعلتنا عاجزين أمام العدو الذي فرض علينا التوقف، وأجبرنا عليه. لا غرابة أن نجد هذا العدو قد سجل نفسه في الذاكرة الجماعية للبشرية. فهل نحن قادرون على تخليد ذكراه، والاحتفال بما يليق بالذكرى استشرافا لمستقبل أفضل؟

كان المجتمع العربي ما قبل الإسلامي قائما على الحروب القبلية التي لم تكن تبقي ولا تذر. كان الخوف من الموت، والسبي، والثأر عنوان حياة، قوامها السيف. ولما كانت هذه الحروب متواصلة، جاءت الأشهر الحرم لتعطي للعربي هدنة معاودة حياته قبل هيمنة الحرب، من جديد، لتحقيق أهداف كبرى من بينها التفكير في السلم لحساب أحدهم على الآخر. وأعطى الإسلام هذه الأشهر قيمة خاصة، وأبطل منها ما كانت تمارسه العرب فيها من تحايلات. لا أمير من الأشهر الحرم، وبين المعاهدات التي تقضي بإيقاف الحرب بين طرفين، أو بتحقيق سلام دائم، من حيث المضمون.

جاء الحجر الصحي العالمي اضطرارا. وتلكأت دول غربية في ممارسته غرورا وطمعا في ألا تتوقف عجلة طاحونتها الاقتصادية، فلم تجن من وراء ذلك إلا الاستهزاء والخسارة. ألا يمكن للضمير الإنساني أن يتوقف بمناسبة الحجر الصحي الذي فرض عليه، وأن يحتفل به اختياريا لتحقيق غايات كبرى، وعلى رأسها: معافاة الأرض؟

التوقف خلال كل شهر اذار/مارس، على المستوى العالمي، لتخليد الحجر الصحي ليصبح الحجر الطبيعي والإنساني الذي تمارسه البشرية على نفسها ليكون بمثابة استراحة من الاتصال القائم على الانفصال، والرجوع إلى الانفصال الذي يعيد إلينا صلتنا بأنفسنا، وبغيرنا، وبكل ما نفتقده ونحن نجري ونلهث وراء السراب، سراب الاقتصاد المتوحش؟

لنجعل من شهر اذار/مارس والأرض تتفتح لتظهر زينتها، شهر الحجر الطبيعي الاختياري على المستوى العالمي، فتتوقف فيه كل أشكال الحياة وفق الصورة التي فرضها الحجر الصحي الاضطراري، بلا كمامات، ولا خوف أو هلع. ويكون الاستعداد للاحتفال بلا توتر أو ازدحام، تاركين للأرض فرصة أن تتنفس هواء نقيا، وللكائنات الحية أن تمرح على كيفيتها، وتتيح للبراعم التفتح على خاطرها. إذا لم نحتفل بهذه الذكرى بما يليق به أي احتفال من تفاعل وتسامح، لتُهيئ البشرية نفسها لأوبئة وجوائح أشد وأبقى، ولات حين مندم. إن موعدهم الصبح، وهو قريب.

قد يقول قائل: هذه دعوى «مثالية»، بناء على أن كل الذين دخلوا الحجر الصحي كانوا مكرهين على ذلك، ولا يمكنهم إلا الخروج بعنف أشد بعد زوال الحجر، بهدف التعويض عن أسابيع الحجر تحت طائلة الخوف من العدوى، أو من العقوبات التي طاردتهم إما بالعصا، كما رأينا في بعض الصور، أو من خلال الحبس أو الغرامة، أو هما معا. وتبعا لذلك فالحجر الاختياري، وعلى المستوى العالمي، «حديث خرافة». لا تري، يقول لسان الحال نفسه: إن العديد من الدول «المتقدمة»، وهي في مرحلة ذروة الانتشار، تتحدث عن الشروع في التراجع عن الحجر، وبداية الرجوع إلى نمط الحياة المعتاد؟ إذا كان هذا في أيام «الحرب»، فهو مستحيل في غيرها.

فُرض علينا الحجر الصحي ولم يكن أحد قد أعد له حسابا. الا يمكننا دخول حجر طبيعي طائعين بعد أن نوفر كل مستلزماته من أجل إعفاء الأرض مما نعرضها له، ومعاقباتها مما نلحقه بها من أضرار تنقلب علينا وعليها؟ الحجر الطبيعي احتفال بذكرى وعي إنساني. ورفض الدعوى إعلان عن غريزة القطيع.

كاتب مغربي

# الفنانون وكورونا

فيما أغلقت الصالات الفنية والمتاحف والمسارح جميعها أبوابها بسبب وباء كوفيد–19 يكتشف الفنانون في أنحاء العالم طرقا إبداعية لمواصلة أنشطتهم والتكيف مع حالة الحجر المنزلي. فقد أصبحت الشرفات مواقع فريدة للعروض الفنية اليومية وللتعبئة المدنية.

هذه التظاهرات الفنية تحصل من دون ميزانية ومن دون افتتاح ولا حضور، هي نزهة حميمة بحثا عن مؤشرات حياة وفن.

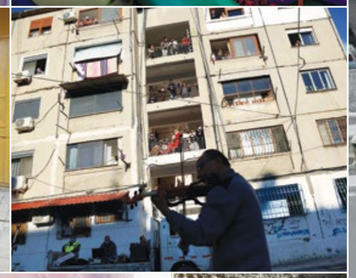
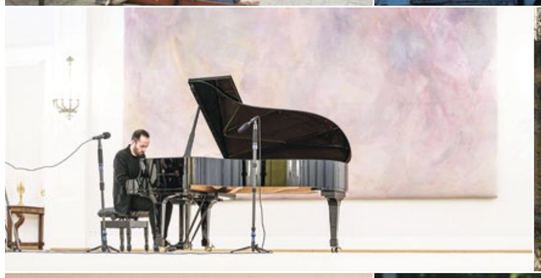
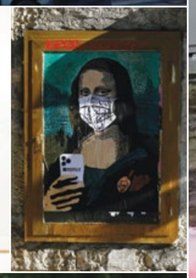

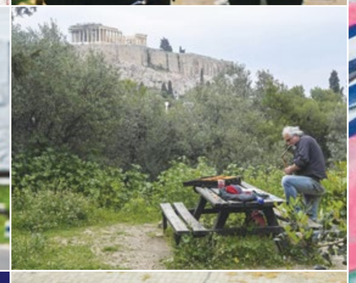

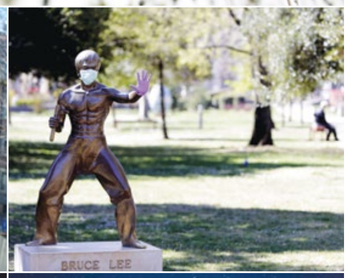

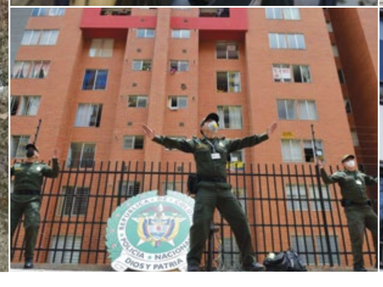
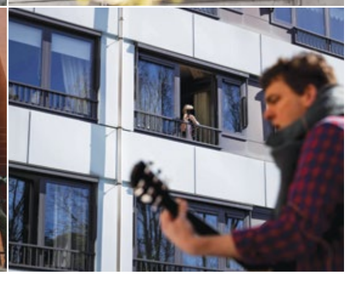

# شعراء التروبادور أدخلوا موضوعات الحب الدنيوي: صقلية بملامح أندلسية

**عبدالواحد لؤلؤة**

الملامح الأندلسيّة، بمهادها العربي المشرقي، هي التي انتقلت إلى جزيرة صقلية في الجنوب الإيطالي، في بواكير القرن الثالث عشر. كان ذلك من نتائج «الحملة الألبيجية» التي قادها من باريس عام 1209 البابا إنوسنت الثالث، ولقبه «البري» للقضاء على حضارة بروفونس في الجنوب الفرنسي المزدهر. وكان من بعض نتائج تلك الحملة هجرة الكثير من شعراء بروفونس، التروبادور الجوّالين بين القلاع وقصور النبلاء، ينشدون أشعارهم وأغانيهم، بمصاحبة العود الذي حَمَله إلى الأندلس المغنّي والموسيقي العراقي علي بن نافع: زرياب. ولأن أغاني التروبادور لم تكن تتغنّى بحب العذراء؛ وردة العالم، بل تتغنّى بحب امرأة دنيوية المنزع والمشارب، مما يألفه الإنسان الأوروبي في حياته اليومية، صارت أغاني الحب هذه «وثنيّة» في المفهوم الأوروبي الملك الصقلي شاعراً، يقيم الكنيسة الكاثوليك الرومية على امتداد العصور الوسطى في أوروبا. راح التروبادور المهاجرون يبحثون عن ملاذات آمنة، برعاية ملوك وأمراء يحبّون الشعر والغناء. ذهب بعضهم إلى الشمال الغربي من فرنسا، إقليم بريتاني، وتطوّر شعرهم هناك باسم شعراء الترفير، لينتقلَ لاحقاً إلى بريطانيا برعاية إيلينور الأكيتانية عام 1154وهي حفيدة التروبادور الأول كيّوم التاسع. كما تفرّق شعراء آخرون إلى الشمال الشرقي، إلى جرمانيا والنمسا، حيث تطوّر شعرهم هناك فصار يُدعى «مينيسنكر». وهكذا انتشرت فنون شعر الحب والغزل التي تطوّرت في شعر الأندلس الوليد باسم الموَشّح والزجل، وكلاهما ينظم للغناء.

لكن أغلب الشُعراء التروبادور هاجروا إلى جزيرة صقلية الإيطالية، حيث كان فريدريك الثاني (1194–1250) قد اتّخذ لنفسه لقب «الإمبراطور الروماني المقدّس» وبذلك وضع نفسه فوق منزلة بابا روما. كان هذا الملك الصقلي شاعراً، يقيم «البلاط الكبير» بحاشية تضمّ حوالي ثلاثين شاعراً، ينظمون قصائدهم باللغة الأوكسيتانية، تقليداً لشعراء بروفونس في الجنوب الفرنسي. لكن تلك اللغة بدأت بالتطوّر إذ كان الإمبراطور ينتقّل ببلاطه بين صقلية ومدن الجنوب الإيطالي بين حين وآخر، فدخل إلى لغة شُعَراء بلاطه الأوكسيتانية بعض المفردات الإيطالية بجذورها اللاتينية. كان من أبرز شعراء إيطاليا التروبادور من تلك الفترة سوردِيلو من أهالي مانتوا، الذي كان على علاقات حميمة مع شعراء بروفونس الذين بدأوا يتدفّقون على صقلية وملاذات الجنوب الإيطالي. ازدهر شعر سوردِيلو في حدود عام 1237 وخاصّة قصائده السياسية التي كانت تهاجم أغلب الملوك والأمراء في أوروبا الغربية، مما استرعى اهتمام دانتي آليكييري (1265–1321) الذي كان مشغولاً وقتها بالخصومات السياسية في إيطاليا. تتميّز قصائد الحب عند سوردِيلّو بالنبرة العالية والقوافي المنضبطة التي تشبه الكثير من قصائد الغزل العربي في أمثلة الموشّح والزجل، التي تماهت معها أغاني التروبادور الأوائل. من أمثلة ذلك قصيدته رقم 2 التي تتكوّن من خمسة مقاطع ثُمانية الأبيات، تلتزم قافية دقيقة النظام: أ–ب–ب–أ ج–ج–د–د، يتبعها أربعة أبيات تكرّر تقفية النصف الثاني من المقطع الأساس: ج–ج–د–د مع مقطع ختامي من بيتين إثنين.

والسؤال الذي لا يُمكن تجاوزه هنا هو: من أين جاء هذا النظام الدقيق في التقفية إن لم يكُن من الشعراء التروبادور من إقليم بروفونس في الجنوب الفرنسي المتاخم لبلاد الأندلس وشُعرائها؟

هذا جزء من قصيدة سوردِيلّو رقم 2 يبيّن النبرة في مفهوم الحب غير المسبوقة في التراث الأوروبي منذ الإغريق والرومان امتداداً إلى القرون الوسطى، لا يُمكن تفسيره إلاّ بالرجوع إلى تراث الشعر الأندلسي، مشرقي الجذور، وإلى مفهوم الحب كما يعرضه ابن حزم الأندلسي في كتابه «طوق الحمامة» في الأُلفة والأُلاّف»1028: على قَدر ما يحيا المرء في فَرَح فهو يحيا/وأن يعيش دون ذلكَ، فما تلك حياة/ من أجل هذا أجتهدُ أن أعيشَ وأقيمَ/ في فرح من أجل أن أخدم بحماسة أكبرَ/ تلك التي أهواها؛ فمن يعيش في حُزنٍ/ لا قَلبَ لديه لبديع الأعمال أو جميلها؛/لذا تكون رَحمةً لو أن الأكثر فضلاً/تجعلني أعيشُ فَرِحاً، لأن غير ذلك لا أحسبه حياة.

نظام القوافي هنا، كما سبق القول هو: أ–ب–ب–أ ، ج–ج–د–د. ثانيةً نسأل: من أين جاء هذا النظام؟

في شعر سوردِيلّو مَسرَبٌ تطوّر إلى شعر حبّ «بالأسلوب العذب الجديد» الذي تلقّفه شعراء صقلية وأورثوه إلى دانتي وبوكاجيو وبتراركا ومن تبعهم، فأرسوا دعائمَ شعر الحب الجديد، الذي تطوّر عن شعر التروبادور، بعد أن كان شعراء صقلية يكتبون باللغة الأوكسيتانية قبل أن تتطوّر عامية اللاتينية لتصبح اللغة الإيطالية ويكتب دانتي بها «الكوميديا الإلهية» أهم قصيدة في أوروبا الفروسطية.

وكلمة «كوميديا» في الإيطالية القديمة كانت تعني «قصة ذات مغزى خطير بلغة شعبية عامية». وقبل الكوميديا كتب دانتي خمسة وعشرين قصيدة حب بعنوان «الحياة الجديدة» باللغة العامية الجديدة نفسها: اللاتينية العامية؛ الإيطالية. وإلى جانب موضوعات الحب الدنيوي والموقف من المرأة وموقع الحب من المحبوبة، مما أوجده الشعراء التروبادور للمرّة الأولى في تاريخ الحضارة الأوروبية، وتطوّر على أيدي شعراء صقلية والجنوب الإيطالي في القرن الثالث عشر، نجد تشابهاً عجيباً بين تطوّر اللغة العربية في الأندلس، كما تمثّلها الموشّحات والأزجال بصورة أكبر، وبين تطوّر لغة بروفونس الأوكسيتانية على أيدي الشعراء التروبادور، وأولهم كيّوم التاسع (1071–1127) الذي لم يستعمل لهجة «بواتييه» مما قد يدعى «فصيحة الأوكسيتانية» بل استعمل لهجات أخرى من عاميّات الأوكسيتانية، وتبعه بذلك اللاحقون إلى مشارف القرن الرابع عشر. وقد جرَّ تطوّر عربية الأندلس في الموشّحات والأزجال إلى استعمال لغات أجنبية أو لهجات، خصوصاً في خرجة الموشّح مما كان يدعى بلغة الرومانث أو «لطينية الأندلس». مثل هذا ظهر في شعر التروبادور اللاحق وفي موشّحات التروبادور في صقلية وفي جزيرة سردينيا المجاورة، التي كان يحكمها آنزيو إبن فريدريك الثاني ملك صقلية والإمبراطور الرومي المقدّس.

يخبرنا دانتي أن الشعر الإيطالي بدأ في صقلية، وذلك في أشعار سورديلّو الإيطالي المولد، الأوكسيتاني الثقافة، وفي شعر آرنو دانيال الذي استحوذ على إعجاب دانتي فدعاه باسم «الصانع الأمهر» مما أغراه بنظم مقاطع في الكوميديا بلغة دانيال الأوكسيتانية، حيّرت الباحثين زمناً قبل الاهتداء إلى أنها بلغة غير لغة الكوميديا الإيطالية. ومن شعراء المدرسة الصقلّية لدينا جياكومو دا لينتيني زعيم شعراء صقلية الذين أنتجوا حوالي 300 قصيدة من «الشعر البلاطي» الدنيوي.

ويجب أن لا ننسى ذلك التشابه العجيب بين شخصيّة التروبادور الأول وشخصيّة فريدريك الثاني. فالأول كان على خلاف دائم مع البابا، الذي أرسل إليهِ اثنين من الكرادلة، فألقاهما في السجن؛ ونجد الثاني يتحدّى البابا ويتّخذ لنفسه لقب الإمبراطور الروماني المقدّس. وفي الحالين هذه إشارة إلى تفضيل الشعر البلاطي الدنيوي على الشعر الذي تريده الكنيسة.

وفي الموقف نحو الحب والمرأة، نجد في شعر الإمبراطور الرومي، كما في شعر التروبادور الأول، موقفاً يُشبه ما نجده في شعر الغزل التراثي الأندلسي، وريث المثال العربي. فنجد التروبادور جفري روديل يتغزّل بامرأة لم يَرَها قط، هي «كونتيسّة طرابلس» كما نجد ملك صقلية كذلك يتغزّل بامرأة لم يَرَها قط، هي «زهرة سورياً»:

«ايّتها الأغنية البهيجة / إذهبي إلى زهرة سوريا / إلى تلك التي أطبقت السجن على قلبي...» وهي قصيدة طويلة متقنة التقفية. «زهرة سوريا» بعيدة عن إمبراطور صقلية مثل بُعد «كونتيسّة طرابلس» عن بروفونس رودِيل أو ماركبرو. الا يذكرنا هذا بما نظم العباس بن الأحنف على لسان الخليفة هارون الرشيد:

مَلَكَ الثَلاثَ الآنِساتِ عِناني وَحَلَلن من قلبي بكُلِّ مَكانِ
مالي تُطاوِعُني البَريّةُ كُلُّها وَأَطيعُهُنَّ وَهُنَّ في عِصياني
ما ذاكَ إلاّ أن سُلطانَ الهوى وبِهِ قَوِيتُ أعزُّ من سُلطاني

إمبراطور رومي مُقَدّس، وقبله دوق آكيتانيا التي كانت أقوى وأغنى من مملكة فرنسا نفسها، وخليفة عباسي إمبراطور عالم إسلامي كانت تخشاه أوروبا القروسطية، جميعهم أذلاّء أمام المرأة التي يُحبّون، ويُقدّسون الحب الدنيوي. كيف تسلّل هذا إلى عالم قروسطي مسيحي؟

من أبرز شُعراء المدرسة الصقلية جياكومو دا لينتيني الذي يُعزى إليه «اختراع» الغنائيّة، قصيدة الحب ذات الأربعة عشَرَ بيتاً، متقنة الوزن والقافية، تصوّر مشاعر الحب والموقف من المرأة، مما نجده في كتاب إبن حزم الأندلسي بعنوان «طوق الحمامة» هو ما نقله دا لينتيني وعنه نقل بتراركا وبوكاجيو وقبلهما دانتي الذي تعلّم شعر الحب والموقف من المرأة بتوسّط شعراء صقلية أتباع التروبادور، الذين تعلّموا شعر الحب الدنيوي من شعراء الأندلس، في الموشّح والزجل، بالمِهاد العربي المشرقي.



# الغموض والوضوح: اشكالية العلاقة ما بين المُرسل والمُتلقي في خطاب العرض المسرحي

**مروان ياسين الدليمي**

في مقدمة ما يدور داخل ذهن المتلقي أن يفهم ما يتلقاه من خطاب فني في صالة العرض المسرحي، والفَهم هنا، قضية فنية مشتركة من حيث الاهتمام، يتقاسمها منتج العمل والمستهلك، ومن غير الممكن تجاوزها من قبل أطراف العملية الإبداعية إذا لم يكن هناك سبب مُلزم، وليس مجديا أن يعرض الفنان تجربته لنفسه فقط، وإذا ما حصل ذلك، فالأمر يبدو أقرب إلى فعل عبثي لا جدوى منه، لأن وجود المتلقي شرط رئيس لكي تكتمل التجربة الفنية، وعمل الفنان يكتسب مشروعيته باعتباره عملاً فنيا إذا ما أصبح وجها لوجه أمام المتلقين، وليس مُهمّاً عددهم، إنما المُهم أن تحصل عملية التلقي، والفنان لن يشعر بأهمية وقيمة عمله الفني إذا لم تصله ردود أفعال بغض النظر إذا كانت معه أو ضده.

### التلقي والزمن

إن زمن التلقي ليس فائضا، بالإمكان ترحيله أو الاستغناء عنه في عمل معين واستقدامه في آخر، بل يبقى حضوره يمثل استمرارا لعملية خلق التجربة الفنية، خاصة وأن قراءة التجربة من قبل المتلقين ليست متشابهة وتتحكم فيها عوامل ذاتية وموضوعية، كما أن نتائجها تتغير كلما أعادها المتلقي، من جانب آخر باتت قضية الفَهم في تجربة تلقّي العمل المسرحي قضية اشكالية، لأن مسرح ما بعد الحداثة يضع في اعتباره ان يُحدث قطيعة مع ما سبقه من محتوى دأبت على إنتاجه القيم الفنية السائدة، ومن هنا لم يعد يولي أهمية (للفَهم) حسب الاعتبارات التي كرستها تقاليد المسرح الكلاسيكي، وما تلاه من أساليب ومدارس أفرزتها الحداثة، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الموضوعات التي تشغل الإنسان قد تغيرت بشكل كبير مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي ولم تعد موضوعات مثل السرديات الغيبية والأساطير والتراجيديات الكلاسيكية والحكايات الشعبية تأخذ حيزا أساسيا من اهتماماته بعد أن شهد ثورة هائلة في المعلوماتية ووسائل الاتصال الرقمية، وهذا ما أدى إلى أن يرتفع منسوب الشك لديه ازاء كل ما يتعلق بالموروثات العقائدية التي تكتسب صفة القداسة السماوية، بل أن شكوكه طالت كل شيء بما في ذلك القيم والأعراف الاجتماعية والأخلاقية، ولم تعد هناك خطوط حمراء يمكن أن تحد منها، فقد بدأ العالم القديم ينهار أمامه شيئا فشيئا منذ مطلع ستينيات القرن الماضي وكانت البداية مع الثورة والحرية الجنسية التي اكتسحت العالم الغربي آنذاك ثم وصلت ذروتها اليوم باعتراف دساتير العديد من الدول الغربية بزواج المثليين، فكان من المنطقي جدا ازاء هذه المتغيرات ان ينعكس هذا التشظي على المسرح، فشاعت بناء على ذلك في دراماتورجيا العروض تقنية المشاهد أو الأجزاء المنفصلة في النصوص، بدل مركزية المتن الحكائي، وتاريخيا فإن البدايات كانت مع المسرح الملحمي لدى المخرج والمؤلف الألماني برتولد بريخت، واستمر هذا النمط المُجزّأ من الدراماتورجيا في التيارات الأسلوبية التي أفرزتها مسارح ما بعد الحداثة، ولكن من بعد تفريغه من أي محتوى سياسي كان يشكل جوهر الخطاب الفني في مسرح بريخت الملحمي، ولم يعد من نموذج أو شكل محدد مثالي لبناء النص، حتى أن معالجة السرد دراماتورجيا على خشبة المسرح بات أمرا مألوفا، رغم أن الذي يفصل بين الدرامي والسرد المسرحي واضحا، ومن هنا لم تسلم مفردات منظومة المسرح الدراماتورجية في مشاغلها التقنية والمفاهيمية سواء في الكتابة أو الإخراج أو التمثيل أو السينوغرافيا من التشظي وإعادة التقييم والإنتاج وصولا إلى مخرجات جديدة من حيث المحتوى.

### المتلقي يعيد إنتاج التجربة

هذه الحركية في إعادة قراءة وتقييم المفاهيم الفنية تندرج في سياق إعادة إنتاج التجربة الفنية من جديد لدى المتلقي طالما ان كل قراءة جديدة للتجربة تحدث عملية تفكيك لمفردات العمل وتأويلها، وعلى ذلك فإن العمل الفني وفق هذا الفهم لطبيعة العلاقة القائمة بينه وبين المتلقي يتم إعادة إنتاجه بشكل مستمر، انطلاقا من أن هناك تعددا في وجهات النظر، وكلما استجدت مفاهيم نقدية كلما انفتحت مساحات قرائيّة جديدة تعيد هيكلة العلاقة العمل والزمن، ورغم أن الزمن ليس كيانا ماديا شاخصا، لكننا ندرك حضوره وحركته مع ما يحدث من متغيرات على المكان والإنسان.

وحتى يتحقق الفهم أثناء التلقي في ظل هذه المتغيرات في بنية التجربة المسرحية وتحصل الاستجابة والتفاعل لدى المتلقين، هل من الضروري أن يكون للمسرحية معنى محدد وواضح؟ الجواب هنا يعتمد على طبيعة رؤيتنا للتجربة المسرحية، في ما إذا كنا ننظر إليها بما يتوفر فيها من عناصر يتم تدريسها وتلقينها لطلبة المسرح في الأكاديميات، أو أنها على الضد منها تحاكي ما استجد من رؤى وأساليب دراماتورجية في تأليف العرض.

إن غياب المعايير التقليدية في دراماتورجيا العرض المسرحي يتيح للمتلقي أن ينطلق في قراءته من مساحات أوسع للخطاب الجمالي، فيتجه بقراءته إلى الكشف عن قيم فنية أخرى خارج نطاق مفردات الكلام الذي تتشكل منه الحوارات مثل: الفضاء، حركة الجسد، الشخصيات، الاضاءة، الزمن. وكل هذه العناصر تشكل بحضورها الدرامي مدخلا آخر لقراءة شفرات خطاب العرض المسرحي وهذا ما يشير إليه جان بيير رينجير.

### إعادة تشكيل هوية الفنان المسرحي

موضوعة الفهم في تجربة تلقي العرض المسرحي تقودنا أيضا إلى أن ندقق في اشكالية التقاطع بين أشكال المسرح التي تحرص على أن يكون خطاب العرض بسيطا، وعلى أن لا يتعدى حدود تحقيق التسلية، وأشكال المسرح الأخرى التي تجد في دراماتورجيا العرض لحظة من التخييل يعتزج فيها الفضاء الدرامي بالزمن، ليصبح العرض فضاء معرفيا لإثارة الأسئلة المقلقة التي تزعزع القيم والمفاهيم الجمالية لدى المتلقي، وأداة مركبة في دلالاتها لمواجهة الزمن الحاضر بكل أعباءه وتعقيداته، وهذا التقاطع بين هذين الشكلين المسرحيين سيقودنا بالنتيجة إلى طرح أسئلة محددة تتعلق بوظيفة الفنان في الحياة، وعلاقته مع المجتمع من خلال ما يقدمه من أعمال، والأمر هنا غير مرتبط بحياته الشخصية إنما في إطار إعادة تشكيل هوية الفنان في شقها الاجتماعي، باعتباره يمارس دورا محددا في الحياة من خلال عمله الفني، والأسئلة تطال حقيقة الروابط التي تجمعه مع الواقع الموضوعي، بمعنى أن شكل العرض يلعب دورا أساسيا في رسم الإطار الاجتماعي الذي يتحرك الفنان داخله، فالقيم الجمالية لشكل العرض بهذا الفهم لها امتداد عميق يتأثر ويؤثر بكل ما هو خارج التجربة المسرحية ذاتها، بالشكل الذي لم يعد ممكنا الفصل بينهما، أو القبول بالممارسة الفنية بمعزل عن عالم المتلقين. ولكن هذا لا يعني ان يتساق عمل الفنان في منحى الاستجابة لما يدور في ذهن المتلقي، لأن ذلك لا ينسجم مع التجربة الفنية التي لابد ان تتقدم على المتلقين بما تطرحه من أفكار ورؤى، فالعمل الفني ينبغي أن يكون تجربة مثيرة من حيث الشكل والمحتوى، بمعنى أن «إبداع الأعمال المسرحية الكبرى يكون في الرد على سؤال لم يتبلور عند المجتمع، حسب تعبير أن اوبر سفيلد.

وإذا ما تأملنا اشكالية هذه العلاقة فإن مرجعيتها أو أسبابها تعود إلى ما حصل من متغيرات في رؤية الفنان ناحية العرض، وذلك من خلال تغيير ثوابته ازاء الجمهور الذي يتلقى التجربة، وكذلك طبيعة العلاقة التي أصبحت عليها هذه العلاقة بين النص والعرض.

إن صانع العرض تتجاذبه قضيتان لا يستطيع أن يكون حياديا في موقفه منهما، فإمّا أن يكون شعبويا يتوافق في خطابه الفني مع ذائقة الجمهور أو يذهب باتجاه توسيع دائرة الأسئلة في وعي المتلقي واستثارة ذائقته الجمالية، وكل نموذج من هذين النموذجين يتحاشى الانزلاق إلى المكان الذي يقف فيه الآخر، لأنهما ينتجان خطابان مختلفان من حيث القيم الجمالية والمحتوى، كما أن تجربة التلقي والفهم في محصلتهما النهائية تختلف بين هذا المتلقي وذاك.

### تقاطع الرؤى في الأشكال المسرحية

ما يستحق الوقوف عنده أن الفن المسرحي، رغم قِدَمه، وما شهده تاريخيا من تطور كبير شمل مختلف جوانب التجربة المسرحية ابتداء من النص وانتهاء بالأساليب والمدارس الإخراجية إلاّ أن كل ذلك وقف عاجزا عن ردم الهوة ما بين نمط المسرح الذي عادة ما يستهلك في برامجه السنوية ما يمتلكه من تقنيات راسخة في تقاليده والتي دائما ما يعيد إنتاجها بشكل مستمر، وبين المسرح الآخر(المضاد) الذي يشتبك في خطابه الفني مع الواقع اليومي والإنساني، بكل ما يحمله هذا المسرح من نزعة إلى التجديد والتحريض باتجاه مغادرة المألوف والمتداول.

هذه الاشكالية ما زالت تفرض سطوتها في الظاهرة المسرحية عالميا، سواء في البلدان المتقدمة الأوروبية أو في بقية بلدان العالم الأخرى، وعلينا أن لا ننسى انها لا تقتصر على الفن المسرحي فقط، لكن الحديث عنها هنا في هذا الحقل الإبداعي يأخذ أهميته نظرا لعراقة المسرح، وعمق التحولات التي صاحبت حضوره في الثقافة الإنسانية، ويمكن قراءة فاعليتها في الثقافة بمعناها المطلق، من خلال التحديات الاسلوبية التي واجهها الفن المسرحي والتي كانت تعبيرا عن تفاعل النخبة المثقفة مع حركية الحياة في مجتمعاتهم.

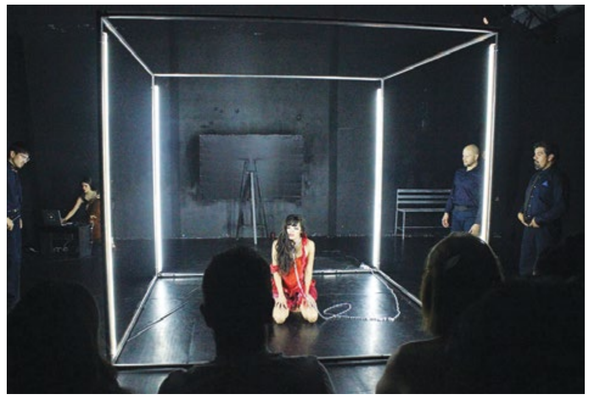

### المثلون دراماتورج العرض

من النتائج المهمة التي تمخض عنها التجريب في الفن المسرحي الذي كرسته الأشكال المسرحية التي أفرزتها فلسفة الحداثة حتى مطلع ستينيات القرن الماضي بروز خاصية التأليف الجماعي في مسرح ما بعد الحداثة حيث يشارك جميع الممثلين في دراماتورجيا العرض المسرحي، وهي خاصية لم تتوفر في بقية الفنون الأخرى وإذا ما توفرت على سبيل المثال في الفن السينمائي فهي ليست على الصورة التي في المشغل المسرحي، ولم يكن ظهورها إلا تحولا تقنياتيا في البناء الدراماتورجي للعرض، وانعكاسا لما حصل من تحول كبير في ماهية الممثل ودوره في التجربة المسرحية، فقد شهدنا بعد منتصف القرن العشرين تحولا في مساحة الفاعلية الدراماتورجية التي ينشط فيها الممثل لأجل بناء وانضاج التجربة، ولم يعد يكتفي في استحضار الشخصية التي يؤديها اعتمادا على مشاهداته للنماذج الإنسانية ومحاكاة ملامحها السلوكية وردود أفعالها، بل تعدى ذلك إلى أن يكون مشاركا أساسيا في بناء العرض.

### فضاء درامي للتخييل

هذه الانعطافة جاءت بعد سلسلة مخاضات فنية ساهم فيها عدد من المخرجين المسرحيين لتحطيم المسرح التقليدي، بدأت في تجارب انتونان ارتو ومن ثم تجارب مسرح العبث مثل صموئيل بيكت ويونسكو، وكان من نتيجتها خلخلة منظومة الثوابت التي ينهض عليها المسرح التقليدي الذي لا يمكن أن يقف على قدميه إلاّ بحضور المؤلف والمخرج بالدرجة الأولى، ومن ثم الممثلين باعتبارهم عنصرا ثانيا من حيث الأهمية في خلق التجربة، وما كان لهذا التحول أن يصبح تقليدا أساسيا في المسرح المعاصر لو لم يتوصل من يشتغل في ميدان المسرح إلى الفكرة الجوهرية التي تؤكد على أن الفن المسرحي يمتلك خاصية ينفرد بها عن بقية الفنون الأخرى في كونه فضاء دراميا مفتوحا للتخييل، وقد ساهم التمرين اليومي على حصول هذا المتغير، فالحوار الذي لا ينقطع بين دائرة فاعلة من العناصر مؤلفة من الممثلين والمخرج والدراماتورج والسينوغرافي قد وفّر مناخا ملائما لأجل أن يتحول هذا الجدل إلى منظومة عمل لإنتاج عرض مسرحي وفقا لنهج الهدم والبناء، وإلى أن يتوسع الممثل في المساحة التي يشارك فيها ومن الطبيعي أن يكون الممثلون إضافة إلى ما يمتلكونه من سيطرة على تقنيات الأداء الجسدي والصوتي على درجة عالية من التسلح بالثقافة، ونتيجة ذلك أصبحنا أمام مشهد مسرحي تغيرت فيه نقطة انطلاقه ولم تعد تقتصر على نص مكتوب أو على المخرج الذي يمسك بيده كل أدوات الإنتاج.

# تحقيقات

## السودان: مطالب بمحاكمة الجناة والمجرمين وإعادة هيكلة المؤسسات العدلية

### نهلة مجذوب

عام مضى على عزل الرئيس البشير وإنهاء حكمه عبر ثورة كانون الأول/ديسمبر التي فتحت تاريخا جديدا للسودانيين بالخروج من عنق زجاجة حكم اتسم بالظلم والفساد والانهيار الاقتصادي التام لمدة ثلاثين عاما.

وسقط البشير وأودع هو ورموز نظامه السجن وإلى الآن ما تزال مسألة العدالة تسير ببطء كبير كونها أحد أهم ما أتت به الثورة. وترتفع وتيرة المطالبات بمحاكمة رأس النظام وأتباعه، وإحقاق العدالة لضحايا الاحتجاجات، وينتظر الآن بترقب شديد محاكمة المتورطين في قتل النشطاء والثوار أثناء فض الاعتصام وخلال أحداث العنف والبطش منذ اندلاع الثورة.

كما لم يقف الأمر عند هذا الحد بل ارتفع سقف المطالبات للتحقيق في ما ارتكبه نظام البشير من جرائم كبرى كملف شهداء كانون الأول/ديسمبر، وانقلاب 1989 الذي أتى بحكم الانقاذ، إضافة إلى تسليم البشير ومن ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية إلى المحكمة الجنائية الدولية، وغيرها من الملفات التي وضعتها حكومة الفترة الانتقالية على منضدتها ومضى العام ولم يتحقق الكثير.

وتأتي هذه المطالب رغم إيمان الكثير من السودانيين بأن تقدما كبيرا قد حدث على مجمل الحياة السياسية بعد قيام ثورة كانون الأول/ديسمبر المجيدة، ومنها صدور حكم على البشير بتأييد محكمة الاستئناف العليا للأحكام التي أصدرتها المحكمة الخاصة الابتدائية في حق الرئيس المعزول وذلك بإيداعه مؤسسة الإصلاح الإداري والاجتماعي لمدة عامين إلى جانب مصادرة الأموال المضبوطة داخل مقر إقامته السابق في بيت الضيافة بالقيادة العامة للجيش، وشطب الاستئناف المقدم من هيئة دفاع البشير، ومحاكمته في كانون الأول/ديسمبر الماضي بتهم حيازة النقد الأجنبي والثراء الحرام.

### تمدد مساحات الحرية

ويرى عضو الحرية والتغيير دكتور محمد عصمت، أن شعار الثورة السودانية الأساسي هو «الحرية والسلام والعدالة» وهي تشكل الأضلع الثلاثة وتمثل روح الثورة.

وقال إن الحرية تحققت ومساحاتها تمددت في كل أنحاء البلاد، بصورة غير مسبوقة في تاريخ السودان الحديث. وأوضح ان الحرية الموجودة الآن أصبحت من الاتساع بحيث أن النظام البائد بنفسه أصبح يجد في هذه المساحات، ما لم يجده حتى في عهده. لافتا إلى أن مواكبه تسير كما يريد، وأجهزة إعلامه ما زالت تعمل كما يريد ورموزه وكوادره ما زالت طليقة، وأن عددا قليلا منهم مجرد متهمين في قضايا تتعلق بجرائم.

وذكر أن الحرية التي سادت تجعل الجميع مطمئنا على مستقبل الحريات في بلادنا.

وأكد عصمت أن اختراقات كبيرة جدا حدثت في الضلع الثاني وهو السلام، وذكر أن الحوار الآن يتم في جوبا مع كل حركات الكفاح المسلح، وأن السودان أضحى يتحدث عن كل حركات الكفاح المسلح وودع كلمة «المتمردين» ذلك أن الحوار الآن يتم بين الأشقاء في البلد الواحد.

وقال إن هناك كثيرا جدا من القضايا حسمت رغم تحفظ البعض على الطريقة والمنهج الذي تدار به المفاوضات، وتوقع أن يتم توقيع اتفاقيات شاملة للسلام مع حركات الكفاح المسلح في غضون شهرين وفتح نافذة لسلام شامل ومستدام.

أما الضلع الثالث وهو العدالة فقال إن الكل يشهد أن هناك تقدما في هذا مجال مشيرا إلى تغيير كبير طال القوانين المقيدة للحريات والتي صيغت أيام النظام البائد، ألغيت بعضها وعدل الآخر بما يتناسب مع الحريات. كما لفت إلى أن هناك تقدما حدث في اختيار رئيس قضاء امرأة لأول مرة في تاريخ السودان وربما في المنطقة بأسرها. إضافة لوجود نائب عام مستقل يتقصى ويتحرى بل ويلام على البطء الذي تعمل به لجان التحقيق.

وأشار عصمت إلى انجازات تمت في مجال العدالة كالحكم على الرئيس المخلوع بالفساد وسرقة الأموال والآن هو في قيد الإقامة الجبرية في إصلاحية.

وأكد أن الكل في جانب العدالة يتطلع وبكل ثقة للقصاص للشهداء على امتداد حكم النظام البائد من 1989 وحتى كانون الأول/ديسمبر المجيدة.

وأضاف أن الثقة متوفرة لدى الجميع في أن العدالة ستتحقق في بلادنا من خلال منظومة عدلية محايدة نزيه شفافة.

### تسليم المخلوع للجنائية

وأكدت الحكومة السودانية في وقت سابق على تسليم البشير للمحكمة الجنائية. وعلمت «القدس العربي» من مصادر رفيعة في الدولة أن مسألة تسليم البشير تناقش بجدية مع الجنائية وحكومة حمدوك، وهي في انتظار وفد منها لمناقشة أمر التسليم.

وأضافت المصادر أيضا أن البشير الآن مطلوب للمحاكمة في انقلاب 89 بجانب قضايا أخرى تتعلق بالفساد والإفساد، موضحة أن النائب العام أكد قبل أيام أن التحقيق فيها قد انتهى وسيقدم المتهمون وعلى رأسهم البشير للمحاكمة في أقرب فرصة ممكنة.

ويؤيد عضو الحرية والتغيير د. عصمت تسليم البشير لمحكمة الجنايات الدولية، مبينا أن تسليمه فيه شفاء لكل ما يعتمل في صدور أبناء وبنات السودان في دارفور جراء ما ممارسه عليهم من قتل واغتصاب وتشريد وتهجير لأكثر من 15 عاما.

وقال إن كثيرا من الناس تتهيب محاكمة البشير في الداخل ولكن ثورة كانون الأول/ديسمبر وبإرادة أجهزتها العدلية، ضربت الضربة الأولى في محاكمته بقضايا السرقة والفساد وحكمت عليه بالسجن رغم أنها عقوبة مخففة إلا أنها منحت الشعب السوداني الثقة في أن الأجهزة العدلية في السودان بخير وأن محاكمته على الجرائم التي ارتكبها، يمكن أن تتم داخل السودان، ولكن هذا لا يستجيب لمطالب أهلنا في دارفور بتسليمه إلى المحكمة الجنائية الدولية.

### عجلة التحقيق

ويرى كثيرون أن عجلة التحقيق تسير ببطء كبير في ما يتعلق برموز النظام البائد والمتورطين في فض اعتصام الناشطين أمام القيادة العامة للجيش. وقال رئيس لجنة فض الاعتصام المحامي نبيل أديب لـ«القدس العربي» إن التحقيق مستمر حتى الآن وسيوجه اتهامات مسنودة بيانات لأشخاص. أما فيما ما يختص بالعدالة الانتقالية فقال إنها ليست عمله بل تقع على عاتق السياسيين والضحايا والجناة مع بعض، وإن مهمته متعلقة فقط باتهام جنائي، وفق قانون جنائي، وهو قانون الإجراءات الجنائية 1991 وهو غير متضمن أي شيء عن العدالة الانتقالية. وأضاف

«إذا وصل الناس إلى آلية إحدى أدواتها العدالة الانتقالية، أهمها الحقيقة والمصالحة، وتم تشكيل لجان حقيقة ومصالحة، فسوف تقدم اللجنة بياناتها، وتسمح للضحايا أن يتعافوا مع الجناة، وهنا لا تذهب إلى المحكمة سوى الجرائم التي لم يحصل فيها تعاف. وأنا ليست لدي سلطة تدخل في هذا الأمر». وان كل ما يهمه هو إكمال عمله بأكمل وجه، «خلال الوقت المحدد لي في التفويض» واعتبر أن هذا هو الأساس، وإذا كان الأمر يتطلب زمنا إضافيا سيأخذه، وإذا تم اعتراضه بأن يكمله في مدة محددة فسوف يستقيل.

### العدالة لم تطل رموز النظام البائد

الناطق الرسمي باسم تجمع المهنيين السودانيين محمد الأسباط أوضح في حديثه لـ«القدس العربي» أن مرور عام على نظام المخلوع عمر البشير والذي أنجزته ثورة كانون الأول/ديسمبر المجيدة تحت شعار «حرية، سلام وعدالة» تحققت فيه الحرية تماما والآن يعيش السودانيون حرية التعبير والتنظيم والتنقل والتدين وغيرها، وكامل حرياتهم وحقوقهم الإنسانية انتزعوها وما زالوا يحافظون عليها.

وأكد أن يد العدالة حقا لم تطل رموز النظام السابق من الفاسدين والقتلة، وكل الذين ألحقوا ظلما بكل السودانيات والسودانيين، ولكن للعدالة شروطها، وهي التحري والتحقق ودور النيابة العامة وتقديم المتهمين للمحاكمة وتحديد المواد التي يحاكمون عليها وما إلى ذلك.

وأقر ببطء يشوب عملية تحقيق العدالة تجاه الفاسدين على وجه التحديد الذين أثروا من أموال الشعب 30 عاما وما زالوا طلقاء. وما زالوا يمارسون من الأموال التي نهبوها من الشعب، تخريبا في الاقتصاد والحياة السياسية.

ونبه الحكومة بضرورة أن تسرع في عملية محاسبة الفاسدين والمفسدين.

ويرى الأسباط أن رموز النظام السابق البشير حتى الآن لم يحاكم منهم سوى في جريمة واحدة وهي جريمة تعتبر بسيطة جدا مقارنة بما ارتكبه من جرائم كبيرة ضد الإنسانية وجرائم حرب وانتهاكات واسعة. ويرى أن الحل في ان يتم تسليم البشير إلى محكمة الجنايات الدولية وكل من ساهم في هذه الانتهاكات حتى تطاله يد العدالة الدولية.

### الإفلات من العقاب

الأمين العام لمنظمة إنهاء الإفلات من العقاب عثمان جامع قال لـ «القدس العربي» إن البشير سقط حقا من الحكم، ولكن العدالة للأسف لم تتم، ودائما في الفترات الانتقالية الناس تبدأ في العدالة الانتقالية، وهي تهم الناس في مناطق الأزمات كالنازحين والمنتهكة حقوقهم في جبال النوبة والنيل الازرق ودارفور، وقال جامع إن الحكومة السودانية الجديدة أنشأت مفوضية للعدالة الانتقالية ولكنها للأسف معطلة حكمه، في الهجوم على المدنيين العزل بشكل عشوائي في هجمات بريه وجوية بتعليمات مباشرة منه، وقال لا يمكن أن يحاكم بجريمة غسيل أموال فقط بعد الثورة، فإن الأمر لن يتوقف عند هذا الحد بل قامت قوات الشرطة وجهاز الأمن والمخابرات الوطني وقوات الدعم السريع بهجمات قاتلة ضد مواكب الشباب السلمية بأوامر مباشرة من البشير وعدد من قياداته في قمة السلطة من دون وجه حق، لأن الدستور يسمح في الحق بالتظاهر السلمي. يجب إجراء تحقيقات شاملة وفعالة ومستقلة في جميع عمليات القتل وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان وبصورة علنية وشفافة.

وقال جامع «نحن في منظمة إنهاء الإفلات من العقاب نحث الحكومة الانتقالية بعد مضي سنة من الثورة الشبابية السلمية تحقيق العدالة الانتقالية» وأضاف لابد من الإسراع في المحاكمات الجنائية لكل من ارتكبوا جرائم في حق الشعب، وإعادة هيكلية المؤسسات العدلية وتأسيسها لكي تقوم بالدور المنوط بها وتكوين لجان تحقيق.

وابان أن العدالة الانتقالية هي حزمة من الترتيبات القضائية والمالية والنفسية تجاه الضحايا وأهميتها تكمن في أي دولة خرجت من حروب طويلة لابد أن تمر بمرحلة العدالة الانتقالية.

وفيما يتعلق بالمصالحة فأشار إلى تجربتي جنوب افريقيا ورواندا وتحسب من التجارب الناجحة لأنها مرت بمرحلة العدالة الانتقالية، وأوضح هنا تأتي أهمية الإرادة السياسية للدولة المعنية في تنفيذ برنامج العدالة الانتقالية، وذكر أن التجارب الناجحة كانت بقيادة نيلسون مانديلا في جنوب افريقيا، وبول كوقامي في رواندا.

وفي السياق كشف مصدر عليم لـ«القدس العربي» أنه يجري التحقيق مع رموز النظام في قضايا الفساد والانتهاكات وينتظر أن يقدموا للمحاكمة في أسرع وقت.

وقال «هذا لا يكفي ونحن نرى الكثير جدا من رموز ومحاسيب النظام السابق ما زالوا طلقاء حتى الآن، ونلفت نظر حكومتنا الانتقالية وأجهزتها العدلية إلى ضرورة محاسبة ومحاكمة هؤلاء الرموز».

وأضاف أن تكوين لجان التحقيق التي هي من مطالب الثورة السودانية والوثيقة الدستورية لم تحقق شيئا منذ سقوط البشير حتى الآن وأن عملها ما يزال ضعيفا وبطيئا. وينبغي على الحكومة أن تعمل بصورة جادة وحثيثة لتقديم متهمين خاصة من الأجهزة الأمنية سواء كانوا في جهاز الأمن أو الشرطة والجيش وقوات الدعم السريع.

وقال إن تورطهم مثبت وأقرته الحكومة نفسها وأكدته عدد من الجهات المعترف بها كمنظمة «هيومن رايتس ووتش» التي كتبت عن فض الاعتصام بأنه جريمة حرب، وذكرت أن القوات الأمنية هي من قامت بقتل واغتصاب وتعذيب مئات الشاب من الجنسين. وقال إن عائلات الشهداء ما يزالون في انتظار العدالة ويرفضون أي مساومات بدأت من بعض الجهات في الحكومة بحد علمه مثل التعويض المالي.

وأشار إلى أن حكومة حمدوك لم تعط أولوية للعدالة لإنصاف الضحايا ولم تفعل شيئا، ويعتقد أن المدة كافية لان تظهر نتائج أي تحقيق، خاصة فيما يتعلق بالمسؤولين في النظام البائد المقبوض عليهم في قضية فض الاعتصام فلم تتم محاكمتهم، كما لم يتم انتزاع الأموال من الفاسدين، وقال كل ما حدث هو تكوين لجان وصفها بـ «المماطلة وعدم الجدية».

مسألة تسليم البشير تناقش بجدية مع الجنائية وحكومة حمدوك

# ميديا

## كاريكاتير عنصري ضد الفلسطينيين في صحيفة لبنانية يشعل مواقع التواصل الاجتماعي

**لندن–«القدس العربي»:**

نشرت صحيفة «الجمهورية» اللبنانية كاريكاتيرا في ذكرى اندلاع الحرب الأهلية يقارن بين «ملثم فلسطيني» في عام 1975 وفيروس كورونا عام 2020. وأثار الكاريكاتير العنصري غضبا على مواقع التواصل الاجتماعي. واستنكر رواد مواقع التواصل الاجتماعي الرسم الذي اعتبره كثيرون إهانة للشعب الفلسطيني، إذ يظهر في الرسم ملثم يرتدي الكوفية التقليدية التي تمثل رمزا للمقاومة وللقضية الفلسطينية.

وقال مغرد: «كاريكاتير صحيفة الجمهورية عن ذكرى 13 نيسان 1975 مقزز وخارج سياقه وتنميطي بامتياز.

انا مش عارف لسا قبل شهر في فلسطينية اتبرعت للبنان بمليون دولار عالهواء لمساعدتهم في ملف كورونا.

متى رح يوقفو عنصرية ضد اللاجئين؟ صحيفة الجمهورية لا تعبر عن الكل اللبناني. وهذا التصرف القذر يجب محاسبة الفاعل مهما كان. ولكم عيب بكفي عنصرية».

وقال الإعلامي غسان جواد: «هذا الكاريكاتير في الجمهورية قمة العنصرية وقلة الأخلاق والسقوط. فلسطيني اعترف بدوره في الحرب واعتذر عنه أكثر من مرة. مخيلة بعض اللبنانيين مريضة بالوهم والإسقاطات الحقيرة. تبا لكم». فيما اعتبر الإعلامي محمد أبو الحبيب أنه «بينما يتحد العالم لمواجهة

جائحة #كورونا تبث #صحيفة_الجمهورية اللبنانية سموم العنصرية والكراهية بنشرها كاريكاتيرا دنيئا تشبّه فيه الفلسطيني بفيروس كورونا. عمل أقل ما يقال فيه إنه في غاية الخسة والانحطاط. كلي إيمان أن هذا التصرف لا يمثل اللبناني الوطني الوفي. فلتعتذر الجمهورية».

ونشرت صحيفة «الجمهورية» اللبنانية توضيحاً ذكرت فيه أن «نشر الكاريكاتير المذكور، لا ينطلق من أي أبعاد، ولا من خلفية تكئ جراح الماضي، أو استهداف العلاقات اللبنانية–الفلسطينية أو الإساءة إليها». وقال مغرد: «بعد العنصرية وقاحة!! حتى توضيح صحيفة الجمهورية اللبنانية يحمل استعلاء وعنصرية ووقاحة أيضاً».

وقال مغرد آخر: «ورد هذا الكاريكاتير في صحيفة الجمهورية اللبنانية ضمن عددها اليوم. هذا الكاريكاتير عنصري وتافه وحاقد وفيه انحطاط أخلاقي، ويحرّض على فئة محددة. وشكرًا».

وقال النائب حسين الحاج حسن: «نشرت صحيفة الجمهورية كاريكاتيرا يسيء إلى نضال الشعب #الفلسطيني المقاوم، إن هذا الأسلوب في التعاطي مع حقبة تاريخية تتمثل في #الحرب_الأهلية ومقارنتها مع التحديات الوطنية المتمثلة بوباء #كورونا، أوقع الصحيفة المذكورة في خطأ جسيم لناحية الالتزام بالقوانين والمواثيق الإعلامية». في حين اعتبر مغرد آخر أن على صحيفة الجمهورية الاعتذار من الشعب الفلسطيني لأن هذا الرسم يؤجج المشاعر العنصرية ويخطأ بحق الكوفية الوطنية الفلسطينية التراثية التي تمثل القضية والمقاومة في ذات الوقت شكر خاص لدكتورنا علاء اللقطة لرده العاجل على هذه العنصرية».

وأضاف غيره أن «صحيفة الجمهورية اللبنانية نشرت كاريكاتيرا عنصريا قبيحا، يشبهون فيه الفلسطينيين بـ#فيروس_كورونا. نحن أمام عقلية وضيعة مليئة بالحقد الأسود، تسعى لشيطنة الفلسطينيين وإثارة الأحقاد بدلا من التعلم من الدرس المؤلم للحرب الأهلية في #لبنان. الصحيفة مطالبة بالاعتذار الرسمي لشعبنا وللإنسانية».



## تغريدة دعت لقتل المسلمين والصحافيين ظلت على تويتر يوما كاملا

**لندن–«القدس العربي»:**

ذكر موقع «بازفيد» أن تغريدة طالبت بإطلاق النار على المسلمين والصحافيين ظلت متداولة على منصة التواصل الاجتماعي لمدة يوم قبل أن تحذف.

وقال برانداف ديكسيت مراسل الأخبار في الموقع في تقرير له من نيودلهي، إن مديرة في بوليوود الهندية دعت إلى صف المسلمين والصحافيين وإطلاق النار عليهم. وظلت التغريدة على المنصة لمدة يوم قبل أن يتم حذفها بشكل دائم.

وزعمت التغريدة أن المسلمين هم الذين نشروا فيروس كورونا في الهند وتم التأكد من أن صاحبة الحساب هي رانغولي تشانديل، مديرة في بوليوود وشقيقة الممثل المعروف كانغانا رانوت. وجاء في التغريدة: «اللعنة على التاريخ إن وصفنا بالنازيين من يهتم». وتمت مشاركة التغريدة بين 2000 متابع وحظيت بـ8000 إعجاب. وجاء في التغريدة: «شخص من جماعة (التبليغ) مات وعندما ذهب الأطباء والشرطة للكشف عن عائلته تعرضوا للهجوم والقتل، كما قالت الصحافة العلمانية. ضعوا هؤلاء الملالي والصحافة العلمانية في صف وأطلقوا النار عليهم، اللعنة على التاريخ إن وصفنا بالنازيين، فالحياة أهم من صورة مزيفة».

ونشرت التغريدة هذه يوم الأربعاء، وفي بيان للمتحدث باسم شركة تويتر «لا أحد فوق القوانين». وجاء فيه: «تم تعليق الحساب المشار إليه بشكل دائم وذلك للخرق الدائم لقواعد تويتر بما في ذلك سياسة سلوك الكراهية. وعندما نتلقى تقارير عن خروقات ممكنة نقوم باتخاذ إجراءات». وكان لدى تشانديل حوالي 100000 متابع على المنصة قبل حذف حسابها، وهي معروفة وشهيرة بين اليمين الهندي المتطرف لمواقفها المثيرة للجدل والتي تستهدف الأقليات في البلد. واقترحت في هذا الأسبوع إلغاء الانتخابات العامة المقررة عام 2024 ومنح رئيس الوزراء الحالي ناريندرا مودي فرصة للحكم بدون منازع.

وتحاول منصات التواصل الاجتماعي احتواء الانتهاكات ومواجهة التضليل الإعلامي الذي انتشر منذ بداية وباء فيروس كورونا. ففي بلدان مثل الهند، أثارت قضايا تتعلق تحكيم محتويات التواصل الاجتماعي موجة من المشاعر الساخطة ضد المسلمين، خاصة عندما تم تحديد حالات كوفيد–19 بين مجموعة من المسلمين اجتمعوا في نيودلهي الشهر الماضي.

وباتت معظم شركات التواصل تعتمد على المراقبة الآلية وليس البشر لتحكيم ما ينشر على منصاتها، مع أنها كانت تعتمد في الماضي على مزيج من التكنولوجيا من الذكاء الاصطناعي والمراقبة البشرية لمنع خرق المحتويات قواعد النشر فيها. وفي مدونة نشرت الشهر الماضي وضح مسؤول السياسة في تويتر طرق التحكم وخطواته على المنصة أثناء فترة الوباء وأنها «ستأخذ وقتا أكثر من الحالات العادية» للعودة إلى المستخدمين الذين اشتكوا من تغريدة أو محتوى يخرق قواعد النشر. وقالت فيسبوك أكبر منصات التواصل الاجتماعي المستخدمة حول العالم من مليارى شخص، إن قدراتها على مراقبة وتحكيم في المواد المنشورة ستتأثر. وقالت في بيان «مع وجود عدد قليل من الأشخاص للمراجعة فإننا سنحاول منح الأولوية للخطر المحدق وزيادة اعتمادنا على الكشف السريع في المجالات الأخرى وحذف المحتويات التي خرقت قواعد النشر» و«لا نتوقع تأثير هذا على المستخدمين لمنصتنا بأي طريقة. وربما لاحظنا حدودا لهذا النهج من خلال الرد المتأخر وارتكاب أخطاء نتيجة لذلك».

## الصحيفة الإيطالية الوحيدة في العالم العربي تتحول إلى طبعة الكترونية

**رشيد خشانة**

قرر المشرفون على الصحيفة الإيطالية الوحيدة في افريقيا والعالم العربي، واسمُها «إل كوريبري دي تونيزي» (بريد تونس) وقف الطبعة الورقية والتحول إلى صحيفة الكترونية. ولا تعرف هيئة التحرير ما إذا كانت الطبعة الورقية ستُستأنف وتعود الصحيفة إلى الأكشاك، بعد انتهاء أزمة «كورونا» أم أن التحول إلى الطبعة الالكترونية سيكون نهائيا، ما سيجعلها إحدى ضحايا هذه الجائحة. وكانت الصحيفة تصدر أسبوعيا، قبل أن تقتصر على طبعتين في الشهر.

وقال جلال بوصلاح أحد المشرفين على الصحيفة، لـ«القدس العربي» إن العدد الجديد بات جاهزا، لكن تعذر طبعه بسبب الحجر الصحي، فالمطبعة مقفلة مؤقتا، مثل جميع المطابع في البلد، وخدمة البريد العادي متوقفة. واضاف «سيُرسل العدد إلى المشتركين بواسطة البريد الالكتروني» مشيرا إلى أن صدوره يتزامن مع احتفال الصحيفة بمرور 64 عاما على صدور عددها الأول، وهي لم تنقطع عن القراء منذ ذلك التاريخ.

وخلال فترة الاحتلال الفرنسي لتونس (1881–1956) كانت السلطات تحظر على الجاليات الأوروبية، عدا الفرنسيين، إصدار صحف. وما أن نال البلد الاستقلال حتى حصل إيليا فينزي، وهو صاحب أقدم مطبعة في البلد، على إجازة إصدار صحيفة أسبوعية باللغة الإيطالية، بعد أيام من الاستقلال. وكانت صحف عدة تصدر في تونس بالإيطالية قبل الاحتلال الفرنسي، بحكم كثافة المهاجرين الإيطاليين، الذين كانوا يعملون في البلد، بالإضافة للسياسيين اللاجئين إلى تونس، هربا من بطش الكنيسة في بلدهم. ومن الزعماء البارزين الذين لجأوا إلى تونس الجنرال جيوزيبي غاريبالدي، مهندس الوحدة الإيطالية. واشتغل غاريبالدي لفترة غير طويلة مدربا في جيش باي تونس (الملك) الخاضع للسلطنة العثمانية. واتسم النصف الأول من القرن التاسع عشر بتوافد السياسيين الثوريين، الفارين من الاضطهاد، فيما اتسم النصف الثاني بتوافد الباحثين عن فرص عمل من إيطاليي الجنوب، وخاصة صقلية.

### أول مطبعة خاصة

يعود تأسيس «إل كوريبري دي تونيزي» في سلسلتها الأولى إلى 1869 على يد جوليو فينزي، الذي هاجر من مدينة ليفورن الإيطالية إلى تونس، هربا من حملات القمع، وأسس فيها أول مطبعة خاصة، وكان يشتغل فيها مع أفراد أسرته. لكن السلطات الفرنسية عطلت «إل كوريبري دي تونيزي» بعد احتلال تونس في العام 1881 إلى أن عاود حفيده جيوزيبي إحياءها في 1956. وتدير الصحيفة حاليا سيلفيا فينزي، حفيدة جيوزيبي، التي تعمل أستاذة للثقافة واللغة الإيطاليتين في جامعة تونس. وتتهم سيلفيا الفرنسيين بالتضييق على اللغة والثقافة الإيطاليتين في بلدها تونس.

مع ذلك تنتشر شبكةٌ من المراكز الثقافية التابعة لـ«المعهد الإيطالي للثقافة» في جميع بلدان شمال افريقيا عدا موريتانيا، وهي القاهرة وبنغازي وطرابلس وتونس والجزائر ووهران والرباط. وتأتي اللغة الإيطالية في المرتبة الثالثة بين اللغات الأوروبية المستخدمة في المغرب العربي، بعد الفرنسية والإسبانية.

وتراجع الحضور الإيطالي في المنطقة بعد الاستقلال، وهو لا يتجاوز حاليا ستة آلاف إيطالي (بينهم ثلاثة آلاف في تونس) وكان عددهم يتجاوز ثمانين ألف إيطالي بعد الحرب العالمية الثانية، في تونس وحدها. ولم تستطع إيطاليا إقامة استعمار استيطاني على غرار فرنسا وبريطانيا، في المستعمرات الافريقية التي أسندت إليها، لدى تقاسُم مناطق النفوذ بين القوى الكبرى في العالم، بسبب خروجها مهزومة من الحرب العالمية الثانية، وبعد سحب المستعمرات منها، ومنح الوصاية عليها للمنتصرين في الحرب.

وعلى رغم المجد الذي كتبته روما في صفحات التاريخ المتوسطي، عندما كانت القوة العسكرية والسياسية الأولى في العالم القديم، لم يبق اليوم إلا النزر القليل من نفوذها الثقافي واللغوي في حوض المتوسط. وفي مقابل عشرات الصحف، التي تصدر باللغة الفرنسية في البلدان المغاربية، بعد مرور أكثر من ستة عقود على نيلها الاستقلال، لم تبق في العالم العربي اليوم سوى صحيفة يتيمة ناطقة بالإيطالية. وأوضحت سيلفيا أن الصحيفة تسحب حاليا خمسة آلاف نسخة، وقد حوّلها والدها قبل وفاته من صحيفة تشتمل على 16 صفحة، إلى مجلة تقع في 48 صفحة، وهي «لم تغب عن الأكشاك أسبوعا واحدا منذ انطلاقها في 1956» على ما قالت.

### استدعاء الذاكرة

وأطلقت أسرة فينزي مشروعا لاستدعاء الذاكرة الإيطالية في شمال افريقيا، بإصدار سلسلة من الكتب عن الجالية الإيطالية، التي كانت تفوق الجالية الفرنسية عددا. وتتوزع الكتب حسب الفئات الاجتماعية من بنائين ونجارين وسواقين ومهندسي ديكور وكهربائيين. وجاء في كتب التاريخ أن الإيطاليين كانوا يهاجرون إلى تونس في أواخر القرن التاسع عشر وبواكير القرن العشرين، قبل أن يتجهوا بكثافة إلى القارة الأمريكية.

ورغم السّبق اللغوي الذي انتزعه الفرنسيون باحتلالهم البلد طيلة خمسة وسبعين عاما، استطاعت اللغة الإيطالية أن تكسب جولة مهمّة لدى انتشار أجهزة التلفزيون الأولى في تونس مطلع الستينات، إذ كان التونسيون لا يلتقطون سوى برامج القناة الإيطالية الأولى «راي أونو» قبل انطلاق التلفزيون التونسي في 31 مايو/أيار 1966. واستمرت القناة الإيطالية بعد ذلك، مصدرا رئيسيا للأخبار، ما جعل كثيرين يحفظون لغتها.

ما من شك في أن هذا العنصر هو أحد الأسباب التي تفسِّر قدرة التونسيين على فهم الإيطالية في يُسر، وإن لم يتعلموها في المدارس. إلا أن عدد أفراد الجالية الإيطالية، الذي قدّرته إحصاءات رسمية بخمسة وثمانين ألف إيطالي بعد الحرب العالمية الثانية، تراجع اليوم إلى نحو ثلاثة آلاف، ما يفسِّر تراجع سحب «إل كوريبري دي تونيزي» إلى خمسة آلاف نسخة فقط. لكن سيلفيا ما زالت تدافع عن سُمعة صحيفتها، التي يعمل فيها أساسا، صحافيون (وصحافيات) تونسيون، مستدلة بأنها عضوٌ في الاتحاد الدولي للصحافة الإيطالية، وبأنها توزع خارج تونس.

وتتطرّق الصحيفة، التي تُعتبر المطبوعة الوحيدة المكتوبة بالإيطالية في حوض المتوسط، خارج إيطاليا، إلى جميع المواضيع، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة لمسألة التعاون شمال–جنوب. وترصُد التجارب الاستثمارية المشتركة بين إيطاليا وبلدان الضفة الجنوبية للمتوسط، وخاصة تونس، حيث يحتل الإيطاليون المرُتبة الثانية بين الشركاء التجاريين والمستثمرين الخارجيين، بعد فرنسا. وقال رضوان الفوار، وهو صاحب مصنع أقامه في تونس بالاشتراك مع رجل أعمال إيطالي، ويتحدث الإيطالية بطلاقة، إنه يُواظب على مطالعة «إل كوريبري دي تونيزي» ليتمكن من متابعة أخبار الشركات الإيطالية والمؤسسات المشتركة في منطقة النفيضة (وسط) حيث أقام مصنعه مع شريكه منذ عشر سنوات.

### دهشة برودي

وكان لافتا أن رئيس الوزراء الإيطالي رومانو برودي لم يستطع إخفاء دهشته وهو يستمع لسؤال من محررة هذه الصحيفة التونسية الناطقة بالإيطالية، في مؤتمر صحافي عقده خلال إحدى زياراته لتونس، مُعبرا عن فرحته بوجود الصحيفة، واعدا بدعمها في إطار تكثيف الاهتمام بالجالية الإيطالية في الجارة الجنوبية. وحافظت أسرة فينزي على المطبعة، التي انتقلت من وسط مدينة تونس القديمة، إلى المدينة الصناعية الحديثة في قصر السعيد، شمال العاصمة. وعندما تدلف إلى الدور الأرضي من البناية القديمة، التي كانت تحتضن مقري الصحيفة والمطبعة، تُطالعك آلة الطباعة العريقة التي تعتمد على حروف الرصاص في ناحية، ومجلدات من أعداد الصحيفة القديمة مصفوفة في الناحية الأخرى. وكانت هذه الطابعة هي التي تُستخدم في طباعة الصحيفة، قبل الانتقال إلى الطباعة الرقمية في المقر الجديد العام 2001.

ووجهت سيلفيا الشكر إلى فريق الصحيفة على الجهد الذي بذله لإصدار العدد الجديد في نسخته الإلكترونية، بعد أن كانت غير متأكدة من ذلك. وخصصت الافتتاحية والمحور الرئيسي لمكافحة جائحة كورونا في تونس والعالم، ولكنها تضمنت أيضا تقارير إخبارية ومقالات تحليلية عن العلاقات بين ضفتي المتوسط، بما فيها الشراكات الاقتصادية والتعاون الثقافي.

Il Corriere di Tunisi

I CANTERINI DELLE EGADI AL FESTIVAL DI MONASTIR

I CANTERINI DELLE EGADI

# علوم وتكنولوجيا

## آبل تطلق هاتفها الجديد أيفون اس أي

**لندن – «القدس العربي»:**

أعلنت شركة آبل عن هاتفها الجديد آيفون اس أي من الجيل الثاني، الذي يتميز بشاشة ريتينا اتش دي مقاس 4.7 إنش، مع ميزة توتش أي. وحجم الهاتف صغير إلا أنه أعيد ابتكاره قلباً وقالباً، ليكون الآيفون الأقل سعراً، ويعمل بشريحة آي 13 بيونيك من تصميم آبل، وهي أسرع شريحة في هاتف ذكي تمكّنه من التعامل مع أصعب المهام. ويتميز أيضاً بأفضل «نظام كاميرا واحدة والذي يفتح الطريق أمام مزايا التصوير الحوسبي، بما في ذلك نمط بورتريه، كما أنه مصمم ليتحمل العوامل الطبيعية مع مقاومة للغبار والماء» حسب موقع «أي آي تي» التقني.

وقال فيل شيلر، نائب رئيس التسويق حول العالم في شركة آبل: «حقق آيفون اس أي الأول نجاحاً كبيراً مع الكثير من العملاء الذين أعجبوا بميزاته التي تشمل حجمه الصغير وأداءه العالي وسعره المعقول. وينطلق آيفون اس أي الثاني من تلك الفكرة الرائعة ويحسنها بكل الطرق الممكنة، حيث يشمل أيضاً أفضل نظام كاميرا واحدة صنعناه يوفر صوراً وفيديوهات رائعة، ولكن على الرغم من ذلك يبقى سعره في المتناول. يتميز الهاتف الجديد بشريحة آي 13 بيونيك التي تسمح بعمر بطارية رائع، كما يتيح الهاتف التقاط صور مذهلة بنمط بورتريه وميزة اتش دي آر الذكية، وتسجيل فيديوهات رائعة مع صوت ستيريو، إلى جانب الاستمتاع بالألعاب وتصفح الويب بسرعات فائقة، وقد صُممت بميزات الأمان الرائدة في مجالها التي ينتظرها منا عملاؤنا، ونحن نتشوق لوصول الهاتف إلى أيدي العملاء».

وأشار الموقع إلى أن الهاتف صنع من الألومنيوم المستخدم في مجال الطيران والفضاء، والزجاج المتين مع واجهة أمامية سوداء بالكامل. ويظهر شعار آبل في وسط الجانب الخلفي الزجاجي الذي يصنع من خلال عملية مزج من سبع طبقات تساهم في دقة تدرج الألوان وتعتيمها وتوفر الثراء في عمق الألوان، مع شريط من الألومنيوم باللون نفسه. وهو مقاوم للماء والغبار ويقع ضمن تصنيف IP67 ما يعني أنه مقاوم للماء لغاية عمق متر واحد لمدة 30 دقيقة».

وتعمل شاشة ريتينا اتش دي مقاس 4.7 إنش بتكنولوجيا ترو تون على ضبط توازن اللون الأبيض لمطابقة الإضاءة المحيطة من أجل تجربة عرض طبيعية أشبه بالاطلاع على صفحات مطبوعة. وتوفر الشاشة «دقة فائقة في الألوان، وتدعم تشغيل محتوى دولبي فيجن واتش دي ار 10».

وقدمت آبل شريحة آي 13 بيونيك للمرة الأولى مع آيفون 11 وآيفون 11 برو، وهي أسرع شريحة في هاتف ذكي، وتوفر أداء لا يضاهى. وتُعد الشريحة «مثالية للتصوير والألعاب وتجارب الواقع المعزز، وهي تضفي السلاسة على جميع المهام».

كما يتميز الهاتف بأفضل نظام كاميرا واحدة في هواتف آيفون على الإطلاق، مع كاميرا واسعة بوضوح 12 ميغابكسل وفتحة عدسة اف 1.8 وهو يستفيد من معالج إشارة الصور والمحرك، في شريحة آي 13 بيونيك «لفتح الطريق أمام مزايا التصوير الحوسبي، بما في ذلك نمط بورتريه، وتأثيرات إضاءة بورتريه الست بالكامل، وميزة ضبط العمق».

## سامسونغ تطلق كمبيوتر غالاكسي تاب اس 6 لايت الجديد

**لندن – «القدس العربي»:**

أطلقت شركة سامسونغ كمبيوترها اللوحي الأحدث المسمى غالاكسي تاب اس 6 لايت بشاشة بقياس 10.4 إنشات، ومعالج اكسينوس 9611 مع دعم للقلم الإلكتروني اس بين. والكمبيوتر مخصص للراغبين في الحصول على تجربة الترفيه والقلم الإلكتروني الخاصة بكمبيوتر غالاكسي تاب اس 6 لكن مع أداء أقل. ويعد كمبيوتر العام الماضي غالاكسي تاب اس 6 أحد أفضل أجهزة أندرويد اللوحية، إذ يتميز بمواصفات رائدة، وشاشة مميزة، ومكبرات صوت قوية ودعم للقلم الإلكتروني، ما يجعله بديلاً لجهاز آي باد.

وبدأت الشائعات حول الكمبيوتر الجديد غالاكسي تاب اس 6 لايت بالانتشار في شهر شباط/فبراير الماضي. وجاء كبديل لجهاز غالاكسي تاب اس 5 أي، الذي أطلقته سامسونغ منذ نحو عام بمواصفات متوسطة.

وعلى عكس شاشة غالاكسي تاب اس 6 من نوع أموليد، فإن الكمبيوتر الجديد يتميز بشاشة من نوع تي اف تيبقياس 10.4 إنشات وبدقة 2000×1200 بيكسل، ما يعني سطوعًا ودقة ألوان أقل. وزودت سامسونغ الكمبيوتر بمكبرات صوت مزدوجة من أي كاي جي، بدلاً من مكبرات الصوت الرباعية ضمن غالاكسي تاب اس 6 لكنها تدعم دولبي اوديو، كما يحتوي الجهاز على منفذ يو اس بي من النوع سي، ومقبس سماعة رأس بقياس 3.5 ميليمتر، وهي إضافة غير موجودة ضمن الجهاز اللوحي الرائد.

ويبدو أن هيكل غالاكسي تاب اس 6 لايت مصنوع أيضًا من المعدن تمامًا مثل غالاكسي تاب اس 6 ويدعم الجهاز اللوحي قلم اس بين الإلكتروني، لكن من غير الواضح هل القلم موجود داخل الصندوق أم لا، كما لا تظهر الدبابيس المغناطيسية على المحيط، ما يشير إلى أن لوحة مفاتيح سامسونغ الإضافية قد لا تكون مدعومة.

ويعمل جهاز غالاكسي تاب اس 6 لايت بمعالج سامسونغ اكسينوس 9611 الذي يشغّل أجهزة، مثل غالاكسي آي 51، وغالاكسي إم 31 وغالاكسي إم 21 مع 4 غيغابايت من ذاكرة الوصول العشوائي، و64 غيغابايت من مساحة التخزين القابلة للتوسعة حتى 1 تيرابايت عبر بطاقة ميكرو اس دي.

وتدعي سامسونغ أن بطارية الكمبيوتر الجديد «البالغة سعتها 7040 ميلي أمبير تدوم حتى 12 ساعة من وقت تصفح الإنترنت، وما يصل إلى 13 ساعة من تشغيل الفيديو، وما يصل إلى 149 ساعة من تشغيل الصوت عبر شحنة واحدة» حسب موقع «أي آي تي» التقني.

ويحتوي الكمبيوتر كاميرا خلفية بدقة 8 ميغابيكسل، بالإضافة إلى كاميرا أمامية بدقة 5 ميغابيكسل، ويعمل بواجهة المستخدم وان يو أي 2.0 المعتمدة على أندرويد 10. ولم تكشف الشركة بعدُ عن سعر الجهاز اللوحي، لكنها أوضحت وجود نموذج ال تي اي بجانب نموذج واي فاي العادي فقط.



## دراسة تكشف الآليات التي تجعلنا نفرق بين الروائح

**لندن – «القدس العربي»:**

أشارت دراسة نشرتها دورية «ساينس» إلى أن «أنوف الثدييات هي المستشعر الكيميائي الأفضل على كوكب الأرض؛ فهي قادرة على كشف مجموعة كبيرة ومتنوعة من الجزيئات العضوية والتمييز بينها». يُفترض بشكل عام أن «المستقبلات الشمية تبلغ المعلومات إلى الدماغ بشكل مباشر». لكن الحقيقة هي أنه «يتعامل نظام حاسة الشم مع مدخلات أكثر تعقيدًا، عادةً ما تكون خليطًا من الروائح» حسب مجلة «للعلم» الأمريكية.

ووجدت الدراسة أنه عند شم رائحة، «تنقل الخلايا العصبية الحسية الشمية الأنفية إلى الدماغ نمطًا للإشارات أكثر تعقيدًا مما كان يُعتقد سابقًا. يتم تضخيم استجابات الخلايا العصبية الفردية داخل التجويف الأنفي أو إضعافها حال وجود روائح أخرى، وهو الأمر الذي يفسر الإدراك الشائع لرائحة واحدة في خليط من الروائح».

وتشير الدراسة إلى أن «ذلك الأمر يحدث داخل الأعضاء الحسية الطرفية الموجودة في الأنف وليس داخل الدماغ» وأن «إنجاز تلك المهمة يتطلب من الأنف استخدام عائلة كبيرة من المستقبلات تُسمى جي، وتقترن ببروتينات جي بي سي ار، التي تتم التعبير عنها في الخلايا العصبية الحسية المتخصصة الواقعة في التجويف الأنفي».

وإجابةً على كيف تطغى رائحة على الروائح الأخرى، تقول الدراسة إن الأمر «يتعلق بالكيفية التي تستجيب بها الخلايا العصبية الموجودة داخل الظهارة الشمية – وهي منطقة واقعة داخل التجويف الأنفي– والطريقة التي تُحلل بها تلك الخلايا الروائح إلى مكوناتها المختلفة».

وأشارت المجلة إلى أن الباحثون قاموا باستخدام آلية جديدة للتصوير، تعتمد على المجهر عالي السرعة، ساعدتهم على مراقبة استجابات آلاف الخلايا العصبية بشكل فردي تمامًا أثناء شم مجموعة من تركيبات روائح مختلفة، مكونة من ثماني روائح.

واكتشف الباحثون أن «سلسلة من التفاعلات المدهشة تحدث داخل تلك الخلايا. كما لاحظوا أن بعض الجزيئات يُمكن أن تُعزز استجابات الخلايا العصبية الأخرى أو تقمعها».

وهذا يعني أن جزيئًا عديم الرائحة يُمكن أن يُغير من إدراكنا لرائحة أخرى، وأن استجابة خلايانا العصبية يُمكن أن تكون أكبر أو أصغر بكثير من استجابتنا لمكونات المزيج، وهو أمر ربما يُفسر سبب إدراك البشر المختلف لنوع الرائحة.

وأضافت المجلة أنه «نصادف كثيرًا أن نكون ضمن مجموعة كبيرة تشم روائح ما. يجزم بعضنا أنه يستطيع شم رائحة البرتقال على وجه الخصوص، في حين يؤكد البعض الآخر أن تلك الرائحة هي رائحة رُمان مثلًا. ويرى ثالث أن الرائحة لا يُمكن أن تكون سوى رائحة المشمش!».

وقال أستاذ العلوم البيولوجية في كولومبيا ستيوارت فيريستين، وهو المؤلف الأول لتلك الدراسة أن تلك الدراسة تُفسر اختلافنا بأنه يتعلق بالطريقة التي تُشفر بها خلايانا العصبية تلك الرائحة. فمن الشائع أن ندرك رائحةً واحدة تهيمن على أخرى. ذلك نتيجة اختلاف خلايانا العصبية» في «عملية تفسير الرائحة». وأضاف في تصريحات لمجلة «للعلم»: «التأثيرات القمعية والمعززة للروائح تقع في أعماق خلايانا العصبية، وتلك التأثيرات تختلف من شخص إلى آخر، ما يؤكد اختلافنا الفريد حتى على مستوى نظمنا العصبية».

## باحثون يهندسون نموذجاً جديداً للكشف بالأشعة السينية

**لندن – «القدس العربي»:**

قام باحثون أمريكيون بهندسة نموذج أولي لآلية للكشف بالأشعة السينية، اعتبرته مجلة «ساينتفك أميركان» بمثابة «بداية ثورة في مجال التصوير الطبي من خلال خفض التعرُّض للإشعاع بدرجة كبيرة وما يصاحب ذلك من مخاطر، بالإضافة إلى زيادة جودة الصورة في أجهزة المسح الأمنية وفي التطبيقات البحثية المختلفة».

وقال شين ديف تساي، زميل ما بعد الدكتوراه في مختبر «لوس ألاموس» الوطني: «توصلنا إلى استخدام معدن بيروفسكايت، في هذا النموذج وتصنيعه بتكلفة بسيطة، والجهاز الجديد فعال من حيث التكلفة وذو حساسية عالية ويولد الطاقة ذاتيًا، ما يُعد تطويرًا كبيرًا في الكواشف التي تعمل بالأشعة السينية، ليمكن توظيفها في تطبيقات غير متوقعة».

وأشارت المجلة إلى أن بإمكان استخدام الكاشف الجديد كبديل للتكنولوجيا التي «تعتمد على السيليكون بهيكل يحيط بغشاء رقيق لمعدن بيروفسكايت، يعطي نتائج أفضل 100 مرة ويقلل مخاطر التعرض للإشعاع لكلٍّ من المرضى والفريق الطبي، الذين قد يصابون بالسرطان وأمراض أخرى بسبب كثرة التعرض له».

وقال وانبي ني، الباحث في مركز النانوتكنولوجي المتكامل في مختبر «لوس ألاموس» والمشارك في الدراسة، في تصريحات لمجلة «ساينتفك أميركان»: «نأمل ألا يتعرض المريض سوى لجرعة منخفضة من الإشعاع في أثناء التقاط صورة واضحة، وهذا يتطلب جهازًا عالي الحساسية يستطيع التقاط الصورة بسرعة والاستجابة لكمية قليلة من فوتون الأشعة السينية بكفاءة».

و«البيروفسكايت» مركب من الكالسيوم والتيتانيوم والأكسجين غني بالرصاص واليود، لذا «فإن الأشعة السينية التي تمر بسهولة عبر السيليكون بدون اكتشافها، تُمتص وتُكتشف أكثر باستخدامه. وتُعد هذه الخاصية مهمة جدًا في مراقبة الأشعة السينية في المراكز البحثية عالية الطاقة، مثل مصادر ضوء السينكروترون».

وتضيف المجلة أنه يمكن «ترسيب أغشية «البيروفسكايت» على الأسطح عن طريق رش المحاليل التي تعالج وتترك طبقات رقيقة من المواد خلفها، ونتيجة لذلك، سيكون إنتاج كواشف الطبقة الرقيقة أسهل وأرخص بكثير من الكواشف التي تعتمد على السيليكون، والتي تتطلب ترسب معدن بدرجة حرارة عالية في حالة الفراغ.

ومن المحتمل استخدام طابعات الحبر لإنتاج كواشف واسعة النطاق. وسيسمح ذلك بتطوير بدائل من «بيروفسكايت» عالية الدقة وغير مكلفة لتحل مكان «صفائف كاشف السيليكون، التي تبلغ قيمتها نصف مليون دولار».

وقال ني: «يحتاج تطوير هذا النموذج الأولي ليكون استخدامه واسع النطاق، إلى سنوات قليلة لتطبيقه عمليًا، والخطوة المقبلة هي رفع كفاءة هذا الكاشف ليُحدث نقلة نوعية في مجال التصوير الطبي والتوصل إلى إمكانية متابعة عد الفوتون الواحد، مما يتيح التمييز بين طاقات الأشعة السينية الواردة والحصول على صورة أفضل بحيث تستفيد العديد من المجالات من هذه التقنية».

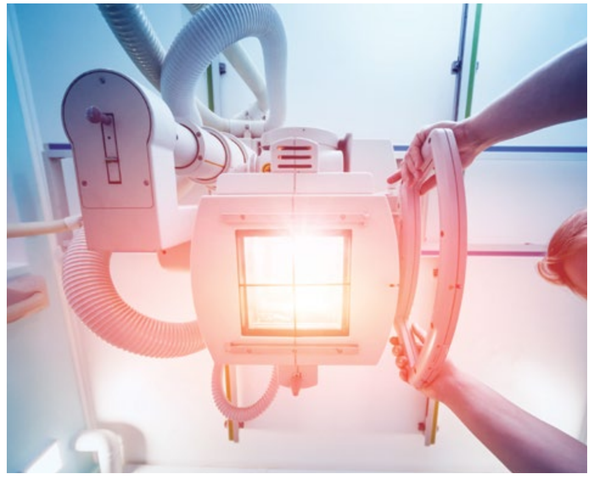

اقتصاد

كورونا فاقم الصعوبات

# الصيد البحري في تونس قطاع هام

**تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم**

عرفت تونس منذ القديم بلدة وجودة أسماكها المتوسطية وبتعاطي سكانها لنشاط الصيد البحري وهو ما تؤكده الرسوم الأثرية الفسيفسائية التي تمّ العثور عليها وأودع القسط الأكبر منها في المتاحف. فتونس التي لها واجهتان بحريتان، واحدة شمالية وأخرى شرقية، تقع مع إيطاليا في قلب البحر الأبيض المتوسط وتقسمانه إلى حوضين واحد شرقي وآخر غربي ويفصل بين البلدين مضيق صقلية.

ولتونس جزر مأهولة بالسكان وفيها مدن وقرى، وجزر أخرى غير مأهولة ما يعني أن السواحل والموانئ والمرافئ والمراسي منتشرة على طول الواجهتين البحريتين وفي محيط الجزر الخلابة وعلى ضفاف البحيرات. وبالتالي فإن نشاط الصيد البحري أساسي ورئيسي وقديم قدم الإنسان على هذه الأرض، في بلد مناخه معتدل وتعج سواحله بالشعب المرجانية وتنوع الأعشاب البحرية التي توفر بيئة حاضنة لأجود أنواع الأسماك المتوسطية.

وقطاع الصيد البحري في تونس هو من القطاعات التي تدرّ العملة الصعبة على البلد باعتبار كثرة الطلب في الخارج على السمك التونسي الذي يذهب جانب هام منه إلى التصدير بالإضافة إلى تلبية حاجيات السوق الداخلية. وتعتبر بلدان الاتحاد الأوروبي من أهم المستوردين للأسماك التونسية وهي من الأسواق التقليدية لأغلب المنتوجات الزراعية التي تنتجها البلاد وهناك أيضا أسواق أخرى تستهويها جودة هذه الأسماك.

### اهتمام متزايد

وفي تونس تتم تربية الأسماك في الأحواض التي تقام على ضفاف البحار والبحيرات المالحة أو في الأقفاص العائمة، وهو ما يساهم في تلبية حاجيات السوق المحلية ومتطلبات الأسواق الخارجية. ويشهد هذا القطاع الواعد نموا مطردا في السنوات الأخيرة وهو ما جعله يوفر قرابة عشرين في المئة من الإنتاج المحلي للأسماك ويوفر أسماكا ذات جودة عالية بالنظر إلى الرقابة التي تحرص عليها وزارة الزراعة للأعلاف المقدمة لهذه الأسماك.

وبالتالي يساهم قطاع الصيد في التشغيل من جهة وتحقيق الأمن الغذائي من جهة أخرى وفي الحد من عجز الميزان التجاري أيضا، وذلك من خلال موارد العملة الصعبة المتأتية من تصديره، ومن هنا تكمن أهمية هذا القطاع. لذلك تم إيلاؤه أهمية بالغة في ووسعت الدولة تطويره بانتظام والنهوض به من كل الجوانب ورصدت له الدعم حتى يحقق المردودية الموجوة، لكن الأمر لم يستمر في السنوات الأخيرة.

وقد ركزت تونس بنية تحتية هامة لقطاع الصيد البحري تمثلت في إحداث واحد وأربعين ميناء صيد، عشرة منها للصيد العميق مثل موانئ المهدية وطبرقة وبنزرت وسوسة وقليبية وجرجيس وقابس والشابة، والبقية موانئ ساحلية. ويضمّ أسطول الصيد البحري حوالي 13 ألف مركب صيد منها حوالي 12 ألف قارب للصيد الساحلي والبقيّة للصيد بالجرّ وبالشباك الدائرية. كما يوجد قرابة أربعمئة مركب لصيد السردين وأربعون مركبا لصيد التن.

### صعوبات

ويعاني قطاع الصيد البحري رغم أهميته من صعوبات عديدة من بينها التلوث الذي أصبح يهدد مياه البحر في عدد من المناطق في البلاد التونسية ويضر بالثروة السمكية. ومن بين المناطق التي يطالها التلوث خليج تونس وصفاقس وخليج قابس الذي يلقي المجمع الصناعي الكيميائي بسمومه فيه رغم أنه شديد الأهمية لقطاع الصيد البحري بحكم تركيز مجهود الصيد عليه ناهيك أنّ حوالي 70 إلى 80 في المئة من وحدات الصيد موجودة في هذا الخليج بحكم ثراء مياهه بالأسماك القاعية التي تباع بأسعار مرتفعة ولأنّ العمق البحري به يسهّل عمل المراكب.

كما يعاني القطاع من استنزاف الثروة السمكية نتيجة لكثرة الصيد ما جعل أنواعا عديدة من الأسماك مهدّدة بالانقراض، وللمحافظة على هذه الثروة تم اتخاذ عدة إجراءات لم يقع تطبيقها وخليج قابس خير مثال على ذلك حيث منحته الدولة الأولوية واقترحت منذ سنة 2006 حلاً يتمثّل في التقليل من الصيد من خلال تخفيض عدد المراكب على أن تتكفّل الدولة بمنح أصحابها تعويضات، لكن هذا الاقتراح لم تتم متابعته بعد الثورة. وتستنزف الثروة السمكية أيضا من خلال الصيد غير القانوني بوسائل تحرث قاع البحر وتتلف الأعشاب البحرية التي تعتبر أهم مكونات الغذاء السمكي وأهم حواضن البيض السمكي وأيضا من خلال الصيد بالتقجعات وبالشباك ذات الفتحات الصغيرة والأكياس التي لا تنجو منها الأسماك الصغيرة التي من المفروض منحها المزيد من الوقت لتنمو ويتم اصطيادها في موعدها.

ويهدد الصيد العشوائي عدة أنواع بالانقراض وهي أسماك عرفت منذ القدم باستيطانها للسواحل التونسية وبحثها عن دفء المياه الذي يوفره الجنوب على وجه الخصوص. كما يساهم هذا الصيد غير القانوني في تهديد معيشة صغار البحارة الذين يزاولون نشاطهم على السواحل ولا قدرة لمراكبهم على الصيد في أعماق البحار.

ومن مشاكل قطاع الصيد البحري عدم تعهد الموانئ بالصيانة خصوصا في السنوات الأخيرة، الأمر الذي أدى إلى تدهور كبير في البنية الأساسية لها، من حواجز واقية وأرصفة ثابتة وعائمة ومراكز اجتماعية وإدارية، وتجهيزات الصيد البحري بالإضافة إلى الحالة المتردية للإنارة والطرقات المؤدية والنقص في اليد العاملة.

وتعاني بعض الموانئ من ضيق مساحتها وعدم تعهدها بالتوسعة منذ إنشائها، بالإضافة إلى خلو البعض منها من أماكن التخزين والأماكن المخصصة لتربية الأسماك. ومن الموانئ التي تشكو مشاكل في هذا الإطار ميناء سوسة، الذي يعاني منذ سنوات من غياب الرافعة لإخراج المراكب إلى اليابسة.

ومن مشاكل قطاع الصيد البحري مسألة التأمين على الحياة وضمان الحقوق الاجتماعية للبحارة وعائلاتهم خاصة وأن البحار معرض أكثر من غيره لحوادث الشغل ولكنه لا يلقى العناية اللازمة في هذا الإطار. ويبدو أن أزمة كورونا ستزيد الطين بلة. في هذا السياق يقول ناصر خواجة وهو عامل صيد بحري في المهدية لـ «القدس العربي» إن أزمة كورونا زادت من الصعوبات على الصيادين رغم أن الصيد يعد مورد رزقهم الأول، ويضيف: «نحن اليوم نعيش ضغوطا كبيرة، فمن جهة يجب أن نخرج للصيد لإعالة عائلاتنا ومن جهة أخرى نخشى أن يتسبب خروجنا إلى العمل وعدم الالتزام بالحجر الصحي بإصابتنا بالعدوى». ويتساءل محدثنا: «ماذا يفعل البحار لتحصيل قوت يومه في ظل هذا الحجر خاصة وأن الدولة لم تشمله بتعويضاتها؟ هل يلازم بيته ليتضور جوعا مع أفراد أسرته أم يخرج للعمل ويعرض نفسه للإصابة بهذا الفيروس الفتاك؟».

يشار إلى أن الأرقام الرسمية تفيد بأن نسبةً منتوجات الصيد البحري الموجهة للتصدير تقدر بقرابة 18 في المئة وبذلك فإن المنتوجات البحرية تحتل المرتبة الثانية على مستوى صادرات قطاع الزراعة. ويوفر الصيد البحري 17 في المئة من إجمالي عائدات الصادرات الغذائية. ويشغّل نشاط صيد الأسماك ما يزيد عن مئة ألف شخص منهم حوالي 54 ألف بحّار بصفة مباشرة إضافة إلى صانعي المراكب والشّباك والعاملين في مصانع التّحويل وغيرهم.



# السودان: لجنة إزالة التمكين تسترد أصول هيئة النقل النهري

أعلنت لجنة إزالة التمكين التابعة لمجلس السيادة السوداني، أمس استرداد أصول هيئة النقل النهري، و390 قطعة أرض من رموز النظام السابق وأسرهم، وأسهم شركة تصدر عنها صحيفة «الرأي العام» السودانية.

وقال عضو لجنة التمكين وجدي صالح حسب وكالة السودان للأنباء، إن قطع الأراضي المستردة تشتمل على عدد 14 عقارا من ضمنها برج يضم عشرة طوابق بالخرطوم لمنظمة تخص أسرة الرئيس السوداني المعزول عمر البشير.

وتابع: «لجنة إزالة التمكين استردت 73 في المئة من أسهم شركة الرأي العام التي تصدر عنها صحيفة الرأي العام السودانية».

من جانبه قال عضو مجلس السيادة رئيس اللجنة، ياسر العطا إن «هدف اللجنة إزالة التمكين الممنهج للنظام البائد لصالح المؤتمر الوطني الحزب الحاكم السابق بالسودان».

وتابع: «اللجنة تعمل بشفافية ووفق قانون واضح بعيدا عن الانتقام والتشفي، وبالتنسيق مع كافة المؤسسات ذات الصلة وعلى رأسها وزارة العدل.»

بدوره أشار عضو اللجنة، صلاح مناع، إلى أن «اللجنة أصدرت قرارا باسترداد أصول هيئة النقل النهري، والتي تقدر بـ450 مليون دولار».

وتعتبر هيئة النقل النهري هي الأكبر من نوعها في افريقيا وواحدة من أعرق الهيئات في السودان، وتمتلك أصولا ضخمة في مواقع استراتيجية في الخرطوم وعدد من المدن الأخرى.

وفي 11 نيسان/ابريل الجاري، أصدرت اللجنة قرارا بحل وإلغاء تسجيل «منظمة الدعوة الإسلامية» واسترداد 156 قطعة أرض من 3 من قيادات بالنظام السابق.

وفي 10 كانون الأول/ديسمبر الماضي، أصدر رئيس المجلس السيادي عبد الفتاح البرهان، قرارا بتشكيل لجنة «إزالة آثار التمكين» لنظام الرئيس المعزول عمر البشير، ومحاربة الفساد واسترداد الأموال. (الأناضول)

# إيني الإيطالية وافقت على تسوية اتهامات بالفساد في قضية بالجزائر

قالت هيئة الأوراق المالية والبورصات الأمريكية أمس إن مجموعة إيني الإيطالية للنفط والغاز وافقت على تسوية اتهامات بخرق قوانين المحاسبة على الفساد نجمت عن قيام وحدة سابقة لها في الجزائر بدفع أموال «بشكل غير ملائم».

وأضافت الهيئة في بيان أن شركة إيني «خرقت كل الملفات والسجلات والقيود المحاسبية الداخلية لقانون إجراءات الفساد الخارجي فيما يتعلق بواقعة دفع أموال بشكل غير ملائم» في الجزائر من قبل وحدتها السابقة سايبم.

ولم ترد شركة إيني بعد على رسائل عبر البريد الإلكتروني للتعليق على ذلك.

وقالت هيئة الأوراق المالية والبورصات الأمريكية إن إيني وافقت على الدخول في تسوية للكف عن خرق بنود القيود ودفع 24.5 مليون دولار عن الأرباح التي تم الحصول عليها بشكل غير مشروع وكتعويض.

وتتركز القضية حول اتهامات بأن شركة سايبم لمقاولات النفط والغاز دفعت لوسطاء نحو 198 مليون يورو لضمان الحصول على عقود تساوي ثمانية مليار دولار مع شركة الطاقة الوطنية الحكومية الجزائرية سوناطراك.

وبرأت محكمة استئناف إيطالية في وقت سابق من العام الجاري إيني وسايبم من تهمة الفساد.

وكانت إيني تملك 43 في المئة من سايبم وقت توجيه هذه الاتهامات. وتملك إيني وبنك كاسا ديبوست اي بريسيتي الاستثماري شركة سايبم بشكل مشترك. (رويترز)

# رئيس البرلمان الألماني: أزمة كورونا ستعيد تعريف العلاقة بين اقتصاد السوق والدولة

ذكر رئيس البرلمان الألماني فولفجانغ شويبله أن أزمة جائحة كورونا سيكون لها عواقب اجتماعية واسعة المدى.

وقال شويبله– في تصريحات لصحيفة «أوجسبورجر ألجماينه» الألمانية الصادرة أمس السبت: «يتعين علينا إعادة تعريف العلاقة بين اقتصاد السوق والتنظيم الحكومي. لقد اهتز يقيننا بشدة في أن كل شيء سيسير على ما يرام بطريقة أو بأخرى. علينا التفكير الآن فيما إذا كان ذلك له علاقة بأننا بالغنا في تقدير كثير من الأمور».

وذكر شويبله أن الأزمة تكشف مشكلة التشابك العالمي، وقال: «العولمة تعني للأسف أيضا تغير المناخ وانقراض الأنواع»، موضحا أن الأمر لا يتعلق بتوقف آليات اقتصاد السوق، وقال: «لكن لا بد من إعادة تقييم الإطار الذي نتحرك فيه».

وأضاف أنه يتعين أيضا إعادة هيكلة السوق الداخلية الحرة وحركة السياحة في أوروبا في أسرع وقت ممكن، بالإضافة إلى مراعاة عدم إلحاق أضرار إضافية بالاقتصاد عبر الرقابة المستمرة على الحدود في وقت تحتاج فيه أوروبا على نحو مُلح إلى تحسين قدرتها على التصرف.

وفي سياق متصل، دافع وزير المالية الألماني الأسبق عن الإنهاء المؤقت لسياسة عدم تحمل الموازنة العامة لألمانيا ديونا جديدة بسبب أزمة كورونا، موضحا أن سياسة عدم الاستدانة تلك صالحة للتطبيق في ظل وضع مالي صحي، وأضاف: «لكن في موقف مثل هذا يتعين علينا فعل ما هو ضروري؛ أي زيادة الإنفاق والاستدانة مجددا. لا تناقض في الأمر. ففي النهاية قمنا بتطبيق استثناءات في كبح الديون من أجل هذا الموقف».

يُذكر أن الميزانية العامة لألمانيا خلت من الديون الجديدة عام 2014 إبان تولي شويبله منصب وزير المالية، وذلك لأول مرة منذ عام 1969 كما ظلت الموازنة العامة خالية من الديون الجديدة طوال السنوات التالية حتى تم إقرار حزمة مساعدات بالمليارات لدعم الاقتصاد في مواجهة تداعيات أزمة كورونا هذا العام. (د ب أ)

مدن وآثار

## آثار إسلامية تحيط بها الأساطير

# مصر: حكاية «الجيوشي» و«السبع بنات»

القاهرة ـ «القدس العربي»:
محمد عبد الرحيم

بخلاف آثار العصور العديدة التي عاشتها مصر، والممتدة طوال تاريخها، وبخلاف القيمة أو السمة الفنية والجمالية لهذا الأثر أو ذاك، نجد البعض منها يحمل أساطيره الخاصة، والتي ابتدعتها وأحيتها المخيلة والمعتقد الشعبي تبجيلاً وربما تقديساً لصاحب الأثر، أو بحثاً عن ذي سلطة في عالم الأموات يعينهم على بلاء الزمن وسلطة الأحياء، فأعلت من شأنه وجعلته يعيش بين الناس حتى الآن، وكأنه حي لا يموت، خاصة وأن المصري عشق إحياء الموتى، ولو اقتضر سبيل ذلك على مخيلته الرحبة. وما بين «الجيوشي» و«السبع بنات» تكمن مفردات الأسطورة التي صاغها الشعب المنسي من الجميع، والمتعلق فقط برحمة مخيلته.

### الجيوشي

«مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المومنين، وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين وسلم إلى يوم الدين، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين نصر الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المومنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وكيد عدوه وحسدته، ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمئة». (عبارات منقوشة على لوحة من الرخام تعلو عتب المدخل الرئيس لجامع الجيوشي).

هو أبو النجم بدر الجَمالي، مملوك أرميني الأصل اشتراه جمال الدولة بن عماد ولذلك عُرِف بالجمالي. وإليه ترجع تسمية «حي الجمالية» بهذا الاسم. أما اسم «الجيوشي» فيعود إلى لقب أمير الجيوش، الذي منحه إياه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، أو «ميرجوشي» كما ينطقها العامة.

حينما وقعت الشدة المستنصرية، وكادت الخلافة الفاطمية أن تنهار، استدعاه المستنصر ـ وقد كان الجمالي وقتها والياً على دمشق ـ فوصل القاهرة عام 1072 ميلادية، ليُعيد الأمور إلى نصابها، خاصة وقد شاعت الفوضى في البلاد بسبب انقسام فصائل جيش الترك والأفريق، إضافة إلى هجمات البربر على دلتا مصر لإسقاطها، فضلاً عن المجاعة التي ضربت المصريين، نتيجة انخفاض مستوى مياه النيل، والأوبئة التي استفحلت في البلاد. منحه الخليفة لقب «أمير الجيوش» بعد ما نجح في السيطرة على البلاد وتخلص من قادة الفتنة، وفرض النظام على الجميع. كذلك أعاد الجيوشي بناء سور القاهرة لتقويته ولزيادة مساحتها، فأصبحت القاهرة مدينة دفاعية مسوّرة لصد هجمات السلاجقة المحتملة عليها، وقد بقيت أجزاء من هذا السور وبعض أبوابه الشهيرة، مثل، باب النصر، باب الفتوح، وباب زويلة. ولما استقر حال الخلافة، تحكّم في مصر الملوك، ولم يبق المستنصر معه أمر.

توفي بدر الجمالي سنة 1094 ميلادية عن ثمانين عاما، من دون معرفة مكان قبره الحقيقي، فالبعض يقول إنه دُفن في زاويته «زاوية الجيوشي» بجبل المقطم في مواجهة قلعة صلاح الدين، والذي بناها عام 1085 ميلادية. بينما البعض الآخر يقولون بدفنه في مقبرة خارج باب النصر، وأن هذه الزاوية أو الجامع وتكوينه المعماري ـ رغم جمالياته من حيث كونه من أول المساجد التي تم بناؤها كاملاً بالحجر، ومأذنته تعتبر من أول المآذن الفاطمية ـ لا يتناسب ومقام أمير الجيوش، وأنه كأمير للجيوش وللدهاء أيضاً كان هذا الجامع من قبيل التمويه، وما هو إلا برج مراقبة يكشف القاهرة بالكامل، حيث لا تناسب طول المأذنة ـ حوالي 20 مترا ـ مع مساحة الجامع البالغة 270 مترا مربعا. مع ملاحظة أن هذه المأذنة كانت أول مكان في مصر يتم من خلاله طقس استطلاع هلال رمضان. كذلك تبدو على عمارة الزاوية أو الجامع أن تصميم المأذنة قد استوحىَ من أبراج الكنائس المسيحية في الشام، حيث كان الجيوشي والياً على دمشق. كما جاء منقوشاً على شكل دائرة في سمت القبة الآية رقم (39) من سورة يس: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» وفي الوسط نُقش اسم (مُحمّد) و(علي) مكررين ثلاث مرّات على شكل نجمة مسدسة الرؤوس.

من ناحية أخرى نجد أن المبنى قامت بترميمه ـ أعادت بناؤه بمعنى أدق ـ طائفة «البُهرة» ـ وهي طائفة شيعية فرّت من مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي، واستقرت في الهند، ثم عادت إلى مصر أواخر سبعينيات القرن الفائت ـ التي أخذت على عاتقها ترميم آثار الدولة الفاطمية وبعض آثار آل البيت، كتجديد مرقد السيدة زينب ومقصورتها، إضافة إلى تجديدهم مقصورة الحسين.

وبما أننا في العصر الحديث، فاختلاق الأساطير حل محله اختلاق المؤامرات، فيُقال إن هذه الطائفة قد طمست الزخارف السُنيّة التي طرأت على المسجد بعد العصر الفاطمي ـ لاحظ أن هذه الزخارف لم تكن موجودة في الأصل، وأضيفت إلى البناء بعد تخلص صلاح الدين من الفاطميين ـ ولم تقف المؤامرة عند هذا الحد، فالطائفة قامت بطلاء البناء بالكامل باللون الأسود! تعبيراً منهم عن حزنهم الشديد على سقوط الدولة الفاطمية، وعندما اعترض رجال الآثار الشجعان، قامت الطائفة بإعادة طلاء المسجد باللون الأبيض، للتعبير عن أملهم في إحياء الدولة الفاطمية من جديد. هذه آراء أحد مفتشي الآثار المصريين، ولله في خلقه شؤون.

المهم، هذه الزاوية أو المشهد الذي بُنيَ فوق مشهد (أخوة يوسف) مباشرة، كان يشرف على منطقة القرافة الصغرى بالإمام الشافعي وعلى الجزء المطل على النيل من جهة مصر القديمة وعلى المراعي الخضراء المعروفة بالبساتين، أو بساتين الوزير ـ الوزير الذي فرّ أو قُتل هو وعائلته على يد الحاكم بأمر الله ـ ويرجع بعض الباحثين سبب اختيار الجيوشي لهذه البقعة هو رغبته في أن يُدفن في موقع مرتفع حتى يشرف منه على قباب السبع بنات ـ بنات الوزير ـ الأثيرات لديه.

### السبع بنات

«ستات كتير راحوا حنّوا البنات وربنا استجاب»

في كل يوم جمعة، تتوافد البنات والسيدات، حاملات الشموع والبخور والحناء، إلى مقابر السبع بنات يُشعلن شموعهن وبخورهن، ويقمن بخلط الحناء ووضعها فوق أحجار الضريح من الداخل والخارج، ويطفن سبعاً، مرددات بعض من آيات الذكر الحكيم، داعيات راجيات بأن يقرّب الله ما ابتعد، متوسلات ببركة العذارى الشهيدات، فهذه لم تنجب بعد، وأخرى تجاورها أمها باكية وقد فاتها قطار الزواج، وأخيرة عليها عفاريت. والأمل معقود على هذه الزيارة ـ الأمر لا علاقة له بالشرك أو ما شابه ـ فالفقراء الذين لا يستطيعون الذهاب إلى بيت الله الحرام في آخر الدنيا، يعتقدون في رحمة ربنا الواسعة، بأن لديهم أماكنهم القريبة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا ـ حتى تجف الحناء وتنطفئ الشموع. ولابد من إتمام الطقس حتى الزيارة الثالثة، بدون انقطاع. وما بين الرقم (7) والرقم (3) ربك قادر على المعجزات.

تباينت الأخبار المتواترة حد التناقض في أمر ضريح القباب السبع أو قباب السبع بنات الواقعة جنوب الفسطاط، بالقرب من القلعة أعلى جبل المقطم. مع ملاحظة أنه لم يتبق سوى أربعة، ومؤخراً تم اكتشاف اثنين آخرين، جميعهم من دون قباب، أما الأخير فاندثر تماماً. والقبة هي غطاء الضريح، الذي حل محل المصطبة

أو الهرم في مصر القديمة، وتقع جميع الأضرحة على صف واحد غير مستقيم، متماثله البناء، كل منها على شكل مربع طوله 6 أمتار. ويتكون من ثلاثة طوابق، أولها من الحجر، والثاني والثالث من الآجر، والأخير فيه نوافذ ثماني.

فرغم التأكيد بأن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله هو الذي بناها، إلا أن الأسباب تختلف تماماً، فقيل إنها أضرحة دُفن فيها سبع بنات من أسرة مغربية واحدة، كان الحاكم بأمر الله قد أعدم والدهن عام 1010 ميلادية. أو أن الخليفة نفسه بعد أن قتل أحد وزرائه ويدعى (أبو سعيد الحسين بن علي المغربي) قتل أفراد عائلته لأنهم خرجوا عن المذهب الشيعي، وعندما شعر الحاكم بأمر الله بالذنب، قرر إقامة هذه القباب تكريماً للقتلى وتخليداً لذكراهم. أو أن الوزير المغربي بعد فراره من مصر إلى مكة، تم قتل أقاربه، بعدها حاول الخليفة استرضاء الرجل فأمر ببناء القباب. من دون تأكيد فكرة أنهن بنات الرجل أو من أفراد عائلته، أو حتى أنهن بنات في الأساس. رأي آخر يرى أن الناس في ذلك الوقت شعروا بالحزن والأسى على المقتولات غدراً، فأقاموا لهن هذه القباب. أما الخيال الشعبي فينسج حكاياته، وبما أن الجيوشي كان رجلاً عادلاً بين الناس، و«مشهده أو زاويته» تطل على هذه القباب، فالفتيات يصبحن بنات الشيخ الجيوشي ـ لقد صار شيخاً أيضاً ـ وحتى تكتمل فكرة القداسة فقد كُن يُحاربن اليهود مع والدهن، وتم قتلهن ودفنهن في هذه المنطقة. ويلاحظ أن مقابر البنات السبع منتشرة في أكثر من مكان في مصر، شمالاً وجنوباً، أشهرها بنات البهنسا في المنيا جنوب مصر، وقد أشيع أنهن حاربن في صفوف المسلمين ضد الرومان، فليس من الغرابة أن يتحول الرومان إلى اليهود في الذاكرة الجمعية القريبة للمصريين. وإمعاناً في الوظيفة الطقسية في ما بعد، والمستمرة حتى الآن بين المصريين، فالبنات عذراوات ومقتولات، شهيدات ومباركات، فلابد من اختراع رجل خيالي يهيم بهن ـ جميعهن ـ ويعشقهن من دون أدنى أمل. وكان لابد من أن يكون الرجل فارساً شجاعاً، يصح أن تُنسج حوله الأساطير بدون جدال، فيتعدى الجيوشي حدود الأبوة، ويستأنس في قبره بعشق البنات السبع ـ هنا تسقط الأزمنة والتواريخ ـ ليوصي الرجل قبل موته قائلاً: «ادفنوني فوق جبل عال وعيني تراهن».

# رياضة

## كيف يمكن لزيدان أن يُعيد أمجاده مع ريال مدريد؟

زيدان ومستقبل مجهول مع الريال

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

يقول المثل الشهير «رب ضارة نافعة»، وهو ما يتمنى جمهور ريال مدريد حدوثه مع المدرب الفرنسي زين الدين زيدان، بعد نجاته بأعجوبة من مقصلة الإقالة، بفضل جائحة كوفيد–19، التي قلبت موازين الحياة، بما في ذلك اللعبة الشعبية الأولى على مستوى العالم، بتعليق النشاط الكروي في مختلف أنحاء العالم لأجل غير مسمى، باستثناء دول مغمورة تُعَد على أصابع اليد الواحدة، ما زالت تعيش في عالم مواز بإقامة مباريات الدوري المحلي بشكل منتظم بدون جماهير، رغم خطورة الوضع الحالي وتحذيرات منظمة الصحة العالمية من وصول الوباء للذروة في المرحلة القادمة.

### زيدان قبل الجائحة

لا يُخفى على أحد، أن أوضاع نادي القرن الماضي تدهورت بشدة بعد رحيل الهداف الأسطوري كريستيانو رونالدو، فبعد الوصول لأعلى نقطة في تاريخ النادي منذ أواخر خمسينات القرن الماضي، بالسيطرة على كأس دوري أبطال أوروبا 3 مرات متتالية وأربع مرات في الفترة بين عامي 2014 و2018، هبط المنحنى بشكل صادم بدون صاروخ ماديرا وزيدان الموسم الماضي، ليضطر فلورنتينو بيريز لإعادة زيزو في نهاية موسم 2018–2019 الكارثي، على أمل أن يعيد الهدوء والاستقرار والأمل للفريق من جديد، لكن حتى آخر مباراة قبل الجائحة، تلك التي خسرها أمام ريال بيتيس الأندلسي بنتيجة 1–1، كان واضحا أن المدرب ما زال بعيدا عن الوصول للتشكيلة المثالية القادرة على محاكاة إنجازاته في ولايته الأولى، وتجلى ذلك في تذبذب النتائج والأداء من حين لآخر، على غرار الهزة التي تعرض لها بعد فوزه بالكأس السوبر الإسبانية، بسلسلة من النتائج المخيبة لآمال المشجعين، على إثرها ودع الفريق كأس ملك إسبانيا بالسقوط أمام ريال سوسييداد في قلب «سانتياغو بيرنابيو» بنتيجة 4–3، وكان قريبا من الخروج من دوري أبطال أوروبا، بعد سقوطه على نفس الملعب أمام مانشستر سيتي في ذهاب دور الـ16، بخلاف تنازله الغريب عن صدارة الليغا في الأسبوع التالي للفرحة المزدوجة بالفوز على برشلونة في الكلاسيكو بهدفين نظيفين واعتلاء القمة من جديد، ليأتي توقف كورونا القهري في توقيت أكثر من مثالي لزيدان، كفرصة أو هدية من السماء ليعيد حساباته من جديد ويدرس النقاط السلبية وما يحتاجه مشروعه لتفادي ارتكاب نفس الأخطاء الأخيرة التي وضعته في مرمى النار، والأهم من ذلك، استعادة المجد والأيام الخوالي كما كان الوضع في ولايته الأولى الذهبية، وأيضا كما تريد وتنتظر منه الجماهير منذ توليه المهمة لإنقاذ النادي بعد إقالة الأرجنتيني سانتياغو سولاري قبل 13 شهرا.

### القطعة المفقودة

يبدو واضحا أن زيدان ينفذ تعليمات الإدارة بإعادة بناء ريال مدريد، بتقليل معدل أعمار الفريق من دون الإخلال بالمزيج المطلوب بين أصحاب الخبرة والشباب، خاصة بعد شراء هذا الكم من المواهب الشابة في آخر عامين بالذات، وظاهريا، فهذا يبدو بالأمر الجيد، لامتلاك النادي لمجموعة لا بأس بها من الأسماء المرشحة للانفجار في المستقبل غير البعيد، وبأسعار في المتناول، بدلا من شرائهم بعد عامين أو ثلاثة بأضعاف أسعارهم في الوقت الراهن، لكن من الناحية الواقعية والمنطقية، يمكن القول إن زيدان يُدرك أكثر من غيره، أن عناصره المتاحة في الوقت الراهن، لن تساعده للذهاب بعيدا في طموحاته مع ملوك العاصمة الإسبانية، لحاجة هؤلاء الشباب لمزيد من الخبرة والاحتكاك للوصول لمرحلة النضج الكروي، والأخطر من ذلك، انحراف بيريز عن سياسته القديمة الجريئة التي دَشن بها أسطورته كرئيس غير تقليدي يعتبره البعض الأفضل في تاريخ النادي، لارتباط اسمه بالصفقات «الغالاكتيكوس»، التي بدأها بالموجة الأولى مع فوزه بالانتخابات الرئاسية للمرة الأولى عام 2000 على حساب الراحل لورينزو سانز، بنقل أفضل لاعب في العالم آنذاك لويس فيغو من العدو الأزلي برشلونة إلى «البيرنابيو»، وتبعه بضم زين الدين زيدان وديفيد بيكهام والظاهرة رونالدو وباقي الجيل الذي أطلق عليه لقب «الأحجار الكريمة»، ومع عودته في ولايته الثانية، كرر نفس الأمر مع بداية العقد الثاني من الألفية الجديدة، بشراء كريستيانو رونالدو وريكاردو كاكا وكريم بنزيما وأنخيل دي ماريا ولوكا مودريتش وباقي أفراد الجيل المحتل للقارة العجوز، وهو ما ساهم في تتويج الريال بهذا الكم غير المسبوق من البطولات في العصر الحديث.

وفي مستهل العقد الجديد، أنفق حوالي 160 مليون يورو لتعزيز الهجوم بالثنائي إدين هازارد ولوكا يوفيتش، على أمل أن يتقمص الدولي البلجيكي دور غالاكتيكو المرحلة القادمة، والصربي يُحَسن من أرقام وجودة الهجوم، بعد الهبوط الصادم في معدل الأهداف في أول موسم بعد انتقال صاروخ ماديرا إلى يوفنتوس، إلا أن الأمور لم تسر كما كان يُخطط ويحلم رجل الأعمال الإسباني، لمعاناة القادم من تشلسي مع لعنة الإصابات بجانب فشل مهاجم آينتراخت فرانكفورت السابق في التعبير عن نفسه، بالاكتفاء بتسجيل هدفين فقط من مشاركته في 24 مباراة في مختلف المسابقات، وما زاد الطين بلة أن المهاجم الأول كريم بنزيما، لم يتخلص هو الآخر من آفته المزمنة بعدم الحفاظ على مستواه في القمة لفترة طويلة، بجانب صيامه التهديفي من حين لآخر، رغم حصيلته التهديفية تبدو مقبولة هذا الموسم بتسجيل 19 هدفا في كل البطولات، ناهيك عن عدم ثبات مستوى وقلة خبرة الثنائي البرازيلي فينيسيوس جونيور ورودريغو غوس وكثرة مشاكل وإصابات المنبوذ الويلزي غاريث بيل، وهذا إن دل على شيء، فحتما على الفراغ الكبير الذي تركه الدون منذ بيعه لليوفي العام قبل الماضي، والحل الوحيد هو العثور على قطعة نادرة في الثلث الأخير من الملعب، أو اثنين إذا أراد بيريز وزيدان إحداث ثورة تغيير حقيقية لتعويض عشرات الأهداف التي كان يسجلها رونالدو قبل رحيله.

### الغالاكتيكو المثالي

كما أشرنا أعلاه، يحتاج الملكي استثمارا جادا في الثلث الأخير من الملعب، ليس فقط لحل معضلة انخفاض معدل الأهداف للنصف وأكثر بدون كريستيانو، بل أيضا لصعوبة تحقيق آمال وتطلعات الجماهير بلا رأس حربة قادر على التسجيل من ربع فرصة، وبالنظر إلى الأسماء المتاحة على الساحة، فبالكاد لا يوجد أفضل من جلاد باريس سان جيرمان كيليان مبابي، كيف لا وهو ما زال لم يتخط ربيعه الـ21، ويملك من الموهبة وغريزة الهداف القاتل ما يكفي لارتداء القميص رقم 7 الأبيض، ونعرف جميعا أن بطل العالم ليس بالمهاجم التقليدي الذي ينتظر الكرة داخل مربع العمليات. نتحدث عن وحش كاسر يجمع بين سرعة تيبري هنري وجرأة رونالدو في بعثرة المدافعين وإيجابيته أمام المرمى، ولا تنسى عزيزي القارئ، أن الشاب الفرنسي هو مدريدي الهوى، وسبق له أن اعترف في أكثر من مقابلة، أنه كان من مشجعي الريال في طفولته، وحتى وقت قريب، كان يضع صورة ملهمه كريستيانو رونالدو على حائط غرفته القديمة، غير أنه من حين لآخر، يتعمد إثارة الجدل حول مستقبله، بتصريحات لطيفة في حق الريال ومواطنه زين الدين زيدان، وهو الأمر الذي يستغله زيزو عادة على أكمل وجه، بمبادلة اللاعب الإطراء من دون أن يترك بصمته، بإعطاء إيحاء للجميع بأن باب «سانتياغو بيرنابيو» مفتوح أمام كيليان في المستقبل القريب، ويحدث ذلك في الوقت الذي يتفنن فيه اللاعب ووالده في كسب معركة الوقت مع المدير الرياضي

بنزيمه ليس الحل لهجوم الريال

للنادي الباريسي ليوناردو والرئيس ناصر الخليفي، بمماطلة واضحة في مفاوضات تجديد عقده الذي سينتهي بعد عامين من الآن، وربما لإصراره على تحقيق حلم الطفولة، وربما لشعوره بأنه فرصه في الفوز بدوري أبطال أوروبا وأفضل لاعب في العالم ستتضاعف إذا انتقل من باريس إلى مدريد. على أي حال، يبقى مبابي بموهبته وشخصيته الناضجة رغم صغر سنه، الغالاكتيكو المثالي لمرحلة ما بعد رونالدو، وأيضا مشروع الأسطورة الذي يحتاجه الريال في بداية العقد الجديد. وكي يكتمل مخطط زيدان بالجلوس على العرش الأوروبي مجددا، عليه التفكير في شريك مثالي لكيليان بدلا من يوفيتش أو كريم بنزيما، ولعل الخيار الأفضل في الوقت الراهن، هو قناص بوروسيا دورتموند إيرلينغ براوت هالاند وبدرجة أقل قائد توتنهام هاري كاين وجلاد الإنتر لاوتارو مارتينيز، لكن ما يميز النرويجي أنه تنطبق عليه شروط بيريز في سياسته التعاقدية الجديدة، باستقطاب المواهب الخام التي لم تكسر حاجز الـ20 عاما، والأهم من ذلك، أنه أثبت بشكل عملي أنه مهاجم لا يعرف الرحمة ولا الشفقة أمام المرمى، وهذا ما كان يفعله رونالدو مع زيدان في سنوات المجد، واختفى منذ مغادرته.

### صداع معدل الأعمار

واحدة من أكبر المشاكل التي يواجهها زيدان في ولايته الثانية، هي ارتفاع معدل أعمار رجاله المخلصين، مقارنة بوضعهم عندما كانوا في ذروة العطاء في ولايته الأولى، والإشارة إلى سيرخيو راموس ومارسيلو ولوكا مودريتش وتوني كروس وكريم بنزيما، هؤلاء تخطوا حاجز الـ30 عاما وتراجعت معدلاتهم البدنية، وفي نفس الوقت تشبعوا بالبطولات التي لم يحققها جيل آخر منذ زمن الفريدو دي ستيفانو وبوشكاش، ما يعني أن الاعتماد ليرفع مستوى المنافسة مع داني كاربخال في مركز الظهير الأيمن، بالإضافة للظهير الأيسر سيرجيو ريغيليون وداني سيبايوس ومارتن أوديغارد، وفي المقابل يترك رودريغيو يحصل على فرصته في مكان آخر على سبيل الإعارة، أو المفاضلة بينه وبين فينيسيوس جونيور، لاختيار واحد منهما برفقة الأسماء الكبيرة المرشحة لإعادة الهيبة للهجوم المدريدي، ونفس الأمر بالنسبة ليوفيتش، نظرا لحاجته الماسة لاستعادة ثقته بنفسه من جديد، وذلك سيحدث بإرساله على سبيل الإعارة أو بيعه بصفة نهائية، هكذا سيتخلص زيدان من الحمل الزائد للعواجيز، وفي نفس الوقت سيفعل المطلوب منه بتقليل معدل أعمار الفريق، وبأسماء ومواهب قادرة على حمل الراية بعد جيل «لا ديسيما» العظيم، من دون أن نذكر لاعبين آخرين متوقع لهم مستقبل بارع مستقبل مشرق مثل أندري لونين ورينير جيسوس وإبراهيم دياز وكوبو.

### الاقتداء بنموذج ليفربول

يبقى الشيء الأكثر أهمية، أن يتعامل بيريز مع زيدان بنفس طريقة تعامل إدارة ليفربول مع المدرب الألماني يورغن كلوب، بالصبر عليه ومنحه كافة الصلاحيات حتى يشعر أن وظيفته ومستقبله في أمان، وقد أثبتت التجارب أن جوزيه مورينيو كان محقا في وجهة نظره حول فوائد وإيجابيات الإبقاء على المدربين لفترات طويلة، على عكس العرف السائد معهم في السنوات الماضية، حيث يقع المدربون ضحية وكبش فداء بمجرد أن تهتز نتائج الفريق، أما القلائل الذين يعملون لفترات أطول، فيكون لديهم متسع من الوقت لتنفيذ أفكارهم ومشروعهم على أرض الواقع كما يريدون، حيث يساعدهم الاستقرار على معالجة نقاط الضعف وجني ثمار الفريق الذي اختار عناصره على مدار سنوات، ولنا في الماضي غير البعيد أمثلة من نوعية سير أليكس فيرغسون مع مانشستر يونايتد وآرسين فينغر مع آرسنال، والآن مع كلوب، الذي وصل بالفعل لمرحلة جني ثمار تعبه وعمله الشاق على مدار السنوات الأربع ونصف السنة الماضية، بقيادة الريدز لأول ثلاثية قارية في التاريخ باحراز دوري أبطال أوروبا والكأس السوبر الأوروبية وكأس العالم للأندية، ولولا جائحة كوفيد–19، لأضاف إليهم لقب الدوري الإنكليزي الممتاز، وبالكاد، هذا ما يحتاج زيزو من رئيس النادي، بالصبر عليه لموسمين آخرين حتى لو لم يفز ببطولة الموسم المقبل، إلا إذا لم تظهر مؤشرات ملموسة لنجاح مشروعه في موسمه الثاني الكامل، أو قرر فجأة تقديم استقالته بنفس سيناريو صيف 2018، هنا سيكون الأمر مغايرا، لكن دعونا نتفق على أنه حتى في أسوأ فتراته قبل توقف النشاط الكروي، كان وما زال من الصعب التشكيك في زيدان كمدرب يحظى باحترام اللاعبين في غرفة خلع الملابس للكاريزما المعروفة عنه بجانب أفكاره التكتيكية المتنوعة وقدرته على الكتشاف المواهب الاستثنائية كما فجر مواهب إيسكو ورافابيل فاران والأخير فيديريكو فالفيردي، والسؤال الآن: هل سيبقى في منصبه ويدعمه بيريز بصفقات من العيار الثقيل كما تقول الصحافة الإسبانية، ليعيد أمجاده وأمجاد الريال من جديد؟ أم هناك سيناريو آخر غير متوقع بعد الانتهاء من أزمة الوباء المستجد؟

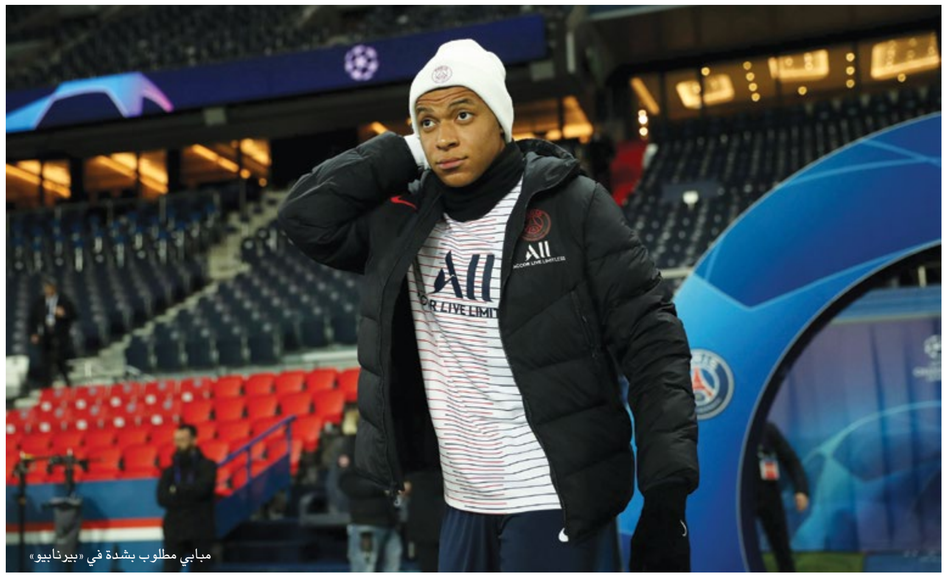
مبابي مطلوب بشدة في «بيرنابيو»

## من توابع

# هل يكتب كورونا نهاية

**لندن – «القدس العربي»:**

مع اقتراب جائحة «كوفيد–19» من الوصول إلى مرحلة الذروة في مختلف القارات كما تؤكد منظمة الصحة العالمية، بدأ الإعلام العالمي يسلط الضوء على التوابع الملموسة في الوقت الراهن من تفشي الوباء، وعلى توقعات الخبراء لما سيحدث في زمن ما بعد كورونا، ما بين توقعات بتغير واختلال موازين القوى في المرحلة المقبلة، وأخرى لا تستبعد حدوث حرب عالمية ثالثة أو على أقل تقدير سيزداد نفوذ بعض الدول وستصعد قوى جديدة على حساب أصحاب النفوذ والمتحكمين في عالمنا الآن، وكرة القدم كباقي مجالات الحياة، هي كذلك لم تسلم من بطش المرض، بغلق الملاعب وتعليق النشاط منذ منتصف الشهر الماضي وحتى إشعار آخر، وهو ما كبد الأندية خسائر فادحة، مثلما تخسر الدول والمؤسسات والبورصات على رأس الساعة، وهذا في حد ذاته ينذر بتغير أشياء ومفاهيم كثيرة كانت ثابتة في عالم المركولة المجنونة قبل الأزمة الحالية.

### السؤال الأشهر

حتى هذه اللحظة، مازال السؤال الأشهر والأكثر ترددا بين عشاق الكرة الحقيقية وخبراء اللعبة، هو متى سينتهي صراع الثنائي الأفضل عالميا في العصر الحديث وربما في كل العصور ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو؟ بعد هيمنة الاثنين على 90 % من الجوائز الفردية المرموقة منذ عام 2007 وإلى الآن، بتتويج البرغوث بجائزتي «الأفضل» و«الكرة الذهبية» ست مرات، مقابل خمس جوائز لصاروخ ماديرا، حتى بعد فوز ليو بجائزتي العام الماضي، ترسخ لدى البعض اعتقاد بأن هذه الحقبة لن تنتهي إلا باعتزال الفضائيين، وذلك بالنظر إلى الحالة البدنية والفنية التي يبدو عليها الاثنان، حتى بعد تقدمهما في السن، بوصول رونالدو لعامه الـ35 وميسي سيحتفل بعيد ميلاده الـ33 في يونيو/حزيران المقبل، والدليل على ذلك، تأثيرهم الكبير على نتائج يوفنتوس وبرشلونة منذ بداية هذا الموسم المؤجل، حيث سجل الدون 25 هدفا من مشاركته في 32 مباراة، منها 22 هدفا على مستوى السيريا آ، كأكثر اللاعبين تأثيرا في تصدر السيدة العجوز صدارة جنة كرة القدم، فيما سجل النجم الأرجنتيني 24 هدفا في 31 مباراة في كل البطولات، وأيضا الأكثر تأثيرا في الـ19 التي سجلها في البطولة، وبطبيعة الحال، هذا لم يحدث من قبيل الصدفة، بل بالعمل الشاق ورغبة تصل لحد الجنون من قبل الاثنين لأجل الحفاظ على لياقتهما البدنية في القمة، وقد أكد الدولي المغربي السابق مهدي بنعطية رونالدو للتدريبات العنيفة بعد هذه المعلومة، بالكشف عن إدمان التمارين الصباحية وأحيانا بعد المباراة، بخلاف نظامه الغذائي المتكامل، بتناول من 6 إلى 7 وجبات على مدار اليوم، ليحظى بهذا القوام الرياضي المثالي، الذي قلما تجده حتى في لاعب عشريني. ونفس الأمر بالنسبة لغريمه، صحيح لا يملك نفس القوة الجسدية الخارقة، لكن لياقته البدنية ما زالت جيدة جدا، وهذا ما يحتاجه، لأنه لا يعتمد سوى على سحر الكرة بين قدميه بتنفيذ الركلات الثابتة وعمل المفاجأة في آخر 30 مترا في الملعب، على النقيض تماما من مقولته الشهيرة التي قالها في بداية الموسم «مع تقدم العمر الجسد لا يرحم».

### تأثير الجائحة

قد يكون التضارب حول موعد استئناف الموسم، ما بين آراء تتوقع استكماله مع بداية يونيو/حزيران وأخرى ترجح استمرار الوضع الحالي حتى أغسطس/آب، وذلك من دون استبعاد سيناريو الإلغاء إذا لم تسمح الظروف، لكن المؤكد أنه في كل الأحوال ستعود مباريات كرة القدم بملاعب مغلقة لفترة ليست قصيرة، وأغلب التقارير التي تحظى بمصداقية جيدة، تؤكد أن عودة الجماهير ستحدث بشكل تدريجي ربما مع نهاية الموسم المقبل أو بداية الموسم ما بعد المقبل، وأمر كهذا سيؤثر بشكل سلبي على معنويات وشغف اللاعبين، وبالنسبة لرونالدو وميسي، ستكون الأمور معقدة للغاية، لأهمية الدعم الجماهيري الذي يستمد منه الاثنان الكثير من الطاقة والحماس لتقديم الأفضل في كل مباراة وبطولة، والأسوأ من ذلك، أن توقف النشاط جاء في أوج وأفضل لحظاتهما في الموسم، ومع استمرار التوقف لبضعة أسابيع أخرى، سينعكس الأمر بشكل سلبي عليهما، لصعوبة استعادة نفس الحماس والرغبة والزخم وغيرها من الأشياء التي تجدد نشاطهما في كل عطلة نهاية أسبوع، غير أن الابتعاد عن التدريبات الجماعية لفترة طويلة، كفيل بنسف إيقاع وشغف الاثنين، بعدما كان النسق في ذروته مع الاقتراب من دخول مراحل الحسم في الموسم، في ما يعرف «أبريل الحاسم»، ولا ننسى كذلك، أن الأمر الذي يتقاتل عليه الاثنان، والحديث عن جائزتي الفيفا ومجلة «فرانس فوتبول»، هناك احتمالات كبيرة لإلغاء الحفلتين هذا العام، بعد اختلاط معايير اختيار الفائز، بتأجيل اليورو للعام المقبل واحتمال ضغط مباريات ربع ونصف نهائي دوري الأبطال، إذا استكمل الموسم... الشاهد أن جُل المؤشرات لا تصب ولا ترجح عودة الثنائي بنفس النسخة الفضائية التي كانا عليها قبل هذه الأزمة.

### مشاكل خارجية

الملاحظ في هذه الأيام أن وسائل الإعلام في إيطاليا وإسبانيا بدأت تمهد لعصر ما بعد كريستيانو وليو، بعشرات التقارير التي تتكهن حول مصير الدون مع اليوفي، لتأثر ناديه بالأزمة الاقتصادية التي تلوح في الأفق، وهناك مصادر تزعم أن إدارة البانكونيري قد تضطر لبيعه الصيف المقبل، لصعوبة تحمل راتبه، وهو ما فتح المجال لربط اسمه بالعودة إلى ريال مدريد، لكن «آس» و«ماركا» وغيرهما من المصادر المقربة من فلورنتينو بيريز، أجمعت على أن الإدارة لم ولن تفكر في عودة صاروخ ماديرا مرة أخرى كلاعب، بسبب السياسة المتبعة بالتركيز فقط على المواهب القابلة للانفجار في المستقبل.

أما ميسي، فيقال إن علاقته بالكاد تدهورت مع الرئيس جوزيب ماريا بارتوميو، بعد الضغط على اللاعبين لإجبارهم على التنازل عن 70 % من أجورهم بأثر فوري منذ توقف النشاط الكروي، فضلا عن اعتراض «البرغوث» على المشاكل الإدارية التي يعاني منها النادي في الآونة الأخيرة، على غرار ما حدث الأسبوع الماضي بتقديم ستة من أعضاء مجلس الإدارة استقالاتهم، اعتراضا على سياسة الرئيس، هذا ولم نتحدث عن موقف الهداف التاريخي من تسريب معلومة تعاقد رئيس النادي مع شركات افتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي، لتوجيه الرأي العام ضد ليو وباقي النجوم الكبار، الأمر الذي يحاول الإنتر استغلاله، لتحقيق حلم الرئيس السابق ماسيمو موراتي برؤية ميسي بقميص النيراتزوري كما حدث مع الظاهرة رونالدو في النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي، وإن تمت هذه الصفقة بنجاح وفي نفس الوقت لم يرحل رونالدو عن يوفنتوس، فقد تكون الأمل الوحيد لاستمرار هذه الحقبة الذهبية لصراعهما لفترة أطول، قد تمتد لعامين أو ثلاثة، أما غير ذلك، فجُل متغيرات زمن ما بعد كورونا، تنذر بانتهاء هذه الحقبة.

### الخلفاء المنتظرون

بينما تتحدث الصحافة عن اقتراب لحظة اختفاء بريق رونالدو وميسي، تزايد الاهتمام بمستقبل كيليان مبابي وباولو ديبالا، بأنباء محدثة على رأس الساعة عن اهتمام ريال مدريد وبرشلونة بهما، والنغمة السائدة أن مبابي مطلوب في معقل الملوك، ليكون «غالاكتيكو» العقد الجديد، وديبالا مطلوب في «كامب نو»، ليحل محل أسطورة بلاده في المستقبل، ما يمهد لانحصار الصراع الرقمي والفني بينهما في زمن ما بعد كورونا، لقدراتهما العظيمة، وتمتع كل منهما بالموهبة والإمكانات المطلوبة لحمل القميص رقم 7 المدريدي أو 10 الكتالوني، وربما يزاحمهما الوحش الاسكندينافي إيرلينغ براوت هالاند في السنوات المقبلة، إذا استمر على صورته المرعبة الحالية مع نادي بشعبية وجماهيرية تفوق ناديه الحالي بوروسيا دورتموند، لكن حصول هؤلاء على الإرث سيتوقف على مدى استغلال نيمار جونيور ومحمد صلاح وساديو ماني للفرصة الثمينة المحتملة، إلا إذا قهر الثنائي الفضائي المنطق وكورونا، وعادا بنفس القوة التي كانا عليها قبل الأزمة، وفي حقيقة الأمر، هذا ما يتمناه عشاق المواهب والكرة الجميلة.



## الجائحة

# صراع رونالدو وميسي؟

# ماذا لو طبق «الفار» منذ القدم؟

في العالم الجديد اليوم، وفي خضم الصراعات المريرة اليومية بمقاومة الخروج من المنزل، خوفاً من الوحش الخفي الجبار كورونا، نكتشف أن لدينا الكثير من الوقت لقتله، أو بالاحرى، لاستغلاله، في أمور نحبها او نسيناها، فحان الوقت للاستمتاع بها بعيدا عن ضجيج الشوارع ومواعيد القطارات والحافلات.

في هذه الاجازة، او الفرصة، الاجبارية، استهويت مشاهدة أهداف البطولات الكبرى القديمة، كنهائيات كأس العالم وكأس الامم الاوروبية، وذهلت من الكم الهائل من الاهداف التي سجلت عن طريق ارتكاب الاخطاء، اما بالخشونة المتعمدة او من مواقع تسلل فاضحة، فلم يسعني سوى التفكير في أنه لو كانت التكنولوجيا المعمول بها في اللعبة اليوم، مثل تقنية الحكم المساعد (فار) أو تقنية خط المرمى للكشف عن دخول الكرة المرمى كاملة، موجودة منذ القدم، هل كان سيتغير حال اللعبة اليوم؟ بل هل كانت ستتغير هوية الأبطال؟ والنجوم؟

أول ما بدر إلى ذهني هدف الاسطورة الارجنتيني دييغو مارادونا في مرمى انكلترا في مونديال 1986 في المكسيك، فهو سجل هدفين في هذه المباراة في ربع النهائي، الثاني اعتبر من أعظم الاهداف التي سجلت في تاريخ النهائيات، لكن الاول كان، ليس من لمسة يد، بل بضربة يد واضحة، ولكنها احتسبت هدفاً صحيحاً وفازت الأرجنتين 2/1، لتشق طريقها إلى النهائي وتحرز اللقب، ومن بعدها أصبح مارادونا أسطورة الاساطير، رغم مشاكله خارج الملعب وادمانه على تعاطي المخدرات. وهنا سؤالي: لو كانت تقنية «الفار» معمولاً بها حينذاك، فان هدفه باليد لن يحتسب، وقد تحسم المباراة بركلات الترجيح، وربما لغاز الانكليز. فعملياً حظي مارادونا بشعبيته العالمية بسبب نجاحه في قيادة فريق مغمور (حينها) مثل منتخب الأرجنتين الذي افتقد إلى النجوم الكبار إلى جانبه، عدا عن ربما فالدانو وروجيري وبورشاغا، الذين كانوا أنصاف نجوم، ولولا خطأ الحكم، لربما اعتبر النجم الحالي ليونيل ميسي هو الاعظم في تاريخ بلاده، وليس مارادونا، ولانعدمت الخطية الملقاة على عاتق نجم برشلونة الحالي بعدم احراز أي لقب لمنتخب بلاده.

وحتى الانكليز أنفسهم، فانهم أحرزوا لقبهم العالمي الوحيد بطريقة مثيرة للجدل، ففي نهائي كأس العالم 1966 التقى الانكليز أصحاب الأرض ضد عقدتهم المنتخب الألماني في المباراة النهائية في استاد «ويمبلي» العريق، فتقدم الألمان عن طريق هالر في الدقيقة 12 وعادل الانكليز عبر هيرست في الدقيقة 18، وتقدموا عبر بيترز في الدقيقة 78 قبل ان يعادل ويبر في الدقيقة الاخيرة للألمان، ولجأ الفريقان إلى وقت اضافي. وفي الدقيقة 101 جاءت لحظة الجدل الكبرى عندما سجل هيرست هدفه الثاني، ليتقدم الانكليز 3/2، لكن تسديدة هيرست التي اصطدمت بأسفل العارضة، هل تخطت خط المرمى؟ فالى اليوم يقول الانكليز نعم، والألمان لا. طبعا انتصر الانكليز في النهاية 4/2 بعدما أكمل هيرست ثلاثيته. لكن لو كانت هناك تكنولوجيا خط المرمى لحسمت الجدل المستمر إلى اليوم.

الجدل لم يتوقف عند هذا الحد، فهناك آلاف اللحظات والاحداث، التي لو توافرت فيها تكنولوجيا المباريات، لتغيرت النتائج والمعطيات التي نعرفها اليوم، ففي لحظة تذكري للمباراة الخالدة بين ألمانيا الغربية وفرنسا في نصف نهائي مونديال 1982 (الذي اعتبره الأفضل في تاريخ نسخ كأس العالم)، وقيام حارس المانيا شوماخر بتعمد الاصطدام بخشونة بالغة مع المهاجم الفرنسي باتيستون، الذي سقط أرضاً فاقدا للوعي، وخرج من المباراة فاقدا اثنين من أسنانه وكاسراً 3 من ضلوعه، ومع ذلك ظل شوماخر يحرس مرمى الألمان، بل كان البطل خلال فترة ركلات الترجيح التي حسمت المباراة للألمان، وهو اليوم الذي أعلن هنا في انكلترا عن وفاة أحد أساطير نادي ليدز، الذي اشتهر في السبعينات بخشونته، نورمان هانتر، الذي توفي صباح الجمعة الماضي، ونعاه البعض بانه النجم الذي لم يسجل الاهداف لليدز بل كان يمنع دخولها مرماه. وطبعا هو كان لاعب وسط مدافع، ومن اللقطات التي اذيعت له في اليومين الماضيين، لكان سيطرد على كل اعاقة فعلها لو كانت تكنولوجيا اليوم تعود إلى السبعينات.

أشجع القراء الكرام على مشاهدة المزيد من أهداف البطولات والدوريات في العقود الماضية، وربما تصيبهم الدهشة والغرابة، أكثر من غرابة الأرقام اليومية للأرواح التي يحصدها الفيروس اللعين. عافى الله الجميع.

@khaldounElcheik

جماهير ليفربول احتفلت بلقب هذا الموسم قبل انتهائه

# صداع الالغاء يثير رعب كبار الكرة الأوروبية!

**لندن – «القدس العربي»:**

على الرغم من ان الاتحاد الأوروبي لكرة القدم لا يحبذ إنهاء المواسم بشكل مبكر، بات احتمال إلغاء موسم 2020–2019 هاجسا مؤرقا للأندية الأوروبية، في ظل تواصل فرض الحجر المنزلي الصارم في العديد من دول القارة العجوز، كغيرها من دول العالم، في إطار مكافحة وباء «كوفيد19–».

يهدد احتمال إلغاء الموسم في البطولات الأوروبية الوطنية لكرة القدم بسبب فيروس كورونا، بالتسبب بخيبات أمل كبيرة لبعض الأندية التي كانت تنافس بقوة على اللقب المحلي، أو تلك التي تواجه الهبوط، مرورا بالمتربصة بمراكز المسابقات القارية. ليفربول على سبيل المثال، كان يلهث وراء لقب الدوري الانكليزي للمرة الأولى منذ عام 1990، ويتقدم على منافسه المباشر مانشستر سيتي بـ25 نقطة (ومباراة أكثر) بعد 29 مرحلة من 38. وكان النادي الأحمر قاب قوسين أو أدنى من حسم اللقب لصالحه، حين علقت منافسات الدوري الممتاز بسبب وباء «كوفيد19–» منتصف آذار/مارس. وبات أنصاره يخشون ان يندثر الحلم الذي طال انتظاره. بيد أن رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا) السلوفيني ألكسندر تشيفيرين سعى لطمأنة مشجعي النادي الأحمر، وقال الأسبوع الماضي «من المستحيل أن لا يكون ليفربول بطلا. إذا لعبت المباريات، فمن شبه المؤكد انه سيفوز باللقب. من الناحية النظرية لم يحصل على اللقب بعد، لكنه بالتأكيد قادر على ذلك»، مضيفا: «في حال تعذر لعب المباريات، سنحتاج إلى إيجاد طريقة ومفتاح يتم على أساسه الإعلان عن النتائج وتحديد الفائزين... لا أرى أي سيناريو لا يكون فيه ليفربول بطلا».

وفي حال الإلغاء، فإن خيار اعتماد الترتيب الحالي كنتيجة نهائية للموسم، يتقدم على حساب الخيار الآخر الذي يعتمد سيناريو الغاء جميع النتائج المسجلة لدى توقف الدوري. في مطلق الأحوال، أي خيارات يتم اللجوء إليها في هذا الشأن، ستكون لها تبعات رياضية كبيرة.

واذا كان الوضع في انكلترا شبه محسوم في ظل الفارق الكبير لصالح ليفربول، مثله مثل فرنسا، حيث يتقدم باريس سان جيرمان على اقرب منافسيه مارسيليا بفارق 12 نقطة، فالشهد مختلف في البطولات الأخرى. ففي ألمانيا، يحتل بوروسيا دورتموند المركز الثاني بفارق أربع نقاط فقط عن بايرن ميونيخ المتصدر، في حين يتقدم برشلونة على غريمه التقليدي ريال مدريد بفارق نقطتين في إسبانيا. وفي إيطاليا، تبدو المنافسة مستعرة بين يوفنتوس المتصدر بفارق نقطة واحدة عن لاتسيو الباحث عن لقب «سيريا آ» الذي لم يتوج به سوى مرتين في تاريخه الذي يعود للعام 1900. ويعد رئيس نادي لاتسيو كلاوديو لوتيتو في مقدمة المطالبين بمعاودة النشاط في إيطاليا، إحدى أكثر الدول تأثرا بـ«كوفيد19–» من حيث عدد الوفيات التي بلغت أكثر من 20 ألفا، علما أن إجراءات العزل المنزلي لمكافحة تفشي الفيروس ستبقى قائمة حتى الثالث من أيار/مايو على الأقل. وفي حال اعتماد الترتيب الحالي بصفة نهائية، فإن الأندية التي تحتل مراكز غير مؤهلة إلى المسابقات الأوروبية لكنها لا تزال تحتفظ بآمالها لتحقيق ذلك، ستكون في خانة الأندية الخاسرة أيضا.

الأبرز في هذه الفئة توتنهام الإنكليزي وصيف دوري أبطال أوروبا الموسم الماضي (خسر أمام مواطنه ليفربول صفر2–)، الذي يحتل حاليا المركز الثامن أمام أرسنال الذي يواجه أيضا الحرمان من المشاركة القارية. وسيغيب ليون الفرنسي الذي يحتل المركز السابع حاليا عن المسابقات القارية للمرة الأولى منذ عام 1995، ما سيكبده خسارة كبيرة لا سيما من الناحية المالية. وكان رئيس ليون جان ميشال أولاس من أبرز الداعين إلى «موسم أبيض» في فرنسا، أي إلى إلغائه من دون احتساب النتائج، معتبرا ان ثمة شكوكا بالقدرة على استئنافه، ما يجعل «حظوظ انهاء جميع المباريات ضعيفة». بعض الأندية التي لم تقدم عروضا جيدة في الجزء الأول من الدوري تجد نفسها في مراكز يتهددها الهبوط، مثل بورنموث الذي جمع العدد ذاته من النقاط مع واتفورد (أول الاندية غير الهابطة في الدوري الإنكليزي الممتاز)، لكنه يتخلف عنه بفارق الأهداف. وفي المقابل، يملك ريال مايوركا نقطة أقل من صاحب آخر المراكز غير المؤدية إلى الهبوط في إسبانيا، لكن قد يجد نفسه بين الأندية التي ستسقط إلى مصاف الدرجة الثانية. لكن الخسارة لن تكون معنوية فقط لأن الهبوط يعني خسائر مالية ضخمة قد تؤدي إلى اهتزاز اي ناد. ولخص رئيس رابطة الدوري الاسباني خافيير تيباس الذي يعتبر ان الالغاء ليس «خيارا»، الوضع بالقول إن الأندية الإسبانية ستخسر ما مجموعه «مليار يورو اذا لم نعاود اللعب».

# مجتمع

## بين كورونا والعنف والاغتصاب حملة حقوقية ترفع شكاوى

# عاملات زراعيات في أغادير ضد أرباب عملهن

الرباط ـ «القدس العربي»:
سعيد المرابط

«هذا العمل مليء بالعنف والاغتصاب، وكم مرة عملنا حادثة أثناء النقل، أو كدنا نقع في حادثة بسبب الأمطار أو قلة نوم السائق الذي يعمل في المخزن ويرسل لتوصيلنا، في شاحنة نقل صغيرة نكدس فيها نحن 25 شخصاً». مشهد من حياة يومية، لمن لا ظهر لهن ولا سند، محكي بلسان عاملة زراعية في المغرب، لا تزال في ريعان شبابها.

ففي الظروف العادية، مكان عائشة ذات الربيع الثامن عشر هو حجرات الدراسة، في إحدى المؤسسات التعليمية بمدينة أغادير جنوب المغرب، أو في مدرجات الجامعة، وفي الظروف التي تعيشها، ابنة رجل لا مدخول له سوى بضعة دراهم معدودات، يجنيها بعد يوم طويل من بيع الخضر في السوق، فإن المكان الذيّ رمتها فيه الفاقة والفقر، كان حقول الزراعة، في القليعة (على بعد نحو 25 كيلومتراً عن أغادير) في ظروف لا إنسانية، وفق ما ترويه.

عاملات زراعيات في المغرب

### التحرش والاغتصاب

حملة حقوقية، ترفع الشكاوى المقدمة من عاملات زراعيات مغربيات ضد أصحاب عملهن في منطقة أغادير، حيث يعملن لجني الفواكه والخضراوات في ظروف شديدة التعاسة، وتكشف عن حالات خرق قانون التشغيل، من تحرش جنسي، وحالات اغتصاب.

وتتحدث عائشة عن أحداث أسوأ، بما في ذلك حالات التحرش الجنسي، وحسب قولها، فإن هذا النوع من الممارسات تم خلال العمل.

عائشة، في شهادتها لحملة «يودا» (بالأمازيغية كفى) تقوم بالتعريف «بمختلف مظاهر التمييز والعنف الجنسي المرابط بالعاملات الزراعيات». تحكي عن معاناتها من هذا النوع من الاعتداء عليها جنسياً.

وتقول عائشة التي غادرت فصول الدراسة من القسم الثاني إعدادي، بسبب الفقر، «كان والدي على قدر الحال، وكانت لي متطلباتي، ملابس وغيرها، فاضطررت للخروج إلى العمل في المزارع».

وبالإضافة إلى التعب والشقاء في العمل، الذي فرضه بؤس الحال، وقلة ذات اليد، يزداد طين العمل بالمزارع بلةً «بسبب نظرة الناس الدونية للعاملات الزراعيات، اللواتي يُظن أنهن لم يجئن لهذا العمل إلا لأنهن مومسات» توضح عائشة.

هاته النسوة اللائي يعملن في مزارع تضخ في جيوب ملاكها ملايين الدراهم، من عرق عائشة ومن معها، يعانين فيها من «تحرش المراقب والسائق والمسؤول، وغير ذلك من الصعوبات».

وبالإضافة إلى حالات التحرش، يتم إذلال العديد من النساء، وإلقاء اللوم عليهن من قبل بعض الأقارب والجيران في المغرب، كأنهن جناةٌ لا ضحايا.

ومع كل هذا وذلك «يمكن أن نُطرد في أي لحظة، من دون أن نحصل على مستحقاتنا، التي عادة ما تذهب أدراج تنكر المشغل أننا اشتغلنا عنده يوماً ما».

### كورونا معاناة مضاعفة

كورونا حيرة الإنسان الوجودية، الفيروس الذي قلب العالم رأساً على عقب، والجائحة التي أقامت الدنيا ولم تقعدها بعد، لها قصص ومآس لا تختزلها الأرقام الباردة لإحصائيات الضحايا، وَلا التضامن الإنساني الذي يضرب وميضاً كالبرق هنا وهنا، بل لها تراتيم أخرى يعزفها سرد حكايا بؤس النسوة اللاتي يعرفن الأرض التي كنّ يزرعنها، كما يعرفن أن هاته الأرض ليست للجميع، وأن جبروت كورونا الذي وضع أنف أعتى الدول في الرغام، لا يزال أخف وطأة من الجبروت الذي يستنزله الإنسان ظلماً بالإنسان، على الأقل بالنسبة لهن.

ففي بدايات شهر آذار/مارس، ظهرت أول حالة إصابة في المغرب، بالفيروس التاجي «كوفيد–19» والتي رافقتها حالة من الفزع والرعب بين العاملات الزراعيات، اللائي قررن التوقف عن العمل «خوفاً من العدوى وانتقالها بين العمال» حسب ما تقول عائشة.

ذهبت عائشة ورفيقاتها في العمل إلى المسؤول في المزرعة الفلاحية «كي يعطينا أجرة ما عملناه في أيام ماضية، كي نذهب لمنازلنا ونطلق الحجر الصحي» ولكن ذلك تحطم على صخرة الرفض، لتتضاعف المعاناة.

فما كان منه، وفق ما ترويه الشابة، سوى أن أجابهن بالرفض التام «لن تحصلوا على الأجرة حتى تفوت أزمة كورونا، ومن لا يعجبه هذا فليذهب إلى حال سبيله».

وتختم عائشة، ترانيم حكاية البؤس الدامية، بصوتها المعبق بالحزن، الحسرة والانكسار «الله وحده يعلم حالنا، فأفضلنا حظاً، تعمل من أجل أبنائها، فالأغلبية مطلقات وأرامل».

الخوف من الإصابة بالعدوى، أو نقلها إلى أهاليهم وأبنائهم، أرغمت النسوة «العاملات الزراعيات» على البقاء في منازلهن، رغم أنه لا دخل لهن ولا مورد آخر، وتقول أسماء، 25 سنة «نجد صعوبة في الحجر، فقد جلسنا عن العمل، ولكن لا ندري من أين نأتي بالمصروف».

### ما خفي أعظم

النساء العاملات الزراعيات، واللواتي يعتبر السواد الأعظم منهن غير متعلمات، لم يكن ما رووينه من تحرش واغتصاب أثناء العمل هو الصورة الكاملة لمأساة تقع تحت مرأى ومسمع الجميع، فما خفي كان أعظم.

وحسب ما كشفته لجريدة «القدس العربي»، بشرى الشتواني، المنسقة الوطنية لـ«نساء شابات من أجل الديمقراطية» فإن هناك «عاملات زراعيات غير معنيات بالحجر الصحي، بسبب الطلب المتزايد للمنتوج الفلاحي من الخارج على أرباب الضيعات اللاتي يشتغلن بها».

وأكدت الشتواني على أن أرباب الضيعات الفلاحية، بعد تلقيهم لطلبات كثيرة «أصبحوا يستقدمون عاملات أخريات، لسد الخصاص في اليد العاملة، وزيادة الإنتاج بما يضاهي الطلب» مشددة على «غياب شروط العمل الصحية، كالازدحام في سيارات النقل، دون الحفاظ على مسافات الأمان، ودون كمامات وقفازات طبية».

هذه الظروف، وحسب الناشطة الشتواني، دفعت بالعاملات إلى التوقف عن العمل خوفاً على سلامتهن، ليكتشف أن أغلبهن «غير مسجلات بالضمان الاجتماعي، بعد سنوات من العمل في الضيع» أما المسجلات فقد رفض أرباب العمل «تسجيلهن في الدعم الذي تقدمه الدولة للمتضررين، بدعوى أن العمل لم يتوقف»، فيما رفضوا أداء أجرة العاملات الموسميات، حتى يبقين في العمل رغماً عنهن».

وجدت النسوة، أنفسهن في دوامة لا تنتهي، «الجهل بطريقة التسجيل في مساعدات الدولة، المسجلات في الضمان الاجتماعي، لا حق لهن في المساعدات الموجهة للمهن غير المهيكلة، والمشغل لا يريد التصريح بأنهن جلسن عن العمل»، تقول منسقة «نساء شابات من أجل الديمقراطية».

القطاع الفلاحي، الذي يمثل بين «14 و24 بالمئة من الواردات الإجمالية للمغرب»، وفق الموقع الرسمي لوزارة الفلاحة المغربية، يعمل له «حوالي 4 ملايين عامل وعاملة» فيما العدد الإجمالي لعمال القطاع الخاص في المغرب، المصرح بهم لدى «الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي» 3 ملايين و200 ألف، وفق الأرقام الرسمية لـ«المندوبية السامية للتخطيط».

وتؤكد الإحصائيات النقابية، غير الرسمية، أن عدد المسجلين لدى «الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي» لا يتجاوز نسبة 6 في المئة.

وفي ما يخص التعويضات التي تتكفل بها الدولة، من صندوق تدبير جائحة «كوفيد–19» كشف سعد الدين العثماني، رئيس الحكومة المغربية، أن عدد المستفيدين من المسجلين بـ«الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي» بلغ «716 ألفاً و255 أجيراً» مضيفاً أن «92 ألفاً و795 حالة لا تزال قيد الدراسة».

أما قضية عائشة ورفيقات بؤسها، فهي تكشف أن كورونا وحده ليس ما يقتل أو يصيب الإنسان، فلكل قطاع «كوروناته» فقد تغلبت العقلية الرأسمالية على الشق الإنساني لدى مشغل عائشة ومن معها، فانقسمت العاملات بين أمرين أحلاهما مرٌ، بين من ما زلن يعملن «قسراً» للحصول على ما يقيهن غوائل الفقر، وبين من اخترن «النجاة بأنفسهن وذويهن» مفضلات «الجوع على نقل العدوى لفلذات أكبادهن» ينتظرن فرجاً قد يأتي وقد لا يأتي.

# باذنجان باللحمة

## المقادير

كيلو باذنجان
نصف كيلو لحمة مفرومة
نصف كيلو طماطم
2 بيضة
كوب دقيق
كوب بقسماط
كوب لبن
كوب زيت زيتون
نصف كوب جبنة موتزريلا
ملح

## طريقة التحضير

نرش الملح على شرائح الباذنجان ويترك حتى يتخلص من الماء.
نحمر الشرائح في زيت الزيتون عن طريق وضع كل شريحة في البيض ثم البقسماط ثم الدقيق ثم في الزيت.
نرص الشرائح في صينية مدهونة بالزيت.
نرش جبنة الموتزريلا فوق الشرائح
نرص فوق كل شريحة لحمة مفرومة.
نضع فوق كل شريحة طماطم ثم
ندخلها الفرن على درجة حرارة 180. ممكن تقديم الطبق مع الأرز أو السلطة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

# الثوم

نوع نباتي ثنائي الحول تنتشر زراعته في جميع أنحاء العالم، ويتميز بوجود بصلة تحت أرضية تتكون من عدة فصوص. أوراقه شريطية غليظة لها رائحة مميزة نفاذة، من النادر أن يزهر الثوم في الحقول، لذلك فإن زراعته تعتمد على التكاثر الخضري، حيث إن كل فص من فصوصه يعطي نباتاً جديداً ويتشابه كثيرا مع البصل والكراث، والكراث الأندلسي، والثوم المعمر، والبصل الصيني. استخدمه الإنسان منذ أكثر من 7000 سنة، موطنه الأصلي يعود إلى آسيا الوسطى، وكان غذاءً رئيسيا لوقت طويل في منطقة الشرق الأوسط، ويستخدم كالتوابل في آسيا وافريقيا وأوروبا. كان معروفا عند المصريين القدماء، واستخدم لأهداف الطهي والعلاج.

واستخدم الثوم حول العالم نظرا لنكهته اللاذعة كبهار أو تابل. لب النبتة هو أكثر جزء مُستخدم. باستثناء الأنواع ذات الفص الواحد، يقسم اللب في القوم إلى عدة قطع لحمية تُسمى فصوص التي تستهلك (إما نيئة أو مطهية) أو لأغراض طبية. الأجزاء الأخرى من نبتة الثوم صالحة للأكل أيضا.

لقد استخدم الثوم منذ آلاف السنين كواق ومعالج للعديد من المشاكل الصحية.

حيث يحتوي على مركبات الكبريت، فيتامين (C) و(B6)، السيلينيوم، المغنيزيوم، البوتاسيوم، الكالسيوم وغيرها من المواد المعروفة بقدرتها على مكافحة العديد من أنواع الجراثيم، والفيروسات وحتى العدوى الفطرية.

بهذا تم إدخاله في صناعة العديد من المراهم والقطرات المعدة للعلاج الخارجي للفطريات والتهابات الأذن.

وأثبتت العديد من الدراسات الحديثة وجود علاقة مباشرة بين الثوم والوقاية من مشاكل صحية متنوعة، ومنها خفض مستوى الكولسترول عن طريق معادلة النسبة بين الحميد والكولسترول السيء.

بالإضافة إلى ذلك، أثبتت العديد من الدراسات أن تناول الثوم بشكل منتظم قد يساهم في خفض ضغط الدم وبالتالي فانه يمنع حدوث أمراض القلب والسكتة.

قد تؤدي الجلطات الدموية إلى انسداد الشرايين، بالتالي توقف تدفق الدم إلى أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة، حيث تكمن خطورة هذه الحالات بانها تودي إلى الإصابة بالسكتة الدماغية أو النوبة القلبية. لكن يمكن لتناول الثوم أن يزيد من انتاج أكسيد النيتريك في الأوعية الدموية والذي يساعد على توسيعها، ونتيجة لذلك، يمتاز الثوم بتذويب الجلطات الدموية.

وأشارت نتائج دراسات حديثة إلى انخفاض حالات الزكام لدى الذين يتناولون الثوم بشكل ملحوظ.

بالإضافة إلى ذلك، عند الإصابة بالزكام، فان أولئك الذين يتناولون الثوم يشفون بسرعة أكبر بكثير من غيرهم وبالذات خلال ذروة موسم الشتاء.

## جديد الطب

# حصيلة وباء كوفيد – 19 في العالم السبت

أودى تفشي وباء كوفيد–19 بحياة 154188 شخصا على الأقل في العالم منذ ظهوره في الصين في كانون الأول/ديسمبر، بالاستناد إلى مصادر رسمية.

واحصيت رسمياً إصابة 2.251.690 شخصا في 193 دولة ومنطقة منذ بدء تفشي الوباء. ولا يعكس هذا التعداد الأرقام الفعلية للمصابين نظراً إلى امتناع عدد كبير من الدول عن إجراء فحوص طبية لمن لا يعانون من أعراض خطرة. وشفي 497600 شخص من بين مجمل المصابين.

وتعدّ الولايات المتحدة التي سجّلت أول وفاة جراء الإصابة بالفيروس في نهاية شباط/فبراير، أكثر الدول تأثرا مع تسجيل 37079 وفاة من أصل 706779 إصابة. وأعلن شفاء 59673 شخصا.

وتأتي إيطاليا بعد الولايات المتحدة، حيث سجّلت 22745 وفاة من اصل 172434 إصابة، ثم اسبانيا حيث سجّلت 20043 وفاة (191726 إصابة) ففرنسا التي أعلنت وفاة 18681 شخصا (147969 إصابة) والمملكة المتحدة مع 14576 وفاة (108692 إصابة).

وفي الصين القارية حيث بدأ تفشي الوباء نهاية كانون الأول/ديسمبر، أحصيت رسمياً 82719 إصابة (352 جديدة بين الجمعة والسبت)، بينها 4632 وفاة و77029 حالة شفاء.

والسبت حتى الساعة 11.00 بتوقيت غرينتش، أحصت أوروبا 97985 وفاة من أصل 1.115.555 إصابة، والولايات المتحدة وكندا 38445 وفاة (738706 إصابات)، آسيا 6837 وفاة (158764 إصابة)، الشرق الأوسط 5452 وفاة (119462 إصابة)، وأمريكا اللاتينية والكاريبي 4367 وفاة (91699 إصابة)، أفريقيا 1016 وفاة (19674 إصابة)، واوقيانيا 86 وفاة (7835 إصابة).

وأنجز هذا التعداد بالاستناد إلى المعطيات التي جمعتها مكاتب فرانس برس من السلطات الوطنية ذات الصلة ومن معلومات منظمة الصحة العالمية.

# فيروس كورونا: من الأكثر عرضة للخطر ولماذا؟

تحليل لمنظمة الصحة العالمية للحالات في الصين هم الأشخاص المسنون المصابون بأمراض القلب والسكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض التنفس المزمنة والسرطان.

### لماذا الرجال؟

حسب معطيات منظمة الصحة العالمية يموت الرجال في الغالب أكثر من النساء. ونسبة الوفاة في الصين في منتصف شباط/فبراير للرجال وصلت إلى 2.8 في المئة وللنساء إلى 1.7 في المئة. وتوزيع مشابه سبق وأن حصل في 2003 عند تفشي فيروس سارس في هونغ كونغ. وحتى الزكام العادي تكون له تبعات أكثر قسوة عند الرجال منها لدى النساء.

وللمقارنة يكون نظام المناعة النسوي أقوى من مثيله عند الرجال، ويعود ذلك بالأساس لهرمون أوستروغين النسوي الذي يحفز نظام المناعة ويكافح بشكل أسرع وأقوى ضد الجراثيم. كما توجد «أسباب جينية» كما يقول الاختصاصي في الفيروسات توماس بيتشمان، فالنساء لهن مؤهلات جينية أكبر تحمي نظام المناعة.

وإلى جانب الوضع الجيني يكون أسلوب الحياة حاسما. فالرجال يعيشون في الغالب بطريقة أقل صحية من النساء، ففي الصين مثلا يدخن نحو 52 في المئة من الرجال وليس حتى 3 في المئة من النساء. فالرئة التي تكون متأثرة بالتدخين تكون معرضة أكثر للإصابة بأمراض التنفس.

### الأطفال أقل عرضة

فيما يرتبط بفيروس كورونا المستجد لا يكون الأطفال الفئة الأضعف في المجتمع - وبالتالي لا يوجد إلى حد الآن أطفال بين الموتى. وبالطبع يُصاب الأطفال بالفيروس، لكنهم لا يمرضون أو يظهرون فقط عوارض خفيفة. ولا تُعرف إلى حد الآن أسباب دقيقة وراء هذه المناعة لدى الأطفال الصغار الذين يتمتعون بحصانة ذاتية انطلاقا من حليب الأم الذي يمنح جسم الطفل خلايا تهاجم الجراثيم. (DW)

الإصابة بفيروس كورونا تلحق الرجال والنساء والأطفال على حد سواء، لكن الانعكاسات مختلفة. والعامل الحاسم هو السن والجنس والأمراض السابقة.

فيروس كورونا سينتشر في الأسابيع والشهور المقبلة بصفة سريعة وسيصيب ثلثي مجموع السكان. ومن المتوقع ألا يتغير هذا حتى عندما يصبح الجو أكثر دفئا وينتهي الموسم المعتاد للزكام ونزلات البرد، حسبما قال كريستيان دروستن، اختصاصي الفيروسات في مستشفى شاريتي في برلين.

لكن الإصابة ستمر بشكل خفيف لدى غالبية الناس. وفي فصل الخريف عندما تأتي موجة البرد القادمة، سيكون لدى هؤلاء الناس بالفعل أجسام مضادة لسارس–2 كوفيد–19.

### لماذا يجب حماية المسنين؟

الفئة الأكثر تعرضا للخطر هم المسنون الذين ترتفع نسبة الوفاة عندهم ابتداء من 65 عاما. ففي الصين مثلا تصل نسبة الوفاة لدى المصابين حتى الأربعين عاما إلى 0.2 في المئة، وبين 70 و79 عاما تصل إلى 8 في المئة، وابتداء من 80 عاما تصل لـ 14.8 في المئة.

وبالتالي وجب في الأسابيع والشهور المقبلة حماية المسنين بوجه خاص، لاسيما عندما يعانون من أمراض سابقة. وهذه المجموعة المعرضة للخطر وجب عليها تفادي التجمعات البشرية والمهرجانات أو لقاءات الأندية. والجد والجدة لا يحق الاستعانة بهم في رعاية الأحفاد الموجودين في الحجر الصحي أو أوضاع استثنائية مشابهة. وفي المقابل يجب على أعضاء العائلة القيام بمشتريات الحاجيات اليومية لصالح المسنين والإتيان بها إلى البيت حتى يتفادوا الذهاب إلى الأسواق.

### خطر الإصابة بكورونا

جميع الأشخاص المتوفين كانوا تقريبا مرضى قبل إصابتهم بفيروس كورونا. والأشخاص الأكثر عرضة للخطر، حسب



# منوعات

### صوت الكلارينت يصدح في أحياء صيدا القديمة

# طارق بشاشة: بداية كان الاستغراب ومن ثم الإصغاء وبعدها امتلأت الشبابيك

طارق بشاشة

**بيروت–«القدس العربي»: زهرة مرعي**

ولد وترعرع طفلاً وشبّ في حارات صيدا القديمة، ولم يغادرها إلا في ثلاثينيات العمر. هناك حيث البساطة والطيبة والاطمئنان، بدأت مواهب طارق بشاشة بالظهور، وكذلك نما في داخله إحساس التعاون والتعاضد الاجتماعي حيث يجب. وكان للكشّاف الذي انتمى إليه دوره في وضعه على سكة تلك المواهب، وكذلك في تنشئته على مبدأ التضحية في سبيل الآخرين حين يحتاجون.

يحمل بشاشة إجازة في العلوم المسرحية ويُدرّس المسرح لتلامذة المرحلة المتوسطة في المدارس الرسمية. ويدرّس الموسيقى للتلامذة السوريين في مخيمات البقاع من خلال جمعية «العمل للأمل» وذلك على آلتي الساكسوفون والكلارينت. ليس هذا وحسب، فقد أسس بشاشة «فرقة تجلّي للموسيقى الصوفية الحديثة» بالتعاون مع أربعة فنانين من سوريا. خمس سنوات مرّت على هذه الفرقة التي أحيت الكثير من الحفلات خارج لبنان، ولها مشاريع عدة أرجأتها جائحة كورونا.

مؤخراً نُشرت لطارق بشاشة في صحيفة لينانيةٍ صورة وهو يعزف الكلارينت في أحياء صيدا القديمة داعماً صمود العائلات في زمن الحجر، بعدسة الزميل علي حشيشو. وهذه الصورة شكلت مدخلاً للحوار معه:

**○ بدوت عاشقاً رومانسياً يعزف لحبيبته من تحت النافذة، إنها مفارقة في زمن كورونا الذي أخلى الشوارع. كم استأنس أهل صيدا القديمة بموسيقاك؟**

● يمكن القول إنها صورة تجمع بين الرومانسية والواقعية. ليلعب أحدنا الموسيقى في ظل أزمة كالتي نعيش يحتاج إلى الرومانسية المنفردة بين العازف وذاته. على جبهة الواقع يشكل هذا العزف دعماً نفسياً للناس الملتزمين الحجر المنزلي. ومن جهتي أتكئ على الجدار داعماً ذاتي، إذاً صلتي بذاتي يراها الناس من شرفاتهم وتشكل لهم حالة الدعم.

**○ عملياً حين كنت فتياً في تلك الشوارع التي تحفظها عن ظهر قلب هل عزفت بناء لمشاعر عشتها واقعياً؟**

● يضحك ويقول: لم يحدث. عندما بدأت تعلّم الموسيقى كنت أعزف وحيداً في منزلنا، وكان إحساسي يقول بأني أعزف لإحداهن وليس بالضرورة أن تكون معروفة وواضحة المعالم والهوية. فالتعبير العاطفي تحمله نغمات الموسيقى.

**○ وماذا عن مشهد ناس الحارات العتيقة وهم يسمعون موسيقاك في زمن الحجر المنزلي؟**

● منذ الحرب الأهلية ومن خلال الكشاف المسلم الذي نشأت فيه منذ الصغر، اعتدت أن أكون مع الناس في أزماتهم. شكل الكشاف الحافز المباشر في حياتي كي أتعلم الموسيقى. ولهذا وجدت ضرورة للعزف في هذا الزمن الاستثنائي. حتى الآن تواجدت في أحياء صيدا القديمة خمس مرات. البداية كانت استغرابا من الناس لهذا الفعل، رغم أن الغالبية العظمى منهم تعرفني. بعد الاستغراب والسؤال المرسوم على الشفاه انتقلوا إلى مرحلة الإصغاء. لعب الموسيقى والشبابيك تمثلّ بالناس من مختلف الأعمار. ومن ثم نتسابر ونسأل عن الأحوال، فقد سبق القول إن أغلبهم يعرفني.

**○ هل تشعر بحاجة الناس لن يتواصل معهم من الشارع؟**

● طبعاً. والمفارقة أن أكثرهم من النساء والأطفال، في حين أن الشباب يتتبعون الموسيقى التي أضعها على فيسبوك. يمكن القول إن العزف في حارات صيدا القديمة كسر الروتين الذي فرضه الحجر الصحي. ولهذا انتبه الناس لصوت الموسيقى وتفاعلوا معه.

**○ هل يختلف صدى الموسيقى وتقبلها في لحظات الحجر الصحي؟**

● ما تقوليه صحيح. وقد ذكرني بالمسرحاتي الذي شاركت فيه كثيراً خلال إقامتي في صيدا القديمة. في الليل ولحظات الهدوء نعم يختلف صوت الموسيقى. في المكان الواسع والمفتوح صدى الصوت مختلف تماما. الزواريب العتيقة تشبه إلى حد كبير هندسة الصوت المطلوبة، ولهذا نكهة الموسيقى فيها أجمل.

**○ بماذا تُخبرك صيدا القديمة التي كبرت فيها؟**

● تحكي لي الكثير، إنها الكتاب المفتوح على ذكريات جميلة عن مكان الولادة والنشأة. تركتها ولم أبتعد كثيراً، وبقيت أدرّس الموسيقى في المدرسة الوطنية الكائنة في صيدا القديمة. كل مطرح من صيدا القديمة هو أنا. وعندما أمر قرب بيتنا في حي ضهر المير يبادرني إحساس بضرورة المناداة على الجيران رغم أن المبنى بات فارغاً.

**○ هل تفكر بمشارع أخرى في حال طالت فترة الحجر المنزلي؟**

● حضوري في زمن الحجر المنزلي ليس مقتصراً على الموسيقى، بل أشارك في أعمال الإغاثة وتوزيع المساعدات العينية على المحتاجين. وإن طال الحجر ربما نشكل فرقة بحيث نعزف مجتمعين مع مراعاة المسافة الآمنة بيننا، وتكون الشوارع الخالية مسرحنا المتحرك.

**○ تعددت قدراتك في التواصل مع الآخرين منها العلاج بالدراما والمسرح وكذلك عزف الموسيقى، أي منها يأتي في الطليعة؟**

● أتعامل معها حسب الحاجة. ففي عدوان تموز/يوليو 2006 كان العلاج بالدراما مطلوباً للتخفيف من متاعب الأطفال. عندما يعبّر الأطفال عن تجاربهم خلال الحروب يرتاحون. كما سافرت إلى مصر للعمل مع الشباب الذين شاركوا في ثورة 25 كانون الأول/يناير عبر العلاج بالدراما، وكذلك للمشاركة بعروض مسرحية في مصر.

**○ كنت نشيطاً في مصر كما قرأت في أرشيفك؟**

● أزور مصر منذ سنة 2010 وأتعاون مع مؤسسة التعبير الرقمي العربي التي تنظم نشاطات للفتية منها التصوير، والمسرح، والسينما، والكوميكس، والموسيقى، وجميعها أدوات للتعبير. ويتعاونني مع هذه المؤسسة اقترحت المسرح كجزء أساسي للتعبير. وكان ظاهراً بعد الثورة أن المسرح شكل فسحة واسعة للتعبير في مصر وخاصة للفتية بحيث أتيحت لهم فرصة الحديث عن أفكارهم وكسر حاجز الخجل.

**○ علمت أنك تساعد الأطفال على اكتشاف الموسيقى وليس تعليمهم. هل من توضيح؟**

● ببساطة تامة عندما نكون بصدد تعليم الطفل الرسم نعطيه ورقة وقلماً فينطلق في الخربشة. إذاً هي العلاقة الأولى التي تجمعه بالورقة والقلم. والموسيقى تشبه الرسم، نعطيه آلة موسيقية ونطلب منه البدء، وعندها يُفرغ الفوضوية التي في داخله، ومن ثم نبدأ التحديد والتركيز فنطلب منه عزف جملة تعجبه. الموسيقى ليست صوت الآلات فقط بل هي صوت موجود داخلنا. ونحن نتفاعل مع الأصوات التي تعطينا إياها الآلات الموسيقية، لأن الموسيقى موجودة داخل كل منا، لهذا ينزعج المتلقي من النشاز. والسبب أن النشاز لا يحاكي ما في داخلنا.

**○ وهل للطفل قدرة تحديد النشاز من عدمه في الموسيقى؟**

● الطفل شديد الإحساس نحو كل شيء متحرك. عندما يسمع أغنيات حزينة يبكي. مع العلم أنه لا يعرف مقام الموسيقى ولا معنى كلمات الأغنية، وما حدث أن اللحن المعتمد حرّك الموسيقى الكامنة داخله.

**○ تكتب الشعر وتعزف الموسيقى هل أحدهما يخدم الآخر؟**

● الشعر عبارة عن إيقاع وصورة. ثمة صورة نجسدها عبر الكلمة وأخرى عبر النغمة. الصورة التي نجسدها بالكلمة يمكننا أن نسخها بـ«كوبي بيست» من خلال النغمة. ومن يلعب الموسيقى يجب أن يعي صورة الكلمة.

**○ كمختص بالعلاج بالدراما هل تعمل لدمجها مع العلاج بالموسيقى؟**

● أحياناً نعم، وفي عملية التعليم تحديداً. قد يؤدي سماع مقطوعة موسيقية كلاسيكية لتحريك صور محددة لدى شخص ما. صور يعجز أحدنا عن استخراجها من داخله بتلقائية، وكان للجملة الموسيقية دور المستفز لها، وبالتالي التكلم عنها. إذاً من المؤكد أننا قادرون على التعبير عن تلك الصور من خلال جملة موسيقية. وقد حصل خلال دورة تدريبية حول كيفية توجيه الأطفال نحو اكتشاف الموسيقى، وكان الطلب من المتدربين أعطاء جمل موسيقية تعبر عن الفرح والغضب والعزلة وسوى ذلك. وهكذا عبر هؤلاء المتدربون رغم كونهم ليسوا موسيقيين. وجميعنا يعرف أن التعبير عامل مساعد للتخلص من أزمات أو مخاوف أو إحساس بالعجز يعيشها الإنسان. فعندما مرّ الشاعر الكبير صلاح جاهين بأزمة إحباط سُئل بعد عودته من العلاج «كيف تخلصت منه؟» فكان جوابه: «صاحبتو».

**○ في مرحلة العزل والحجر والفقر الذي عمّ الناس كم نحتاج للعلاج بالدراما؟**

● بالطبع الحاجة ماسة لمختلف العلاجات، فنحن نعيش أكثر من مشكلة. أهم تلك المشاكل تبرز على صعيد الأسر والثنائيات. فالأزواج متواجهون طيلة اليوم، والشحن الداخلي الذي يعيشه كل منهما يتم تفريغه بالآخر. الأزواج أمام حلين إما يجفرون المشاكل أحدهم بوجه الآخر، أو يلجؤون للحوار. نحن في واقع حجر معلن، إنما داخل العائلات جميعنا يخضع لعمليات احتكاك لم يسبق لها مثيل في حياتهم السابقة. الأب يحتك بأبنائه، والزوج بزوجته، والأم بأبنائها. الزمن الطويل الذي يمضيه كل منهم بمواجهة الآخر سوف يعيد الحسابات. على الصعيد الاجتماعي والشخصي العائلات والأفراد في عملية مراجعة وتقييم على المستوى الفردي والعام. فعندما يكون أحدنا مطحونا في دورة الحياة لا ينتبه لتفاصيل كثيرة تتواجد بتلقائية في حياته. على صعيد مقابل فمن كانوا يخوضون غمار الثورة في الساحة اللبنانية هم حالياً في عملية إعادة حسابات.

# الدراما اليمنيّة وفضائيات الحرب: مَن يستفيد مِن الآخر؟

**صنعاء ـ «القدس العربي»: أحمد الأغبري**

تُقدّم الدراما اليمنيّة، في رمضان هذا العام، ثمانية مُسلسلات، وفق ما تم الإعلان عنه حتى الآن، وهو عددٌ كبيرٌ مقارنة بما قدّمته في كل موسم رمضاني من مواسم سنين الحرب المستعرة هناك، والتي دخلت عامها السادس.

ويشهد اليمن منذ بدء الحرب تزايداً في عدد القنوات الفضائية استجابة لأهداف الحرب، ووصل عددها لنحو عشرين قناة، ونتيجة لذلك تشهد أعمال الدراما التلفزيونية الرمضانية تزايداً في كل عام استجابةً لتزايد عدد الفضائيات وتنافسها في الاستحواذ على نسبة مشاهدة محلية عالية، وهو التزايد الذي أسهم هذا العام في دخول مؤسستي إنتاج جديدتين بالإضافة إلى ما كان موجودا. كل ذلك نتجت عنه زيادة في عدد الأعمال، ووصل هذا العام إلى ثمانية مسلسلات، خمسة منها يتم تصويرها في صنعاء ومسلسل في عدن، ومسلسلين في الأردن، وهما «ليالي الجحملية» و«عيال قحطان»، وقد تعرضا لإيقاف أعمال التصوير نتيجة إجراءات العزل الخاصة بجائحة كورونا؛ لكنهما سيستأنفان تصويرهما قريباً وفق تقدير مصادر داخل العملين؛ وقد يترتب على ذلك فقط تأخراً في بثهما. وجميع هذه المسلسلات، بما فيها مسلسل «غربة البن» الذي كان يفترض تصوير معظمه في الهند تسببت الجائحة في تصويره في صنعاء، موزعة بين قنوات: اليمن (نسخة صنعاء)، المسيرة، الهُوية، السعيدة، يمن شباب، المهرية، وسهيل. بالإضافة إلى ما ستقدّمه قناتا «حضرموت» و«المهرة» وهو ما لم يتم الإعلان عنه حتى الآن، علاوة على ما ستقدّمه القنوات نفسها من أعمال درامية ضمن برامج سياسية موجهه للحرب، وهي أعمال يتم تصويرها في مناطق نفوذ كل طرف لصالح الطرف نفسه.

السـؤال: مَن سيستفيد من الآخر: فضائيات الحرب أم الدراما التلفزيونية؟

بلاشك أن الدراما التلفزيونية استفادت وستستفيد أكثر من فضائيات الحرب (كمياً) من خلال إنتاج كم أكبر مما كان مُتاح رمضانياً في الفترة السابقة، وهذا يوفر فرص عمل لعدد لا بأس به من الكوادر الفنية، بمن فيهم مَن كانوا قد صاروا خارج الساحة الفنية، حيث تم استدعاء الكثير منهم هذا الموسم ومنهم نجوم مضى على انقطاعهم فترة طويلة.

لكن على صعيد النوعية فلن تتحقق، ولن تستطيع الدراما تحقيق خطوة واضحة للأمام تتجاوز واقعها السابق؛ وهو واقع الإغراق في التسطيح حد التهريج بهدف الإضحـاك غير الـهـادف، وهـي المشكلة التي غرقت فيها أقدام الدراما اليمنية في العقدين الأخيرين، وبدت واضحة منذ أزمة عام 2011 وما تلاها من أحداث وصولاً إلى الحرب الراهنة، التي أصبحت معها الدراما تتجنب الابتعاد كثيراً عن الهموم الراهنة للمجتمع إرضاءً لأطراف الصراع، ما بالك وهي اليوم تُنتَج تحت ظروف حرب، ولك أن تتصور مستوى مسلسل يتم إنتاجه في صنعاء ووفـق مقتضيات السلطة هناك بينما سيتم بثه في قناة في مناطق الطرف الآخر أو محسوبة عليه، بالتأكيد سيذهب بعيداً عن كل ما يثير حساسية هـذا الطرف أو ذاك. هنا لن يبقى سوى الكوميديا الخالية من أي أسئلة تقترب من اليمن واليمنيين، إنها كوميديا لن يكون أمامها سوى الهروب من تحديات الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

ما معناه أن فضائيات الحرب ستستفيد من الدراما الرمضانية المحلية في الفوز بنسبة مشاهدة محلية أكبر تحرص على البقاء معها لمشاهدة برامج ومسلسلات أخرى تم إنتاجها في مناطق كل طرف لصالح الطرف نفسه، والتي ستخضع لتوجيه سياسي يخدم بشكل مباشر الحـرب والإمـعـان فـي تمزيـق النسيج الاجتماعي والوطني لليمن.

### قبل 2011

هل كانت الدراما التلفزيونية اليمنيّة أفضل حالاً قبل 2011؟ هذا سؤال يقودنا لمرور سريع على المراحل التي قطعتها بدءاً من الثمانينات ومروراً بالتسعينيات في القرن العشرين، وخلال هذين العقدين، مقارنة بما كان عليه حالها لاحقاً في عصر القنوات الفضائية، قدّمت هـذه الدراما أفضل الأعمال، وهذا لا يلغي أن ثمة أعمالا رائعة قدّمتها خلال العقد الأول من الألفية الراهنة، لكنها قليلة جداً، ولا يمكن مقارنتها بما قدّمه التلفزيون اليمني خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات على الرغم من أن البث حينها كان أرضياً محلياً، والسبب أن الدولة مع بداية الألفية الثالثة كانت قد بلغت من الترهل جراء استشراء الفساد في مراكز صناعة القرار مرحلة خسرت فيها الفنون كثيراً، نتيجة إمعان القرار السياسي في تجاهل العمل، في هذا المجال، من خلال رؤية إنتاجية فنية تنافسية تستغل عصر الفضائيات، وهـي منافسة تنطلق من النوعية التي تخاصم التخلف وترنو نحو المستقبل، وتؤمن بالآخر، فخسر المسرح والسينما وتراجعت الدراما التلفزيونية، مع إصـرار السياسي، خاصة منذ بدء التسعينيات وتجلت بوضوح مع بداية الألفية، على التحالف مع قوى التخلف والايمان بثقافة القوة، ونتيجة لذلك خسرت القوى الإبداعية الكثير. ويمكن استيضاح الـصـورة مـع دخـول عصر الفضائيات وإطلاق قنوات يمنية غير حكومية. فبينما كـان يفترض أن يـؤدي تنافس القنوات الحكومية وغير الحكومية لتقديم أعمال أفضل حصل العكس، وأصبح الجانبان يقدمان أعـمـالا بنفس المستوى تأطرت معظمها في الكوميديا غير الحكومة برؤية تنافسية نوعية، وهـو مـا يمكن قراءته بوضوح في مسلسل «كيني ميني» لقناة «السعيدة» غير الحكومية ومسلسل «همي همك» لقناة «اليمن» الحكومية، إذ لن يجد المشاهد فرقاً. فالعملان مارسا التهريج الفني والتسطيح الموضوعي وهي نتيجة طبيعية كونهما انطلقتا من قرار غير محكوم برؤية نوعية إنتاجية وإخراجية تنافسية، كمشكلة تعاني منها معظم أعمال الدراما اليمنيّة في العقدين الأخيرين، ونتيجة لذلك لن نجد عملا تم بيعه لقناة غير يمنيّة أو حتى تم بثه في قناة غير القناة التي أنتج لصالحها. الفنان يحيى إبراهيم، وهو أحد نجوم الدراما اليمنيّة، يقول لـ «القدس العربي» إن دخول منتجين جدد بإمكانات وتقنيات كبيرة وحديثة مع تزايد عدد الأعمال التي ستقدّمها الدراما اليمنية في هـذا الموسم يُمثل، من وجهة نظره، رافداً للدراما في هذا البلد، وعاملاً إيجابياً ستستفيد منه هذه الدراما من خلال تقديم عدد أكبر من الأعمال ستفرض على الجميع الإيمان بالنوعية ولو تدريجيا.

# بعيداً عن الدخيل الصيني الفانوس المصري ملك الاحتفال الرمضاني

**كمال القاضي**

يمثل فانوس رمضان ملمحاً رئيسياً من ملامح الاحتفالات المصرية في شهر رمضان الكريم، وقد ارتبط بفرحة الأطفال وطقوسهم الخاصة، ونقلت السينما والدراما التلفزيونية في كثير من الأفلام والمسلسلات صوراً إبداعية ارتبطت برمضان والفانوس والطقوس الشعبية الدالة على خصوصية الصيام لدى المصريين وما يصاحب ذلك من عادات وتقاليد وأشكال استثنائية للسلوك الفردي والجماعي منذ ظهور الهلال الرمضاني وحتى صبيحة عيد الفطر.

تعددت المواد الفنية الراصدة للحالة الاجتماعية الفريدة، فهناك على سبيل المثال مسلسلات حملت عناوين مباشرة في هذا الخصوص، ربما السابق منها كان مسلسل «صيام–صيام» الذي شارك في بطولته نجوم كبار، كمحمود المليجي وفاروق الفيشاوي وفردوس عبد الحميد وآثار الحكيم ومريم فخر الدين ويحي الفخراني وآخرون ممن أثروا العمل وأعطوه مذاقاً مختلفاً من حيث الأداء وطبيعة الموضوع، لا سيما أن معظم الحلقات دارت حول رمضان والصيام وما يتعلق بهما من مظاهر واحتفالات ورؤية كاملة لمفهوم الأسرة والعائلة وأهمية التكاتف والود والمصالحة كشروط لقبول الصيام، وهي توعية دينية غير مباشرة للتذكير بمآثر الشهر الفضيل.

وتماشياً مع هذه الروح والأجواء تضمنت أعمالاً درامية أخرى أبعاداً مختلفة كتقويم السلوك والحث على الالتزام الأخلاقي، كتلك التي اعتنى بها قديماً مسلسل «عادات وتقاليد» لعقلية راتب وعبد العظيم عبد الحق إبان ظهور دراما الأبيض والأسود، وكذلك اسكتش فؤاد المهندس وصباح الشهير « الراجل ده حيجنني» وهو الناقد لعملية الإسراف في الطعام والشراب والمبالغة في الاهتمام بهذا الجانب على حساب الصحة العامة.

وبالعودة لدلالة الفانوس المصري ودورة في الموروث الشعبي كحالة خاصة في شهر الصيام، فإن السينما لم تغفل العلاقة الوطيدة بين الطفل ولعبته المفضلة، فقد انتبهت لتلك العلاقة وصورتها بأشكال متنوعة، ففي فيلم «الفانوس السحري» لإسماعيل يسن قُدمت الفانتازيا كأسلوب للتعبير عن حُلم الثراء وامتلاك القوة الخارقة لتحقيق الأمنيات في وقت مبكر وكان الفانوس الذي اشتراه المواطن البسيط، الذي يعمل فراشاً في إحدى الشركات الخاصة هو بطل الحدوتة الكوميدية من البداية للنهاية.

وأيضاً تمت العناية بالأغاني المكتوبة والملحنة خصيصاً للاحتفال برمضان كملمح أساسي من ملامح الاحتفاء والاستعداد الكامل لشهر الصوم، فكانت أغنية محمد عبد المطلب، «رمضان جانا» وأغنية أحمد عبد القادر «وحوي يا وحوي» واسكتش الطفلة بسيمة «اصحى يا نايم صحي النوم» في أحد الأفلام مع الممثل الكبير زكي رستم وهي تطوف الحارة مع مجموعة من أقرانها بالفوانيس في ابتهاج وسرور ولم يكن الفانوس الصيني المنافس قد ظهر بعد بأشكاله الزخرفية والتجارية.

وفي ما يشبه التواصل مع الحالة الإبداعية ذاتها جاءت أغنية الفنان الشعبي محمد رشدي «يا بركة رمضان» قبل رحيله بمدة قصيرة لتكون آخر اسهاماته المتميزة في هذا الشأن.

غير أن السينما المصرية قدمت أيضاً تجارب مُعتبرة قديماً وحديثاً، فاستحضرت الأجواء الرمضانية ووظفتها توظيفاً موضوعياً داخل الأحداث، ولعل الأهم في ذلك هو فيلم «في بيتنا رجل» للنجم العالمي عمر الشريف، الذي لعب دور البطل الفدائي إبراهيم حمدي الذي قضى أياماً من شهر رمضان مُختبئاً في بيت صديقة حسن يوسف قبل الشروع في تنفيذ العملية الفدائية ضد قوات الاحتلال حسب السياق الدرامي للفيلم الذي شاركته البطولة فيه زبيدة ثروت.

وكذلك قدم الفنان أحمد حلمي تجربتين حديثتين توافرت فيهما مساحة واسعة للطقوس الرمضانية في مصر، أولهما كانت من خلال فيلم «عسل أسود» الذي استعرض الجانب الأسري والعائلي وألح إلى الخصوصية الاجتماعية وما يميزها على مستويات كثيرة وطرح الشكل التكافلي المتضمن في موائد الرحمن ومراعاة الشريحة الأكثر احتياجاً من المواطنين محدودي الدخل.

وجاءت تجربته الثانية مُتمثلة في فيلم «إكس لارج» وفيها قدم النموذج السلبي للإنسان الشره الذي يعاني كثيراً في نهار رمضان جراء الجوع والعطش، وكيف أن هذه المُعضلة تحتاج إلى عزيمة وإرادة قوية للتغلب على نقطة الضعف تجاه شهوات الأكل والشرب وما يترتب عليها من انهزام معنوي أمام مُغريات التغذية بكل أشكالها، وهو ما نجح البطل البدين بالفعل في التغلب عليه حتى تخلص من عاداته السيئة وصار مواطناً مُعتدلاً وسوياً.

هذا الفيلم على وجه التحديد استطاع تقديم الصورة الكاريكاتيرية الغنية في تكويناتها الفنية والإنسانية الدلالية، لفكرة التحكم الذاتي في الشهوات والغرائز الأساسية وربطها بالصوم كمعادل موضوعي لنظرية الرجيم القاسي التي انطلق منها السيناريست أيمن بهجت قمر في المعالجة الدرامية لأزمة الشاب الذي تُعطل السمنة غالبية مشاريعه العاطفية والرومانسية والاجتماعية والوظيفية، وهنا نلحظ التوظيف الذكي لفضائل الصوم وفوائده وتأثيراته الإيجابية.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741-0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741-0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9879 الأحد 19 نيسان (أبريل) 2020 – 25 شعبان 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9879 Sunday 19 April 2020

# يوميات كورونا: فرنسي يمنع من دخول بلاده بسبب جنسية زوجته

**باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر**

جان باتيست هو شاب فرنسي يبلغ من العمر 26 عاماً، كان قد سافر إلى آسيا مع زوجته. ورغم أن السلطات الفرنسية باشرت ارسال طائرات خاصة لإعادة الفرنسيين العالقين في عدة أنحاء من العالم، إلا أن هذا الشاب وجد نفسه ممنوعاً من العودة إلى بيته في فرنسا خلال فترة الحجر الصحي المنزلي بسبب جنسية زوجته ساندرين غير الفرنسية. وهو ما دفعه إلى استنكار «الظلم» في حقه. لكن الشرطة الفرنسية أكدت أن الزوجين لا يقدمان وثيقة تبرر وضعهما كمتزوجين. فبعد رحلة سياحية إلى اليابان، قرر جان باتيست وزوجته الشابة الكندية العودة إلى فرنسا في نهاية آذار/مارس الماضي في أوج فترة الحجر الصحي المنزلي. ولكن خلال توقفهما في مطار «شارل ديغول» في ضاحية باريس، لم يستطع الزوجان مواصلة رحلتهما إلى منطقة كوت دازور حيث يوجد بيت جان باتيست، على أساس أن جنسية الزوجة خارج منطقة شنغن. وعليه، تم منعهما من دخول الأراضي الفرنسية، ليغادرا إلى مدينة مونتريال الكندية أين يقيمان منذ آذار/مارس المنصرم مع والدي ساندرين، لكنهما لا يزالان في حالة غضب مشوبة بعدم الفهم، كما أوردت صحيفة «لوبارزين» الفرنسية.

في 29 من آذار/مارس الفائت، هبطت رحلة طوكيو–باريس في مطار «رواسي شارل–ديغول» الدولي بضاحية باريس من دون أي تأخير. وقتها، كانت فرنسا تعيش منذ 12 يوماً على وقع الحجر الصحي المنزلي بسبب تفشي فيروس كورونا وتزايد أعداد المصابين والوفيات من جرائه. وكان من المفترض أن يتوجه الزوجان (الفرنسي–الكندية) في اليوم الموالي إلى مدينة نيس الساحلية الفرنسية، معقل الزوج جان باتيست.

وتنقل صحيفة «لوبارزين» عن باتيست تأكيده على أنه قام بالاستفسار قبل أن يقرر العودة إلى فرنسا قادماً من اليابان التي كان يمضي فيها رحلة استكشافية مع زوجته استمرت لسبعة أشهر، وذلك حتى «يعرف جميع السيناريوهات الممكنة». وفي هذا الإطار، يقول الشاب إنه استمع بشكل خاص إلى تصريح رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لين، وهي تؤكد أن الأسرة المقربة من المواطنين الأوروبيين ستكون قادرة على العودة. كما أكد له صديق يعمل في الشرطة بمدينة نيس أن «الأمر لن يطرح مشكلة».

غير أن «لوبارزين» تقول إن الشرطة في مطار «رواسي شارل ديغول» أكدت لها أن جان باتيست قدّم الشابة الكندية ساندرين على انها «صديقته» وليست زوجته. وهي رواية يقول الشاب الفرنسي أنه «أصيب بالذعر» عندما أخطرته بها الصحيفة الفرنسية. ويؤكد أنه وزوجته الكندية «أخبرا رجال الشرطة على أن بحوزتهما وثيقة زواجهما، لكنهم لم يرغبوا في رؤيتها لأن ساندرين ليست أوروبية».

## أدرنة التركية توزع أطنانا من طعام حيوانات الشوارع

وزعت ولاية أدرنة شمال غربي تركيا، أطنانا من أطعمة الحيوانات على جمعيات الرفق بالحيوان، من أجل إطعام حيوانات الشوارع.

ويأتي ذلك بموجب تعميم صادر من وزارة الداخلية، بشأن توفير الطعام للحيوانات الضالة التي تعاني صعوبة في إيجاد الغذاء، في ظل التدابير المتخذة من أجل التصدي لوباء كورونا.

وفي هذا الإطار وزعت الولاية 6 أطنان من الأطعمة على ممثلي الجمعيات المعنية ومتطوعين، بهدف إطعام حيوانات الشوارع، كالقطط والكلاب.

وفي تصريح للأناضول، قالت ياغمور إسلاتتي، ممثلة «رابطة التضامن من أجل حقوق الحيوان» إن الحيوانات أيضا تضررت من وباء كورونا الذي اجتاح العالم.

وأشارت إلى إغلاق العديد من المصانع والمطاعم التي توفر الطعام للحيوانات، ما جعل هذه الكائنات تجد صعوبة في إيجاد ما تسد به جوعها.

كما لفتت إلى أن بعض الناس باتوا يتخلون عن حيواناتهم الأليفة، خشية انتقال العدوى عن طريقها، رغم أن العلماء يناشدون بعدم تركها ويستبعدون انتقال الوباء عبرها، على حد تعبيرها. (الأناضول)

## عازفون يقيمون حفلات من شرفاتهم في قطر

من أجل رفع المعنويات في زمن كورونا ينظم عازفون في أوركسترا قطر الفلهارمونية حفلات من على شرفات منازلهم لتصدح بذلك أنغام أوبرا «كارمن» لبيزيه وصولا حتى إلى جزيرة اصطناعية قبالة الدوحة.

واعتاد هؤلاء العازفون تقديم العروض في قاعات تعج بالحضور إلا أنهم باتوا منذ ثلاثة أسابيع يمتعون كل يوم جمعة أذان جمهور مبعثر من قطريين محجورين في منازلهم يهبون إلى النوافذ للتصفيق لهم.

وإلى جانب موسيقى الأوبرا يؤدي الموسيقيون أغاني معروفة أكثر شعبية مثل «كان يو فيل ذي لوف تونايت» للمغني البريطاني إلتون جون.

وتقول نيكول بريسلر عازفة الفلوت الرئيسية في أوركسترا قطر الفلهارمونية «كل واحد منا يعزف قليلا وبشكل عفوي».

ويدوزن العازفون الأربعة وهم أيضا عازفة قيثارة وعازف كمان وعازف بوق يقيمون بجوار بعضهم البعض، آلاتهم على مدى ثلاثين دقيقة تقريبا.

وتصل الأنغام إلى مسامع سكان جزيرة «اللؤلؤة» الاصطناعية التي تضم مساكن فخمة، فيصفقون للعازفين أيضا.

وأحيانا يرقص المستمعون على شرفاتهم.

وتؤكد بريسلر «يسعدنا أن نعزف. نحن أصدقاء وزملاء تفصل بيننا مسافة لكننا متحدون. وأنا مشتاقة جدا للأوركسترا».

واضطرت أوركسترا قطر الفلهارمونية التي تأسست العام 2007 إلى إلغاء حفلاتها، في إطار تدابير مكافحة وباء كوفيد–19 التي شملت إغلاق المطاعم ودور السينما والمساجد بأمر من السلطات القطرية.

إلا أن الموسيقى تساهم في رفع المعنويات.

ويقول مدير الأوركسترا كورت مايستر إن عزف الموسيقيين الأربعة «كان جيدا ولم يكن ثمة صدى كبيرا، فيما يزداد عدد المتابعين».

وسجلت في قطر 4663 إصابة بكوفيد–19 وسبع وفيات بحسب الأرقام الرسمية. (أف ب)